

حسين قدري

عدد ممتاز

الطبعة الثانية

مذكرات شاب مصري

يغسل الأطباق فى لندن



تصدر في أول كل شهر

رئيس التحرير: السيد أبو النجا ٢ يوليه ١٩٧٦





إهداءات ٢٠٠١

الدكتور/ القطب محمد طبلية

القاهرة

حسين قدرى

مذكرات شاب مصرى

يغسل الأطباق فى لندن

الطبعة الثانية

اقرأ ٣٨٣

دار المعارف بمصر

(اقرأ ٣٨٣)

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

□ الإهداء .. □

إليها . .

هذه الرحلة كلها . . بذكرياتها ومتاعبها وسهر الليالى فيها . . بمطر لندن الذى شربناه فوق رؤوسنا ونحن تائهان فى شوارع لا نعرفها . . بوقفاتنا على محطة أوتوبيس رقم 81 . . وأروقة وممرات الفندق الذى كنا نعمل فيه معا ، وطالما شهدتنا معاً ، وشهدت علينا معاً . .

إليها . . وهى عارفة نفسها ! !

« حسين قدرى »

مقدمة

إسمي

حسين

قدري . . عمري ٣٩ سنة وشوية . . أعمل صحفياً في مجلة « الإذاعة والتليفزيون » . . طول عمري أبحث عن المغامرة . . عن الجديد . . ووراء الجديد ووراء المغامرة مستعد أن ألقي بنفسي إلى التهلكة . . ولعل هذا هو السبب الأساسي وراء اشتغالي بالصحافة ، مع أنها أبعد ما تكون تماماً عن دراستي الأصلية . . أحب أن أغوص في أعماق الناس . . أحب أن أنكش في الموضوعات الغريبة التي لم يطرقها أحد قبلي . . الرحلات هوايتي . . زرت أغلب دول العالم . . التصوير . . . . . .

هذا ما قد يعرفه عني القراء الذين يتابعون رحلاتي التي أنشرها ، لكنني أريد منهم الآن أن ينسوا ذلك كله وهم يقرأون هذه الرحلة . . ولنبدأ « نتعارف » من أول وجديد ، بالصورة التي سيرونني عليها طوال فصول هذه الرحلة . . .

إسمي « حسين قدري » . . سنفترض أن عمري ٢٢ سنة . . وأنني طالب في أي سنة في أي كلية في أي جامعة مصرية تعجبكم . . سمعت في الأعوام الأخيرة الماضية عن ومن « زملائي الطلبة » المصريين في الجامعات ، الذين سافروا ليعملوا في أوروبا خلال عطلة الصيف . . كلامهم فتح أمام عينيّ عالماً غريباً مهولاً رائعاً وردياً . . عالماً جميلا مفروشاً بالزهور والفلوس والشقاوة والسياحة والهدوم الشيك والبلوفرات الـ « سان مايكل » والبنطلونات الآخر موضة والعملة الصعبة الإسترلينية التي عادوا بها معهم من أوروبا . : عالم منطلق متحرر مليء بصور البنات الأوروبيات الشقراوات ذوات العيون الزرق والشعر الذهبي السايح والإبتسامة

الداعة ، اللاتى لا يخفن من ماما ولا يعملن أى حساب لبابا ،ويستطعن أن يسهرن خارج البيت حتى الفجر ،وأحيانا لا يعدن إلى البيت على الإطلاق..

باختصار : قررت أن أسافر إلى أوروبا لأعمل هناك هذا الصيف .-.

واخترت لندن بالذات لأن أغلب أصدقائى وزملائى كانوا فى لندن فى الأعوام السابقة وحكوا لى عنها الكثير ، حتى إننى أتصور من الآن أننى أعرف شوارعها وحواريها والأماكن « الإستراتيجية » فيها ، بالرغم من أننى لم أسافر من قبل إلى أبعد من الإسكندرية شمالا وبنى سويف جنوبا .. وتوكلت على الله وقررت أن أذهب مع زملائى لأعمل معهم فى لندن هذا الصيف ، وأعود لأحكى مثلهم عما حدث لى فى لندن . سوف أحيا حياتهم وأقابل نفس ظروفهم ونفس مشاكلهم ، ونفس معاناتهم إذا لزم الأمر . .

اتفقنا ؟

إذن

ستنسى تماما طوال فصول هذه الرحلة أننى « حسين قدرى الصحفى » ، وسأكون مجرد « حسين قدرى طالب الجامعة المصرى » الذاهب ليبحث عن حظه ويعمل فى لندن فى إجازة الصيف . .

شىء واحد أحب أن أوضحه قبل أن نبدأ معا هذه الرحلة : بعض الأسماء التى سوف يأتى ذكرها فى هذه الرحلة أسماء مستعارة ، أسماء غير حقيقية لأشخاص حقيقيين . . لكن لظروف خاصة أو لحساسيات خاصة أو « لأن ربنا أمر بالستر » ، فليس مهماً أن يعرف القارئ من هم أصحاب هذه الأسماء المستعارة . . ويكفى أن كل واحد منهم سوف يجد نفسه قطعا فى هذه الرحلة ، وسوف يتعرف عليه الذين كانوا حوله أو إلى جانبه . .

« حسين قدرى »

(١)

□ القاهرة ـ لندن . .

سيراً على الأقدام ! !□

لم

أصدق

أنني فى طريقى إلى تحقيق حلمى فعلا إلا وأنا أضع شنطتى الـ « هاند باج » تحت مقعدى فى الطائرة ، ثم أربط الحزام حول وسطى ، وأقرأ الفاتحة : والطائرة تدرج على ممر المطار بسرعة شديدة ، ثم ترفع مقدمتها لتترك عجلاتها أرض مطار القاهرة وتبدأ تشق « أجواز الفضاء » فى طريقها إلى : لندن . .

الرحلة سوف تستغرق ٥ ساعات فى الجو و ٤ ساعات فى مطارى أثينا وجنيف . . عندى وقت طويل لأستعرض ـ ولأستريح من ـ المعاناة التى لقيتها خلال الأسابيع الأخيرة . . من الجرى بين مكتب الجوازات فى الجامعة وإدارة الجوازات فى مجمع التحرير لاستخراج جواز سفر الطلبة المحدد بأربعة شهور الصيف فقط ، ثم ينتهى بعد ذلك تماما ولا يعود صالحا للاستعمال مرة أخرى . . وحضور محاضرة التوعية القومية اليتيمة التى تسبق الحصول على الباسبور وتأشيرة الخروج . . ثم الذهاب للبنك لاستبدال الـ ٣٠ جنيها العملة الصعبة المسموح بها لنا ، والوقوف فى طابور ـ أقصد طوابير ـ الحجز فى شركة الطيران . . ثم النوم على رصيف سفارة

إنجلترا ليلة بطولها حتى أستطيع أن أحجز دورى فى الصباح فى الطابور المهول للطلبة الراغبين جميعاً فى السفر إلى لندن للعمل فى الصيف . . والكذب وادعاء البراءة والكبرياء المفتعلين أمام موظف السفارة الإنجليزى حتى أستطيع أن أقنعه بأنى ذاهب إلى لندن للسياحة والمشاهدة والفرجة فقط لاغير، وأنى — والله العظيم ثلاثة — لن أعمل هناك حتى لو اتحايلوا علىّ . . لأفوز فى النهاية بتأشيرة الدخول إلى الجنة التى إسمها لندن ، فى ختم صغير يقول فى كلمات إنجليزية صريحة وواضحة إنه : « غير مسموح لى بالعمل فى إنجلترا بأجر أو بدون أجر » ، وأن المدة التى سأقضيها فى لندن غايته أسبوعين ثلاثة وبالكتير شهر . . وحتى بعد هذا الختم وهذه التأشيرة لن أستطيع أن أعتبر نفسى فى لندن فعلا إلا بعد أن أدوس شوارعها بقدمى حقيقة ، فإن أمامى أن أمر بنفس الامتحان العسير مرة أخرى أمام موظف مكتب الهجرة فى مطار لندن ، فإما أن يقتنع بكلامى هو الآخر فيفتح لى الباب لأدخل لندن، أو لسبب أو لآخر لا يجد كلامى مقنعا فمن حقه وسلطاته فى هذه الحالة أن يعيدنى إلى مصر على نفس الطائرة التى جئت عليها — كما حدث مع كثيرين آخرين قبلى — دون أن أرى من لندن إلا مطارها فقط ! !

على أى حال ، وربنا يستر . .

كنا

مجموعة

واحدة مكونة من ١١ شابا وفتاة مصريين : ٨ طلبة ، وطالبتين ، وأنا . . المفروض أنى أستاذ ، مدرس ، على رأس هؤلاء الطلبة العشرة المسافرين إلى لندن فى رحلة سياحية . . ده المفروض ، لكن الحقيقة أنى لم أتشرف بمعرفة أى واحد منهم من قبل ، إنما كان ذلك هو الترتيب المعمول حتى أستطيع أن أسافر على الطائرة بالتخفيض المسموح به للطلبة

والشباب تحت سن ٢٦ سنة . وللأساتذة والمدرسين فى أى سن على شرط أن يكونوا على رأس مجموعة لا تقل عن ١٠ من الطلبة . وهكذا حدث . .

عندى الوقت والفرصة الآن لكى أتأمل « تلامذتى » . . على المقعدين المجاورين لى الفتاتان الوحيدتان فى المجموعة : « إسراء » و « سامية » . . « إسراء » تلميذة فى الثانوية العامة تنتظر النتيجة ، ولا تعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية – وهى رايحة لندن ، وعلشان تشتغل هناك !! – لدرجة أنها حين احتاجت أن تشرب سألتنى أن أطلب من المضيفة أن تحضر لها كوب ماء ! ! . . و « سامية » طالبة فى سنة أولى فى كلية الآداب ، وحالها لا يزيد كثيراً عن حال زميلتها . .

الـ ٨ شبان ينقسمون إلى « شلتين » : أربعة وأربعة . . أربعة منهم أصدقاء أو زملاء فى كلية واحدة : تجارة أسيوط : « علاء » و « ممدوح » و « على » ورابعهم « محيى » شقيق « علاء » الأصغر : تلميذ فى ثانوى . . والأربعة الآخرون : « عماد » طالب فى كلية طب عين شمس ، و « فهمى » و « محمود » و « أبو زيد » طلبة فى كليات مختلفة . .

كان هؤلاء الطلبة العشرة هم « العينة » المفروض أن أسافر فى وسطهم لكى أمر بنفس ظروفهم وأعيش تجربتهم كاملة ، حتى أكتبها بصدق وبواقعية وبانفعال حقيقى . . وكانوا كأنهم قد اخترتهم على مزاجى فعلا . . فيهم ابن الذوات وابن الـ . . . مش ذوات . . فيهم المصقول اللميع المتوضب إلى حد كبير ، وفيهم اللى لسه جاى من أعماق الصعيد فى « قفة » مغلقة سوف تفتح لأول مرة فى لندن . . فيهم الثقيل الراسى الملىء بالذكاء والخبث والدهاء . . وفيهم الذى تدلى فكه هلعا وانبهاراً بمجرد أن رأى شكل الطائرة من بعيد وهى لسه على أرض مطار القاهرة قبل أن نركبها ، وكان فكه لا يزال مدلى وفمه مفتوحا فاغراً حين تركته فى شوارع لندن بعد ١٢ يوماً من وصولنا . . وأتصور أنه لن يستطيع أن يعدل فكه بعد ذلك أبداً . . تمثال حى للبلاهة والعبط . . قروى ساذج جاء إلى القاهرة

فشاهد تمثال رمسيس فانحرف ! ! . . وكما يقال « الكتاب يبان من عنوانه » . فإنه كان الوحيد في المجموعة الذي أشرت سفارة لندن في القاهرة على جواز سفره بعبارة « زيارة قصيرة » : وفهم موظف مكتب الهجرة في مطار لندن الرسالة ، فكاد أن يعيده من المطار ، لولا أنه — لأسباب سياحية قطعا — أراد ألا يحرم السائحين في لندن من متعة مشاهدته ، فسمح له بدخول لندن لمدة أسبوع واحد ، فقط لاغير ! !

أخيراً . .

استطيع

أن أطمئن الآن ، فأنا في هذه اللحظة أضع قدمي على أرض لندن نفسها . . مررنا جميعا من موظف مكتب الهجرة المتجهم الوجه . . كل منا خرج بتأشيرة على جواز سفره تسمح له بالبقاء مدة معينة في لندن . . « ممدوح » حصل على أسبوع واحد . . باقي الشبان وأنا أخذنا شهراً واحداً . . « إسراء » و « سامية » حصلت كل منهما على تأشيرة لمدة سنة كاملة . . « إسراء » و « سامية » أحسن حالا منا جميعا ، فإنهما قادمتان وفي جيب كل منهما تصريح عمل من وزارة العمل البريطانية يسمح لها بالعمل في إنجلترا . . استطاعتا الحصول على هذه التصاريح بواسطة أحد المكاتب الأهلية في القاهرة التي تقوم بتشغيل المصريين في لندن ، وتسلمتا عملهما فعلا في نفس الليلة . . أما نحن فيا عالم ، ماذا سوف تفعل لندن بنا وماذا سوف نفعل نحن مع لندن . . صحيح معنا — في مقابل ٥٠ جنيها دفعها كل واحد منا — خطابات من نفس هذا المكتب إلى مكتب آخر في لندن قيل إنه سوف يقوم بتشغيلنا فوراً ، لكنه سوف يفعل ذلك « دكاكيني » وسراً وبدون تصاريح عمل ، ولو فتشنا البوليس الإنجليزي في أي لحظة ونحن نعمل بدون تصاريح فسيقوم بترحيلنا إلى مصر على الفور ، بعد توقيع العقوبات والغرامات التي ينص عليها القانون

الإنجليزى . . لكن أملنا كبير فى أن الله لن يضع البوليس الإنجليزى فى طريقنا ولا يضعنا فى طريق البوليس الإنجليزى فى مدة شهور الصيف الأربعة التى سوف نقضيها هنا . . وياما غيرنا آلاف جاءوا إلى لندن واشتغلوا طول الصيف ورجعوا دون أن يكتشف البوليس الإنجليزى أمرهم . .

على أى حال ؛ هذه هى لذة المغامرة . .

وقادتنا

التعليمات

المطبوعة المعطاة لنا من هذا المكتب فى القاهرة إلى فندق من فنادق الدرجة العاشرة فى لندن يملكه پاكستانى اسمه « محمد أكبر » ، لنبيت ليلتنا الأولى فى لندن فى غرفة فى بدروم تحت الأرض ، ننا فيها ثلاثة أشخاص ، ودفع كل منا جنيهين ونصف جنيه إسترلينى ؛ يعنى أكثر من أربعة جنيهات مصرية . . منه لله !.

وفى الصباح لبسنا أشيك ما عندنا وذهبنا لنقابل الرجل الإنجليزى الذى نحمل خطابات إليه من المكتب الذى فى القاهرة ليقوم بتشغيلنا : مستر « برايان وورثنجتون » الرجل الذى سوف يفتح لنا أبواب الجنة التى إسمها لندن . . لكن يبدو أننا « مش وش جنة » ، فإن مستر « وورثنجتون » بعد أن لطعنا فى انتظاره فى مكتب الإستعلامات ساعة ونصف لم يسمح لنا بعدها حتى بأن نصعد إليه لنقابله فى مكتبه ، إنما نزل هو ليقابلنا تحت فى الإستعلامات ، وهو مندهش ومستغرب جداً أننا نطلب مقابلته : ليس لديه أى فكرة عنا على الإطلاق ؛ وليست له أى صلة بتاتا — ده كلامه — بذلك المكتب فى القاهرة الذى بعث بنا إليه ، وأنه متأسف جداً لأنه لن يستطيع — بناء على ذلك — أن يفعل لنا شيئاً !! ، وقال أيضاً إنه أرسل أكثر من مرة إلى ذلك المكتب الذى فى القاهرة يطلب منه ألا يرسل إليه أحداً لأنه ليس مسئولا عن تشغيل

هؤلاء الذين يرسلهم ! ! . . فلما احتج « علاء » بأن كل واحد منا دفع لذلك المكتب الذى فى القاهرة خمسين جنيها كاملة مقابل تشغيله فى لندن بواسطة مستر « وورثنجتون » ، أبدى مستر « وورثنجتون » دهشته البالغة وقال إن هذا الكلام خطير ومخالف للقانون الإنجليزى ، لأن تصاريح العمل فى إنجلترا تستخرج مجانا ولا يدفع طالبها مليما واحداً ، ولا تتقاضى الشركة التى يمثلها مستر « وورثنجتون » عنها ولا مليم . . « واللى أخد منكم الخمسين جنيه فى مصر ضحك عليكم . . ورحوا له مصر طالبوه بيهم . . وعن إذنكم وباى باى» !! . . وتركنا مستر « وورثنجتون » وعاد إلى مكتبه وعدنا نحن إلى الشارع بخُفَّىْ وورثنجتون ! !

ياأنهار

إسود . .

وبعدين ؟ ! هو احنا فى اسكندرية عاشان نأخذ الديزل الجرى ونرجع القاهرة نطبق فى زمارة رقبة ذلك الدكتور إياه مدير المكتب الذى فى القاهرة ، الذى خدعنا وضحك علينا وأخد فلوسنا ورمانا الرمية دى وما شغلناش ؟ ! . . ده احنا فى لندن ، فى انجلترا ، على بعد كذا ألف ميل من مصر . . ماذا سوف نفعل الآن ؟ ! .

وتذكرت أن فى جيبى خطابين آخرين من ذلك « المكتب الذى فى القاهرة » إلى اثنين من مساعديه (!!) الموجودين فى لندن . . كان قد أعطاهما لى فى آخر لحظة قبل السفر ، على أساس أن نلجأ إليهما إذا واجهتنا أية عقبات . . فلما استفسرته — قلقا — عن شكل « العقبات » التى يتوقعها ، قال إن مستر « وورثنجتون » ممثله فى لندن ، رجل يسافر كثيراً إلى خارج إنجلترا بحكم عمله ، وإنه « يوم فى أسپانيا ، ويوم فى سويسرا ، ويوم فى الفلبين ، بحثا وراء المزيد من الأيدى العاملة ، ويحتمل يوم ما توصلوا لندن يكون هو مسافر هنا ولا هنا . . فعلى ما يرجع

تقدروا تتصلوا بفلان أو فلان دول : وهما يتصرفوا ويشغلوكم » ! ! :
لكن مستر « وورثنجتون » لا هو مسافرهنا ولا هنا . . آهو هنا . :
وقابلنا هنا ، وطردنا من هنا ، وقال لنا ماتجوش تانى هنا . . ومع ذلك ، خلينا وراء « الدكتور » لغاية باب الدار . . حانخسر إيه أكثر مما خسرناه فعلا ، و « آهو يا طابت يا اتنين عور » ! ! .
ومن كشك التليفون فى الشارع رفعنا سماعة التليفون واتصلنا بمساعده الأول : مستر « كامل دسوقى » . . وآهو مصرى زينا ؛ وعلى الأقل حانعرف نتحدد ونَدى معاه ، وحايشوف لنا حل . . لكن الرد اللذى جاء من مستر « كامل دسوقى » لم يختلف كثيراً عن رد مستر « وورثنجتون » :
« وأنا مالى ومال الشغلانة دى ؟ . . هو أنا فاضى والا عندى وقت للحاجات دى ؟ . . هو أنا قادر أشغل نفسى لما حاشغلكم إنتم ؟ » . .
« طيب يا سيدى كتر خيرك ، متأسفين لإزعاجك » ! ! . . أما « المساعد الثانى » مستر « محمد أحمد إبراهيم » فقد ريح نفسه وأخدها من قصيرها ورد علينا فى التليفون ليقول إنه : « مش موجود . . دخل المستشفى يعمل عملية وما نعرفش حايخرج إمتى » ! ! . .

صعنا

— من

الصياعة — والحمد الله : . ماذا سوف نفعل الآن وقد سدت فى وجوهنا كل السبل ؟ ! .
وتجلس جميعا على الرصيف فى ميدان « راسل اسكوير » نحاول أن نبحث عن حل . . وبالرغم من أننى أنا شخصيا فى داخلى كنت مبعثراً تماما وأعانى — بصدق — هلعا مما ينتظرنا الآن بعد أن فقدنا الأرض التى كنا نتصور أننا واقفين عليها . . أشعر تماما بمشاعر « الطالب » المصرى الذى وجد نفسه فجأة « صايعا » فى بلد غريبة فى أوروبا ، ونسيت تماما

أنى صحفى ولست طالبا . . إلا أن المجموعة التى معى اتجهت أنظارهم جميعا إلىّ ، على اعتبار أنى الكبير فيهم ، وصحفى ، ولندن ليست جديدة علىّ ، وعلى ذلك فيجب أن أتصرف أنا ! ! .

أنا ؟ ! أنا اللى أتصرف ؟ ! أتصرف إزاى ؟ ! أنا لاعمرى كنت « مخدم » ولا باعرف أشغل حد . . ثم ده احنا فى لندن . . يعنى لو فى مصر كان ممكن أعطيك كارت توصية تروح بيه لأى حد وانت وحظك . . لكن فى لندن ممكن أعمل ايه ؟ ! ، أشغلكم إزاى إذا كنت أنا نفسى جاى علشان أشتغل وأديني زيي زيكم آهه مش لاقى شغل ! ! .

ومع ذلك ، فلنبذل محاولة ، مش حانخسر حاجة . . رفعت سماعة التليفون مرة أخرى وطلبت « ليلى سليمان » : صديقة مصرية مقدمة برامج فى إذاعة القاهرة تعيش وتعمل فى لندن منذ سنتين . . وقطعاً أصبحت عندها خبرة الآن بهذه الأشياء . . وجاءت « ليلى » وأخذتنا جميعا إلى مكتب « ماسكوت » : مكتب من مكاتب التشغيل أو التوظيف العديدة المنتشرة جداً فى لندن . . لكن مستر « ماسكوت » يعتذر لنا بأن لديه فى الوقت الحالى أسماء ٦٥ طالبا مصريا يريد أن يعثر لهم على وظائف ومش عارف ، لأنهم جميعا جاءوا متأخرين جداً عن بداية موسم الشغل . . فنحن الآن فى منتصف يوليو ، والمفروض أنه كلما وصل الطالب إلى لندن بدرى كانت فرصته فى العمل أكبر وأحسن . . ولكن أن تمتلىء لندن فجأة بعدة آلاف من الطلبة المصريين فى وقت واحد ، أغلبهم لا يتكلم — ليس فقط لا يجيد ، لكنه حتى لا ينطق — اللغة الإنجليزية . . إلى جانب عدة آلاف آخرين من الطلبة الأجانب من مختلف الجنسيات ومختلف الدول ، فيزيد العرض ويقل الطلب . . الطلبة كثيرون والأعمال والوظائف محدودة ، فيصبح الأولاد فى الشوارع . . وهنا لا تنفع الفهلوة ولا الفناكة المصرية . . علشان تلاقى فرصة عمل وتشتغل فى وسط هؤلاء الآلاف الموجودين فى لندن لابد وأن تكون أحسن من غيرك . . أحسن من غيرك

إزاى إذا كنت لا تعرف اللغة الإنجليزية ؟ وصاحب العمل يشغلك ليه إذا كنت إنت مش عارف تتكلم وياه هو شخصياً ، وفى الوقت نفسه بيجد أمامه عشرات من الشبان من مختلف الجنسيات يتكلمون إلى جانب الإنجليزية عدة لغات أخرى ؟ ! .

ويعتذر

مستر

« **ما سكوت** » بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا من أجلنا . . وتنصرف « ليلى » هى الأخرى لكى تلحق ميعاد شغلها ، لكن بعد أن تضع أيدينا على طرف الخيط : « مكاتب التشغيل » أو « وكالات التوظيف » : فى كل شارع من شوارع لندن تجد العديد من هذه المكاتب أو « الوكالات » : محل عادى فى مستوى الشارع له « فاترينة » زجاجية كل ماهو معروض فيها بطاقات وكشوف بالوظائف المعروضة ، والمفروض أن يستعرض طالب العمل هذه الوظائف المعروضة من خلال زجاج الفاترينة ، فإذا وجد فيها شيئًا يناسبه دخل المكتب أو الوكالة ليعرض خدماته . .

ودخنا دوخة الإبل فى صحراء « كالاهارى » ونحن نلف شوارع لندن كلها على كعوب رجلينا نبحث عن عمل فى هذه المكاتب أو الوكالات ، حتى تصورت أننا لو حسبنا المسافات التى مشيناها على أقدامنا لكانت قدر المسافة بين القاهرة ولندن ، سيراً على الأقدام ! ! . . وامتلأت جيوبنا بعشرات من الكروت والبطاقات فيها عناوين مكاتب أخرى من هذا النوع . : وتدخل المكتب فتقابلك البنات الموظفات بابتسامة عريضة واسعة رائعة ، فتظن أن البنت قد طبت فى غرامك وأصبحت صريعة هواك ، لكنها تعتذر لك بأنهم فى الوقت الحالى ليس لديهم الوظيفة التى تناسب « إمكانياتك » ، وابقى فوت علينا وقت تانى و : « باى باى » ظريفة رقيقة ناعمة وتلاقى نفسك فى الشارع مرة أخرى ! .

إذا كنت « فتاة » فسوف تجد عملا فى لندن بعد نصف دقيقة من وصولك . . فالبنت فى لندن — أى بنت : من أى جنس وصنف ولون — عملة صعبة يتخاطفها الجميع ، لوجه العمل فقط فعلا . . أما إذا كنت « ولداً » فينبغى أن يتوافر فيك شرط واحد على الأقل من هذه الشروط الثلاثة : إما أن يكون معاك تصريح بالعمل فى إنجلترا . . أو تكون من إحدى دول السوق الأوروبية المشتركة : فرنسا — هولندا — بلچيكا — لوكسمبورج — ألمانيا الغربية — إيطاليا — إيرلندا الجنوبية . . : أو من إحدى دول الكومنولث : الهند — بنجلاديش — سيلان — استراليا — نيوزيلاندا — كندا — قبرص — جامايكا — مالطة — سنغافورة . . : إلخ : : أما غير ذلك فمجرد وجودك فى لندن للبحث عن عمل مخاطرة كبرى . .وكل وكالة من وكالات التوظيف دخلناها قيل لنا فيها إن لديهم ٣٠٠٠ طالب على الأقل يبحثون لهم عن وظائف ، ويطلبون منا أن نمر عليهم بعد ٣ أسابيع ! ! . .

بعد ٣ أسابيع حاتكون فلوسنا خلصت ، وحانقف فى « أوكسفورد ستريت » نشحت باللغة العربية بإذن الله ! ! .

(٢)

□ عليوة . . يفرض شروطه على لندن ! □

ونحن

جالسون

على رصيف ميدان « راسل اسكوير » نتدبر أمورنا ، انضم إلينا شاب مصرى آخر جاء وحده بخطاب — أيضا — من ذلك « المكتب الذى فى القاهرة » (! !) . . ولم يكن حظه أسعد كثيراً من حظنا ، فقدطرده الخواجة « برايان وورثنجتون » شر طردة هو الآخر حتى دون أن يكلف نفسه عناء مقابلته . . . فجاء لينضم إلينا ويتلم المتعوس على خايب الرجا ، وعيشة على أم الخير ! : . « سيد » : موظف شاب مرموق فى هيئة التليفونات فى القاهرة ، سمع « الحواديت » التى يحكيها الطلبة المصريون الذين سافروا إلى أوروبا فى الأعوام الماضية ، ولأنه طموح وابن بلد و « فهلوى » فقد حصل على أجازته السنوية وجاء يغزو لندن هو الآخر . . وها نحن جميعا الآن نبدأ « غزو » لندن من على رصيف « راسل اسكوير » ! ! .

وأكتشف مع نهاية اليوم الأول لنا فى لندن أننى قد أنفقت عشرة جنيهات إسترلينية فى يوم واحد . . بين إقامة ومواصلات و «شبرقة».. الفلوس الإنجليزى تتبخر من بين أصابعنا بسرعة البرق . . ولم يكن ممكناً وقد ضاعت آمالنا فى العمل السريع الفورى، الذى سنتسلمه « فى نفس يوم وصولنا » كما قيل لنا فى ذلك المكتب الذى فى القاهرة ! . لم يكن ممكناً

أن نستمر فى الإقامة فى ذلك الفندق الباكستانى الذى يتقاضى من كل منا جنيهين ونصف جنيه إسترليني فى الليلة الواحدة . . وبدأنا جميعاً نشعر بخيبة الأمل والرعب الشديد من « الفلس » وما يمكن أن يحدث لنا بعد أن ينتهى المبلغ الإسترليني المتواضع جداً الذى خرج به كل منا من القاهرة : ٣٠ جنيهاً : ضاع منها ١٠ جنيهات فى ليلة واحدة ! . . يعنى علينا بعد ٣ أيام فقط ، أو يومين آخرين من الآن،أن نحمل حقائبنا ونتجه بأسرع وسيلة مواصلات ممكنة إلى مطار « هيثرو »لنعود إلى القاهرة فى أول طائرة ، ونقابل شماتة الأهل وسخرية الأصدقاء أفضل وأكرم لنا ألف مرة من أن نقابل البهدلة والمرمطة والمبيت على دكك الـ «هايد بارك » والتعرض لظارف وأدب وحسن رعاية أمناء الشرطة الإنجليز ! ! . . الشيء الوحيد الذى شعرت بالامتنان من أجله هو أن السفارة الإنجليزية بالقاهرة لم تكن تعطى تأشيرتها لأى طالب مصرى إلا بعد أن تطمئن إلى أن معه تذكرة الطائرة إلى لندن ذهاباً وإياباً . . أهم حاجة فى الدنيا الآن هى حكاية « إياباً » هذه . . تذكرة « الإياب » على الطائرة فى جيبى ، وحينما أضع يدى فى جيبى فلا أجد فيه غير ٥٠ بنساً فقط ، فسأركب أول أوتوبيس إنجليزى إلى المطار ، فإلى القاهرة فوراً ، وأفوز من الغنيمة بالإياب ! .

لكن

على

أى حال لا داعى لليأس والإستسلام من الآن ، فما زال فى جيب كل منا عشرون جنيهاً كاملة ، يعنى ما زال أمامنا بعض الفرصة وبعض الوقت ، على شرط أن نربط الأحزمة من الآن ونتعامل مع أنفسنا بحزم وصرامة : لا إنفاق على الإطلاق إلا للضرورى والشديد القوى ! . . وأول بند فى الشديد القوى هو أن نرحل فوراً وبأقصى سرعة ممكنة عن ذلك الفندق الباكستانى قبل أن يحسب علينا ليلة أخرى بجنيهين ونصف آخرين . .

« طيب ونروح فين ؟! »... لنبحث إذن عن بيوت الشباب التي سمعنا أنها رخيصة جداً فى أى مكان فى العالم . . لكننى لست عضواً فى جمعية بيوت الشباب المصرية . . ويتضح أن أغلب الأولاد أذكياء ولم تفتهم هذه النقطة ، فقد اشتركوا فى جمعية بيوت الشباب فى القاهرة وحصلوا على بطاقة عضويتها لكى يستعملوها هنا وقت اللزوم . . لكننا لا نعرف مكان بيوت الشباب فى لندن . . إذن نضع حقائبنا فى الأمانات فى المحطة النهائية لأوتوبيس شركة « B.E.A. » قبل أن نذهب للبحث عن بيوت الشباب . .

وأتذكر

أن فى

... جيبى عدة أرقام تليفونات لعدد من الأصدقاء المصريين الذين يقيمون فى لندن فى الوقت الحالى . . أرفع سماعة التليفون من الشارع وأطلب « هدى » : صديقة مصرية قديمة تزوجت وعمرها ١٥ سنة من شاب يقيم ويعمل فى لندن ، ومنذ ذلك الحين وهدى تعيش متنقلة بين بيتين لها : واحد فى القاهرة والآخر فى لندن . . « هدى » مشهورة بين أصدقائها بأنها « عمدة لندن » التى تعرف حواريها وأزقتها وكل شبر فيها . . وتعرف إلى جانب الإنجليزية ١٥ لغة أخرى من اللغات الحية والميتة ، وفيها شهامة وجدعنة تكفى لعشرة رجال ! .

وكأن « هدى » كانت لابسة وجاهزة وتنتظر تليفونى — بالرغم من أنها لم تسمع صوتى منذ ١٠ شهور — فبعد دقائق كانت بيننا مغرقة فى الضحك على شكلنا البائس بعد لف ودوران طول النهار فى البحث عن عمل ، وحقائبنا مرصوصة أمامنا على الرصيف تنتظر الفرج ، بعد أن اكتشفنا — أيضاً — أن مخزن الأمانات يغلق أبوابه فى الخامسة مساء ! ، وبيوت الشباب لا تقبل نزلاء جدداً بعد الثامنة مساء ، ونحن الآن فى العاشرة . . يعنى

مقفلة من كل ناحية . . و « تفتكرى نعمل إيه دلوقتى يا هدى ؟ ! » :
ويبدو أن حالتنا صعب عليها . فكان الحل هو آخر شيء ممكن أن نتوقعه
أو حتى نفكر فيه : بتنا الليلة نائمين على الأرض فى غرفة الصالون فى
بيت « هدى » ! ! .

وأسلمنا

قيادتنا

تماما إلى « هدى » ، التى راحت توجهنا وترشدنا إلى السبيل الصحيح للحصول على عمل فى لندن : لا تذهبوا جماعة للبحث عن عمل ، فالإنجليز لا يحبون أن يسلموا العمل لشلة تعرف بعضها ، حتى لا يضيع وقت العمل فى الدردشة والرغى . . قسموا أنفسكم اثنين اثنين ، وكل اثنين يذهبان للبحث عن عمل فى شارع مختلف . . ابعدوا عن منطقة وسط لندن فهى مزدحمة بطالبى العمل إلى حد التكدس ، وفى الوقت نفسه ليس فيها أى خرم إبرة ممكن أن تنفذ منه إلى عمل . . لا تتركوا أنفسكم مبدلين أو منكوشين أو ذقونكم غير محلوقة ، لا تسألوا عن العمل بذلة ومسكنة واستجداء ، لكن ببساطة وأدب وكبرياء . .

وبالرغم من أننا نفذنا نصائح « هدى » بحذافيرها ، إلا أن الأيام ظلت تجرى يوماً بعد يوم دون أن يجد واحد منا أى عمل ، لأسباب عديدة ، أهمها أننا ليس معنا تصاريح عمل ، وثانيها أن أغلب الأولاد لا يعرفون مجرد مبادئ اللغة الإنجليزية ويتكلمونها كما لو أنها اللغة الصينية . . حتى مجرد الجمل البسيطة التى يسألون بها أصحاب الأعمال عن عمل كنت أنا و « هدى » نقوم بتحفيظها لهم كما هى ، وأحياناً كتابتها لهم فى ورقة فى يلهم ـ واحد منهم كتبها على كفه ! ! ـ ورغم ه مكانوش بيعرفوا يقرأوها .
وكنا نخرج من بيت « هدى » فى الثامنة صباحاً فنظل نلف على كعوب رجلينا حتى قرب منتصف الليل ، فنعود إلى البيت ونحن نجرجر أقدامنا

المهالكة من التعب والإرهاق . . ولأنه لم يكن لدينا الوقت لنبحث عن عمل ونبحث فى الوقت نفسه عن مسكن . فقد احتملتنا سجادة غرفة الصالون فى بيت « هدى » أسبوعاً كاملاً ! ! .

وبالرغم

من

أننى أعتبر نفسى من أبطال « المشى » فى مصر ، لأننى أحب المشى جداً ، إلا أننى كرهت المشى الاضطرارى هنا ، الذى يجعلنى أمشى ١٨ ساعة فى اليوم ولا أكاد أستريح أو أهدأ لحظة واحدة طول اليوم . . فقد كنت – وكنا جميعاً – فى سباق ليس مع الزمن وحده هذه المرة ، وإنما أيضاً فى سباق مع العشرين جنيهاً المتبقية مع كل منا . . فلو انتهت هذه الجنيهات العشرون قبل أن نجد عملاً لكان علينا أن نرفع راية التسليم ونعود إلى مصر نجرجر أذيال الخيبة والفشل . .

وبدا الأمر كما لو أن الإنجليز يتسلون علينا : تدخل مطعماً من سلسلة مطاعم الـ « A.B.C. » فى « أوكسفورد ستريت » مثلاً فى وسط لندن ، فيقابلنا مديره بابتسامة طيبة وباعتذار رقيق ويقول لك : « متأسفين . . الفرع بتاعنا ده ما عندناش فيه أعمال خالية فى الوقت الحالى . . لكن لو ذهبت لفرعنا فى (إيلينج برودواى) حاتلاقى عندهم شغل عاشانك » . . وتركب الـ (أندرجراوند) أو المترو تحت الأرض لمدة ساعة كاملة ذهاباً ومثلها إياباً ، وتدفع جنيهاً إنجليزياً فى المواصلات رايح جاى ، ويقابلونك فى الـ « A.B.C. » فى (إيلينج برودواى) بابتسامة أطيب وباعتذار أرق : « متأسفين جداً . . لو كنت جيت إمبارح كنت لقيت شغل ، لكن لو رحت الفرع بتاعنا اللى فى (بريكستون) أكيد حاتلاقى هناك شغل » . . وزيادة فى التأكيد يرفع سماعة التليفون ويتصل بـ (بريكستون) ويوصيهم عليك خيراً ، ، وتركب الـ (أندرجراوند) ساعة أخرى وتدفع جنيهاً آخراً

لتقابلك فى (بريكستون) نفس المقابلة الطيبة ونفس الابتسامة الرقيقة و : « لو كنت قلمت ١٠ دقايق بس كنت لحقت الوظيفة . . لسه معينين فيها واحد تانى دلوقتى حالاً . . لكن لو رحت الفرع بتاعنا اللى فى ريتشموند . . . » . . إلخ . . وإذ ذاك تكتشف أن الإبتسامة الرقيقة لم تكن إلا ابتسامة سخرية ، وتكتشف أنك أضعت يوماً كاملاً وجنيهين أو ثلاثة لكى يتسلى عليك السادة الإنجليز ويشوروك فى طول لندن وعرضها مشورة الأرامل فى إدارة المعاشات فى وزارة الخزانة فى القاهرة ! .

أسبوع

كامل

مر علينا الآن فى لندن دون أن نجد عملاً بعد ، لا أنا ولا باقى « الزملاء » . . وأصبحت المسائل شكلها كئيب جداً ولا تبشر بأى خير ، ولا أمل قريب يبدو فى الأفق ، حتى الأبواب التى كانت مواربة وقابلة للفتح أصبحت الآن مسدودة ومقفلة تماماً ! . . وهرب منى تماماً شعور الصحفى الذى يجرى وراء تجربة صحفية جديدة ، ولم يبق إلا شعور العاطل الذى يبحث عن عمل ويقلقه الغد وفلس الغد وما يمكن أن يترتب على هذا الفلس ، وبدأت أندم على أننى وضعت نفسى فى هذا الموقف وهذه الظروف : مالى أنا ومال الطلبة المصريين اللى بيسافروا أوروپا فى الصيف !؟ ما كنت قاعد فى مكتبى فى المجلة فى مصر باكتب عن مذيعات الإذاعة وحسناوات التليفزيون ، وباقبض مرتبى كل أول شهر وأنا مستريح ، وكنت باتخدم وبيجى لى الشاى واللبن كل يوم الصبح فى سريرى وأقوم من النوم ألاقى الفطار جاهز ومتحضر والجرايد إلى جواره ، وأصحى وقت ما أنا عايز وأنام وقت ما أنا عايز . كنت باسهر لغاية الساعة ستة الصبح — أكتب طبعاً — وأنام لغاية الظهر . . حتى عاداتى البسيطة قد تغيرت : كانت عادة مقدسة عندى أن أنام فترة

الظهيرة كل يوم . فبطلت نوم العصر لأنى أبحث عن عمل ، ولأن الشمس تغرب فى لندن فى هذا الوقت من العام فى العاشرة مساءً . . وكنت أتعامل مع الدش فى الصيف عدة مرات فى اليوم الواحد ، لكننى الآن أقضى ١٨ ساعة فى اليوم بنفس الملابس التى خرجت بها من الصباح حتى منتصف الليل . دون أن تتاح لى الفرصة لمجرد أن أتشطف أو أغسل وجهى مرة واحدة خلال اليوم ! ! . .

وكأن

متاعبى

لم تكن تكفينى ، فقد زاد عليها إحساسى بنوع من المسئولية تجاه الجزء من مجموعة الأولاد المصريين الذين معى هنا ولا يعرفون عن اللغة الإنجليزية إلا أن هناك لغة ما فى العالم إسمها كلمة ، بالرغم من أنهم طلبة فى الجامعة ! ! . . فقد وجدت نفسى فجأة أعمل مترجماً لهم وأضطر إلى مرافقتهم فى كل خطواتهم أو اصطحابهم معى فى كل خطواتى ، حتى أتصدى أنا للكلام والترجمة وقت اللزوم ، يعنى باختصار أصبحت « آخاهم فى إيدى » كل يوم الصبح لكى أبحث لهم — أنا — عن أعمال : ممدوح » و « سيد » و « عليوة » . . « ممدوح » و « سيد » كانا متواضعين ومسلمين أمرهم لله ومستعدين يشتغلوا أى حاجة وبأى أجر . . أما «عليوة» فهو نموذج ظريف جداً وغريب جداً وحدوتة لوحده إذا قابلته فى القاهرة ، فما بالك به فى لندن : طالب فى كلية التجارة بجامعة أسيوط . . طول وعرض وجتة ولا شيال فى محطة مصر . . يتكلم باللهجة الصعيدية على طول ، ولم يسمع أصلاً عن أن هناك لغات أخرى فى العالم غير اللغة العربية ، ما عندوش خبر ، ما حدش قال له . . غشيم ومتعافى . . حواديته لا تنتهى عن مغامراته وغزواته بسيارته الـ « تاونس » التى يقتحم بها شوارع القاهرة ، وفتونته وخناقاته مع كل الناس . . ويبدو أن أسرته هنا فى

قريتهم عزوة وعصبية وكلمة مسموعة ماشية على الكل ، لذا يتصور أن لندن فرع من (ملوى) . . يريد أن يمشى كل شىء هنا أيضاً على مزاجه ، ويتصور أن الناس الإنجليز هنا ينبغى أن يعاملوه كما يعامله الناس الفلاحين فى قريته . . هنا أيضاً يريد أن يضرب كل الناس ويشتم كل الناس ويرغم كل الناس على تنفيذ رغباته وتعلياته وأوامره . . يعارض — بغشومية وبجهل — فى كل شىء ويريد أن يفرض آراءه هو على الجميع : كل ما يقوله الجميع خطأ وهو الوحيد اللى يتكلم صح وكل ما يقوله هو عين الصواب وعين العقل . . الرأى رأيه والشورة شورته ، ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية ويفترض أن الإنجليز هم اللى كان لازم يكونوا بيعرفوا عربى ما دام « عليوة » جاى لندن ! ! .

لاحظ « عليوة » إعجابى بتكوين شخصيته ، فبدأ يتصرف كأننى ما جئت إلى لندن إلا خصيصاً لكى أكون مرافقه الخاص ومترجمه الملاكى : يريدنى ألا أبحث عن عمل لنفسى إلا بعد أن « أعثر » على عمل له هو أولاً ، ليس ذلك فقط ، لكنه قبل أن ندخل أى مكان لنسأل عن عمل « له » يعطينى « تعلياته » وأوامره فيما يتعلق بالأجر الذى « يطلبه » : الطلبة عادة يعملون بأجر أسبوعى فى حدود ١٥ جنيهاً ، لكن « عليوة » يشترط أن يتقاضى ٣٥ جنيهاً فى الأسبوع ، ومع « الإقامة الكاملة » على نفقة صاحب العمل أيضاً ! ! . كما أنه يشترط أن يكون صاحب العمل بيعرف يتكلم عربى : « أمال أنا حا أعرف أتفاهم معاهم إزاى » ؟ ! !

الإنجليز

يسمون

الأندرجراوند أو المترو الذى يسير تحت الأرض عندهم ، يسمونه الـ « تيوب » أو « الأنبوبة » ، لأن الأنفاق التى يسير فيها تحت أرض لندن تشبه الأنبوبة فعلاً . . وعلى ذلك فقد دخنا دوخة التكالى اليوم فى

« الأنبوبة » . . طول النهار راكبين « الأنبوبة » رايحين جايين فيها لما اتكسرت رجلينا واتهد حيلنا . . تسعة أيام فى لندن الآن ونحن نبحث عن عمل دون جدى وبدون أى نتيجة .. الجميع يشترطون أن تكون معنا تصاريح عمل من وزارة العمل الإنجليزية ، لأنه بدون تصاريح عمل فالسفارة الإنجليزية فى القاهرة تختم على الباسبور بأنه غير مسموح لحامله بالإشتغال فى إنجلترا بأجر أو حتى بغير أجر . . ذهبنا مرة أخرى إلى الخواجة « ماسكوت » مدير وكالة التوظيف ، فقال لنا إن لديه ١٠٠٠ وظيفة لنا إذا كان معنا تصاريح عمل ، لكن بدون تصاريح عمل فهو متأسف جداً . . الأعمال الحقيرة التى يرفضها الإنجليز وكل الناس هنا ولا يقبلها إلا الزنوج ، يقبلها الطلبة المصريون الذين يصلون إلى لندن فى وقت مبكر بعد انتهاء الإمتحانات مباشرة ، أما الذين يصلون متأخرين زى حالاتنا فهؤلاء يلوصون لوصة مهببة ، ويحتاسون حوسة الإبل فى عاصفة رملية على الصحراء ! . .

بأه مكانتشى مصر تنضم للسوق الأوروبية المشتركة ، ولو علشان خاطرنا ؟ ! ؟ :

وتلتقى

بالوجوه

المصرية وبالطلبة المصريين وباللغة العربية باللهجة المصرية فى كل شبر تمر فيه فى لندن ، حتى تصورت فى وقت من الأوقات أن فى لندن من المصريين الآن أكثر مما فى مصر نفسها ! ! . . وتلتقى أيضاً فى كل مكان بقصص النجاح الوهمية الخرافية من الطلبة المصريين الذين تقابلهم ، فيدعون أنهم يتقاضون ٥٠ جنيهاً فى الأسبوع غير الأكل والشرب والنوم !! . ولما نجد أن هذه الحكايات « واسعة شوية » نسألهم : « وانتوا بقالكم قد إيه فى لندن ؟ » ، فيقولون أسبوع أو عشرة أيام . . نسألهم : « طيب

بتشتغلوا فين علشان نيجي نشتغل معاكم ؟ » فيتهربون منا ولا يذكرون لنا أماكن عملهم ، أو يعطوننا أى عناوين غير صحيحة تخطر على بالهم ، ونذهب فنجد هذه العناوين لكنيسة أو سفارة أجنبية أو مدرسة أطفال أو محطة سكة حديد ! ! . .

وجاء

الفرج

أخيراً . . أو ما اعتبرناه نحن بداية انفراج أزمتنا . وكان ذلك بسبب : « الطفاسة » ! ! . . كنا كل يوم ننقل مجال بحثنا عن عمل إلى منطقة جديدة أو حى آخر جديد من أحياء لندن غير الحى الذى بحثنا فيه بالأمس . . ذهبنا اليوم نبحث عن عمل فى منطقة « فليت ستريت » أو شارع الصحافة فى لندن . . وانقطع قلبنا وانكسرت رجلينا والمطر غرقنا ومتنا من الجوع . . ثم أتت الطفاسة بنتيجة حين دخل « علاء » و« ممدوح » ليشتريا صاندوتشات من مطعم أو رستوران . فخرجا منه – إلى جانب الصاندوتشات – بوعد بالعمل فى نفس المطعم اعتباراً من الغد . . لذا ، فبعد خروجهما بقليل دخل « يحيى » و « عماد » نفس المطعم ليلعبا نفس اللعبة ، يشتريان صاندوتشات ويسألان عن عمل ، وخرجا بنفس النتيجة : الصاندوتشات والوعد بالعمل فى الغد ! ! . . هايل . . الحمد لله ، بدأت تفرج ، ويبدو أن هذا المطعم لقطة . . لكن لما دخلت بعد ذلك أنا و « علوة » قالوا لنا : « متأسفين . . خلاص الوظائف اللى عندنا خلصت » الظاهر علشان لم نشتر صاندوتشات ! ! . .

الظريف أنه حين ذهب « علاء » و « ممدوح » فى اليوم التالى ليتسلما عملهما حسب الوعد – وكانا هما اللذين تلقيا الوعد أولاً – اعتذرت مديرة المطعم لهما بأن الوظائف الخالية قد شغلت . . وذهب « يحيى » و « عماد » بعدهما بدقائق فتسلما العمل فعلاً ! ! . . غريبة جداً هذه الحكاية . . .

لكننى أعتقد أن شكل « ممدوح » المنحول دائماً المتلمق الفك دائماً هو الذى جعل الست المديرة ترفض « ممدوح » و « علاء » معاً !!..

وفى اليوم التالى استطاعت قائمتنا «هدى» أن تعثر لـ « سيد » على على وظيفة مساعد طباخ فى مطعم متواضع فى (بيكوسترين) . . يقشر بطاطس طول اليوم ثم يمسح المطبخ قبل أن ينصرف : فى مقابل ثلاثة جنيهات إسترلينية يومياً . لثلاثة أيام فقط فى الأسبوع ، وإذا مسح الجزء من الرصيف الذى أمام المطعم يتقاضى ٥٠ بنساً أخرى !!.

لكن « سيد » رفض حكاية مسح الشارع هذه . . مركزه الاجتماعى — فى مصر — لا يسمح له بمسح الشارع . لكن بتقشير البطاطس معلش !!..

ثم وجد « علاء » أيضاً عملاً : « ووشر Washer» أو غسال أطباق فى مطعم إيطالى : يغسل الأطباق بيديه طول اليوم، يعنى حتى ليس على ماكينة غسيل الأطباق الأوتوماتيكية الشهيرة التى تغسل الأطباق وحدها . ومن يعمل عليها لا يكون عليه إلا أن يرص الأطباق المستعملة على رفوف خاصة ثم يدفعها إلى داخل الماكينة ويقفل عليها ويضغط على زر فتقوم الماكينة وحدها بكل العمل ، ثم يرص الأطباق بعد غسلها على رفوف أخرى حتى تصبح جاهزة للاستعمال . . أما صديقنا « علاء » فهو يغسل الأطباق بيديه طول اليوم فى مقابل ثلاثة جنيهات ونصف يومياً لخمسة أيام فى الأسبوع..

كويس . . العجلة دارت . . ولم يبق غيرى أنا و « ممدوح » و « عليوة » . .

وبيدء

انفراج

الأزمة — جزئياً — بدأت الأخلاق تظهر على حقيقتها : « الأستاذ » علاء اشتغل ، فعين نفسه قائداً وزعيماً لنا جميعاً ، وبدأ يصدر تعلياته

وأوامره وإرشاداته و « توجيهاته » . . وبدأت « المريسة » تظهر والحركات اللى مش ولابد : عاد ذات مساء من « شغله » ليبشرنا أنه قد وجد عملاً لـ « ممدوح » من الغد فى مطعم صغير إتفق مع صاحبه التونسى على أنه سوف « يرسل إليه » زميلاً مصرياً ليعمل عنده . . ولما كان « ممدوح » لا يتكلم الإنجليزية على الإطلاق ويتكلم العربية بصعوبة ، فقد « كلفنى » الأستاذ «علاء» بأن أذهب مع « ممدوح » لأقدمه لصاحب المطعم . . فلما ذهبنا فى اليوم التالى بدرى جداً فى موعد العمل ، فوجئ بنا الرجل التونسى ، وطردنا بجفاء شديد على اعتبار أن كل ما حدث أمس هو أن « علاء » سأله عن عمل فقال له « مفيش » وانتهى الأمر عند ذلك ! ! . .

وتكررت هذه القصة أكثر من مرة من الأخ « علاء » ، ونذهب فلا نجد شيئاً ، حتى بدا أن المصريين هم الذين يتسلون علينا الآن بدلاً من الإنجليز ! ! . .

صحيح أنه

مازال ثلاثة منا لم يعملوا بعد : « ممدوح » و « عليوة » وأنا . . لكن كان لابد وأن نترك بيت « هدى » بشكل عاجل جداً . . البيت الإنجليزى النظيف الأنيق الرشيق المخنوق تحول إلى مزبلة هائلة نتيجة مبيت سبعة أفراد على أرض غرفة الصالون كل ليلة ، ويخرجون الصبح بدرى جداً ويتركون الدنيا تضرب تقلب : البهوات اللى اشتغلوا رايحين شغلهم ومش فاضيين يوضبوا مطرح ما ناموا ، والبهوات اللى ما اشتغلوش مسروعين عايزين ينزلوا جرى علشان يبحثوا عن شغل . . ويتهد حيل « هدى » المسكينة فى إعادة الترخيب والتنظيف كل يوم حتى فاض بها الكيل ولم تعد تحتمل أكثر من ذلك فقالت لنا ما معناه : « يا بخت من زار وخفف ، وإن كان حبيبك عسل ، وانتوا آنستونا خالص وما نعطلكوش بأه » ! ! . .

وصحبتنا « هدى » إلى (كارميل هاوس هوتيل) : فندق صغير متواضع صاحبه تونسى متزوج من إنجليزية إسمه « محمد والى » . . ووافق الرجل على أن يؤجر لنا غرفة واحدة تضمنا جميعاً على أن يدفع كل منا ستة جنيهات ونصف كل أسبوع ، ونوافق نحن من باب « مكره أخاك لا بطل » ، ويتقاضى منا العربون فعلاً . . لكن « هدى » الطيبة الساذجة التى تتصور أن شهرتى كصحفى قد طبقت الآفاق وعبرت البحار والمحيطات ووصلت إلى لندن ، تقول للتونسى صاحب الفندق : « إنك ما تعرفشى الأستاذ حسين قدرى ؟! .ده الصحفى المصرى المعروف » ! ! . . ويبدو أن الرجل كان يعرفنى فعلاً ؛ لأنه رد لنا العربون على الفور وسحب موافقته على تأجير الغرفة لنا ! ! ؟ .

رضينا بمحمد والى ومحمد والى مش راضى ! ! . .

ويتطوع
رئيسنا

الجديد الأخ « علاء » بأن « يهتم شخصياً »وبنفسه « بحل المشكلة ، فيغرقنا زيادة . . ويذهب ليبحث عن فندق آخر نقيم فيه ؛ فيؤجر — باسمنا وبالنيابة عنا — غرفة حقيرة جداً تحت السلم فى فندق آخر إسمه (روس هاوس هوتيل) بإيجار أسبوعى قدره ١٤ جنيهاً للفرد الواحد منا !! وكنا قد أصبحنا الآن خمسة فقط . . وذلك معناه أن ندفع ٧٠ جنيهاً إيجاراً لهذه الغرفة الحقيرة فى الأسبوع ، أو ٣١٥ جنيهاً استرلينياً فى الشهر ؛ وبالمصرى ٥٣٥ جنيهاً فى الشهر !! . . هايل « علاء » ده !!

لكن المضطر يركب الصعب ؛ والصعب هنا هو هذه الـ ١٤ جنيهاً كل أسبوع ، وبالعملة الصعبة ، إنما لم يكن أمامنا إلا أن نقبل أى شىء قبل أن تطردنا « هدى » ؛ ويكفى ما سببناه لها من متاعب . . فلم يكن يخطر على بالى فى وقت من الأوقات أن تستضيفنى « هدى » أنا — برغم

صداقتنا — فى بيتها ، فكيف جهذه « المدرسة الداخلية » أو « الحضانة » التى فتحتها فى غرفة الصالون ! . ولعلها كانت وهى تفتح لنا بيتها بالكرم المصرى المعهود فيها والذى لا ينفع فى لندن : قد تصورت أن المسألة ليلة واحدة وتعدى ، فلما وجدت أنها قد وصلت إلى أسبوع كامل ومش باين لها نهاية : قالت : لأ بأه : خلينا إنجليز أحسن !! .

وكان

« سيد »

هو أول من يئس ورفع راية التسليم . : فبعد ٣ أيام عمل فقط فى تقشير البطاطس قرر أن المسألة لا تستحق كل هذه البهدلة ، وأنه مش جاى لندن علشان يقشر بطاطس ، كما أن مجموعة « التلامذة » تنبذه بعيداً عنها لأنه موظف ولأنه أكبر منهم سناً .. فقرر أن يعود إلى عمله فى مصلحة التليفونات فى القاهرة ويلبس بدلته الشيك ويمارس مهام منصبه ويتأمر على السعاة ويشخط فى صغار الموظفين اللى تحت إيده ! . وسلم « سيد » العهدة لمطعم (بيكو ستريت) : المريلة المشمع وسكينة تقشير البطاطس ، وعاد إلى القاهرة فعلاً بعدها بيومين !!

وفى نفس الليلة عثر « علوة » و « ممدوح » على عمل .: « عليوة المهم » سوف يتولى أعمال « النظافة » فى بار صغير لمدة ٥ ساعات يومياً خمسة أيام فى الأسبوع بأجر قدره جنيهان — بحالهم ! — فى اليوم : . يعنى ١٠ جنيهات أسبوعياً ، والمطلوب منه أن يدفع ١٤ جنيهاً كل أسبوع كإيجار لسريره فى الغرفة التى ورطنا فيها الأخ « علاء » !! .. معادلة صعبة فعلاً : ٥

أصبحت

أنا

الوحيد فى المجموعة الذى لم أجد عملاً حتى الآن . . وأصبحت أيضاً فى موقف حرج جداً بعد أن أوشكت نقودى أن تنتهى تماماً . . الباقى معى جنيهات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة . . لكننى كنت أحتفظ أيضاً بكارت أخير . . ورقة أخيرة . . كنت مصراً على ألا أستخدمها إلا فى حالة الضرورة القصوى وحين تقفل فى وجهى كل الأبواب . . وأظننى الآن مضطراً لأن ألعب هذا الكارت الأخير . . من كشك التليفون فى الشارع طلبت صديقتى الإنجليزية « جوسلين كليمنتس Jocelyn Clements » التى تعمل كمساعدة مدير عام المستخدمين فى سلسلة فنادق « ستر هوتيلز » التى تضم ٢٢ فندقاً من فنادق الدرجة الأولى منتشرة فى كل أنحاء إنجلترا . . ودعتنى « جوسلين » للذهاب إليها فى مكتبها الآن فوراً . .

وسمعت « جوسلين » حكايتى بسرعة وباختصار ، ثم رفعت سماعة التليفون وكلمت شخصاً إسمه مستر « هوبكنز » . . وبعد دقيقة واحدة وضعت السماعة مرة أخرى وقالت لى وعلى وجهها الجميل ابتسامة تضىء حتى شبرا بحاله : « مبروك . . لقد تم تعيينك فى وظيفة تناسبك تماماً وتخدم جداً الفكرة الصحفية التى تبحث عنها . . »

* * *

وفى نفس الليلة أيها السادة ، بعد ١٢ يوماً من البطالة والتعطل فى لندن ، وفى فندق « ستر إربورت هوتيل » بمطار « هيثرو » الشهير ، تسلمت عملى — عقبال ما تشوفوا أولادكم — : بواباً ! ! . .

(٣)

□ لوغاريتمات إنجليزية !! □

ذهبت

فقابلت

مستر « هوبكنز W. Hopkens » المدير المساعد لفندق « سنتر إيربورت هوتيل Centre Airport Hotel » الذى اتصلت به صديقتى « جوسلين كليمنتس » ، وشرحت له فكرة وشكل العمل الصحفى الذى أقوم به . . وأعجب مستر « هوبكنز » بالفكرة وبطريقة تنفيذها ، واتفقنا على أن يظل هذا الأمر سراً بينى وبينه هو فقط ، يعنى لا يعلم أحد من العاملين فى الفندق أنى صحفى ، حتى لا يتحرج الإنجليز الذين سيزاملوننى فيعاملوننى معاملة خاصة ؛ وحتى لا يتحفظ معى المصريون الذين يعملون فى نفس الفندق..

كانت الوظيفة التى رشحتنى لها « جوسلين » هى وظيفة « نايت پورتر Night Porter » ، و « پورتر » كما تعلمناها فى حصص اللغة الإنجليزية فى المدرسة وكما قرأناها فى قواميس الإنجليزى / عربى : معناها « شيال » أو « حمال حقائب » . . إذن فـ « نايت پورتر » معناها « شيال يعمل بالليل » . . وكانت هذه فعلاً هى الصورة التى رسمتها فى ذهنى وأنا ذاهب فى نفس الليلة لأتسلم عملى : « نايت پورتر » :

ويتسلمنى مستر « جون أوليرى John O'leary » كبير الـ « پورترز » : شاب طول وعرض ومنظر وأبهة ووسامة وشياكة كأنه ممثل سينما أجنبى أو ضابط فى الأسطول البريطانى . . يتسلمنى ليأخذنى إلى غرفة الملابس

لأختار الـ « يونيفورم » الذى يناسب مقاسى . . وضحكت جداً على نفسى وأنا أرى شكلى فى المرآة مرتدياً بدلة الـ « بورتر » الرمادية ذات الأزرار النحاسية الصفراء والياقة والأكمام الحمراء والبنطلون ذو الشريط الأحمر على الجانبين ، والكرافتة الكحلى المنقوش عليها شعار سلسلة فنادق الـ « ستر هوتيلز » ! ! . . الله يرحمك يا أمى . . يا ما نصحتينى وقلتى لى : « إبعد عن الصحافة ، الصحافة حاتبهدلك . . روح ، قلبى مش راضى عنك ، وبكرة حاشوفك شيال فى محطة مصر » . . وآهو حصل ودعوتها تحققت ، لكنها قطعاً لم يكن يخطر على بالها أن دعوتها سوف تستجاب على هذه الصورة : شيال صحيح ، لكن ببدلة شيك ، وفى مطار لندن ! ! . .

ويشرح

لى

« جون أوليرى » بشكل سريع عملى الذى سأقوم به ، ثم يقدمنى إلى رئيسى الجديد الذى سأعمل معه فى واردية الليل : « ريتشارد برايان Richard Brayn » . . على أن يتولى « ريتشارد » شرح التفاصيل لى شيئاً فشيئاً أثناء العمل . . وكنت أتصور أن المسألة مش محتاجة لشرح تفاصيل ولا حاجة . . فأية تفاصيل ممكن أن تكون فى عملية حمل الحقائب ؟! . حقائب وبتنشال على أى صورة من الصور . . يعنى هو انا حاشيل قنابل ذرية ؟ ! . .

لكن يتضح من لياتى الأولى فى العمل أن الأمر مختلف تماماً فعلاً عما تصورته ، وأن المسألة ليست مجرد حمل حقائب النزلاء وتوصيلها إلى حجراتهم . . فالـ « نايت بورتر » هو الحاكم الفعلى للفندق خلال فترة الليل : مكتب طويل عريض عليه ٣ تليفونات يدير من خلالها حركة الفندق كله خلال الليل : هو المسئول مسئولية كاملة عن الفندق ونزلائه من لحظة وصولهم إلى الفندق و بمجرد تسلمهم مفاتيح غرفهم منه ، حتى يسددوا حسابهم

ويسلمونه مفتاح الغرفة مرة أخرى.. كل علاقة النزلاء بمكتب « الإستقبال Reception » هو أن يملأوا عنده البيانات الموجودة فى الاستمارات ويتسلموا « رقم » الغرفة فقط ، ثم تنقطع صلتهم بـ « الإستقبال » تماماً بعد ذلك ويكون الـ « بورتر » هو المسئول عنهم : النزيل الذى يريد أن يستيقظ فى ساعة معينة ، أو يريد الإفطار فى غرفته ، أو يريد كذا وكذا من صحف الصباح . . النزيل الذى يريد أن يحجز لنفسه مكاناً على الطائرة المسافرة إلى أى مكان فى العالم ، الـ « بورتر » هو الذى يحجز له بالتليفون . . النزيل الذى سيقضى ليلة واحدة فى لندن ويريد أن يسهر فى مسرح أو سينما أو ملهى : الـ « بورتر » هو الذى يحجز له : بالتليفون . . النزيل الذى يريد أن يستأجر سيارة خاصة يقودها بنفسه طول المدة التى سوف يقضيها فى لندن : الـ « بورتر » هو الذى يستأجرها له : بالتليفون . . النزيل الذى لديه يوم واحد يقضيه فى لندن ويريد أن يقوم بجولة سياحية فيها ليرى أشهر معالمها : الـ « بورتر » هو الذى يرتبها له . . النزيل الذى يريد أن يسأل عن مواعيد قطارات السكة الحديد بين لندن وباقى إنجلترا . . النزيل الذى يملك سيارة ولا يعرف الطريق إلى المكان الذى يريد أن يذهب إليه . . النزيل الذى يريد أن يتصل بالتليفون أو يرسل برقية إلى أى دولة فى العالم : الـ « بورتر » هو الذى يقوم بكل ذلك : بالتليفون من على مكتبه . . النزيل الذى يريد أى شىء يخطر على باله ما عليه إلا أن يرفع سماعة التليفون فى غرفته ليطلب رقم تليفون مكتب الـ « بورتر » ويخبره برغبته ، وعلى الـ « بورتر » أن يحقق له ما يريده فى أسرع وقت ممكن حتى لو طلب لبن العصفور أو جناح نملة يتيمة الأب . . وذلك كله فى فندق به ٣٦٠ غرفة مزدوجة . . يعنى ممكن أن يتعامل الـ « بورتر » مع رغبات ٧٢٠ نزيلا كل ليلة لو أن كل نزيل طلب منه طلباً واحداً فقط ! !

وطبعاً

فإن

الـ « بورتر » يستعين فى تنفيذ كل ذلك بكل ما يحتويه مكتبه الهائل من قوائم مواعيد الطائرات على اختلاف شركاتها من لندن إلى أى مكان فى العالم . وقوائم مواعيد القطارات والأوتوبيسات والمترو تحت الأرض « الأندر جراوند » . وقوائم وأرقام تليفونات الوكالات التى تؤجر السيارات الخاصة ، وتحت يده البرامج الأسبوعية لكل مسارح وسينمات وملاهى لندن .. ومجموعة هائلة من الخرائط لكل شبر فى إنجلترا . . يعنى باختصار فإن الـ « نايت بورتر » ، أو الـ « بورتر » عموماً سواء كان يعمل بالليل أو بالنهار ، المفروض فيه أن يكون دائرة معارف متحركة ؛ وأن يجيد استخدام كل الوسائل والمراجع التى تحت يده لتنفيذ رغبات النزلاء ، وبسرعة جداً . . والمفروض أيضاً أن يكون لبقاً وظريفاً وذكياً ومبتسماً ومحترماً وواثقاً من نفسه وحسن التصرف . .

وطبعاً لم يكن مطلوباً منى أن أقوم بذلك كله من أول ليلة . . لكن المفروض أن أصل إليه بالتدريج يوماً بعد يوم طبعاً . .

ليس ذلك فقط هو كل عملنا — كما شرح لى زميلى أو رئيسى الإنجليزى « ريتشارد » — لكن « أمن » الفندق خلال فترة الليل هو جزء من مسئولياتنا أيضاً ، بل لعله الجزء الأهم : لو أن أحد المسافرين فى كافيتيريا الفندق شرب شوية زيادة وأساء التصرف : فالمفروض أن ذلك يدخل فى اختصاص الـ « بورتر » ، ابتداءً من تهدئة الزبون السكران وإخراجه من الكافيتيريا سواء بالحسنى وبالذوق أو بالعنف ، ثم بالبوليس إذا لزم الأمر . . المفروض أن أعرف شكل النزلاء بحيث لا أسمح بوجود غرباء فى الفندق خلال ورديتى : وردية الليل بالذات . . المفروض أن أمر على الفندق كله شبر شبر بغرفه الـ ٣٦٠ ثلاث مرات خلال الليل فى

جولة تستغرق نحو نصف ساعة كل مرة للاطمئنان إلى أن كل شيء على ما يرام .. إذا حدث واحتاج الأمر إلى استدعاء البوليس فإن الوحيدالذى من سلطاته ومسئولياته أن يفعل ذلك فى الفندق كله هو الا « بورتر » فقط لا غير . .

وبعد كل ذلك ، فإن آخر وأبسط وأسهل مهام الا « بورتر » هو حمل الحقائب من وإلى غرف النزلاء ! ! . .

رئيسى

الجديد

« ريتشارد » شخصية ظريفة جداً فعلاً : شاب إنجليزى عمره ٢٤ سنة . . من منطقة الا « إيست إند » فى لندن التى تشبه عندنا فى القاهرة بولاق وأبو العلا والحسينية . . يعنى منطقة « أولاد البلد » الإنجليز . . وأولاد البلد الإنجليز كما هو الحال مع أولاد البلد عندنا فى مصر : لهم طريقة أو « لكنة » خاصة فى الكلام واصطلاحات خاصة لا يكاد يفهمها إلا هم . . فهم يتكلمون وأفواههم مقفلة . . وبالضبط يتكلمون بشفاههم فقط وأسنانهم مضمومة لا تنفرج ، يعنى لا يفتحون أفواههم عندما يتكلمون زى كل خلايق ربنا ، فيخرج الكلام من بين أسنانهم مضغوطاً غير واضح وقد « تآكل » نصفه فلا تفهم ماذا يقولون ، ولا تعرف إن كانت اللغة التى يتكلمونها هى الإنجليزية فعلاً أم لغة أخرى خاصة بهم . .

« ريتشارد » من هذا النوع من الإنجليز الذين يتكلمون الا « كوكنى » فلا تفهم ثلاثة أرباع كلامه ، والباقى تفهمه بصعوبة جداً وبالحداقة والشطارة . . هذا بالإضافةإلى أنه هو شخصياً نموذج فى غاية الظرف للإنجليزى الطيب الساذج الأهبل الذى يصل إلى حد العبط أحياناً ، بمشيته الغريبة وملامح وجهه وحركات عينيه العصبيتين من وراء نظارته

البيضاء التي تجعله في مجموعه يشبه ممثلي الكوميديا الإنجليز الذين تقوم أفلامهم دائماً على شخصية البطل العبيط ذي التصرفات المضحكة ! !

وبالرغم من ذلك كله فقد كان « ريتشارد » رئيساً طيباً فعلاً .. شرح لي كل شيء ودربني على كل شيء بإخلاص فعلاً . . وكان واضحاً أنه سعيد جداً بوجودي . . وكل شوية يروح ويجي جايب لي معاه شاي أو كاكاو أو لبن ـ عرفت بعد ذلك أن كل هذه الأشياء ببلاش للعاملين في الفندق ! ! ـ حتى فوجئت به يسألني : « هل سأنشر صورته هو أيضاً في المجلة التي أعمل بها ؟ ! » فقلت له مندهشاً : « وكيف عرفت أنني صحفي ؟ » فقال وابتسامته العريضة تملأ وجهه كله : « كيف عرفت؟! إن كل من في الفندق يعرفون أنك صحفي مصري وأنك هنا لكي تكتب سلسلة موضوعات عن الطلبة المصريين » . . إلخ إلخ إلخ ! !

منك لله يا مستر « هوبكنز » . . بأه ده السر اللي احنا اتفقنا إنه يكون بيننا إحنا الاتنين بس ؟ ! .

ويبدو أن

عرق العبط ليس في « ريتشارد » وحده ، إنما هو أصيل ومتوارث ويمتد في جذور الأسرة الكريمة . . « ريتشارد » ـ بمجرد أن يعرف أنني مصري ـ يسألني على الفور : « سأجري لك امتحانا : ماهي أشهر أكلة شعبية في مصر ؟ » قلت له : « الفول المدمس » وشرحته له ، فهز رأسه نفيا ، قلت : « الطعمية » وشرحتها له ، فهز رأسه نفيا ! ! فاندهشت أنا : إيه ده بأه ؟ ! فزورة دي والا إيه ؟ ! هو حايعرف الأكلات الشعبية المصرية أكتر مني ؟ حايعرف البصارة مثلا أو الفول النابت أو الكشري أو العدس أو الفتة بالخل والتوم ؟ ! . . اختصرت الطريق وقلت له ما اعرفشي غير الفول والطعمية . : فقال وقد اتسعت

ابتسامته المبلاء لتحتل وجهه كله وهو يهز رأسه بحكمة الخبراء الحكماء العالمين ببواطن الأمور : « الكباب » ! !

الخواجه « برايان » الكبير — أبو « ريتشارد » — كان يخدم فى البحرية الإنجليزية فى شبابه أيام المراكب الورق ، وزار مصر مرة واحدة يتيمة لمدة أربعة أيام منذ سبعة وعشرين عاما ، أكل خلالها الكباب المصرى مرة . ولأنه راجل عاطفى وحساس ومخلص وعشرى فإنه لم ينس الكباب حتى الآن ! ! . . ويبدو أن هذه المسألة دخلت فى سجل تاريخ الأسرة ضمن الذكريات العائلية المجيدة لدرجة أن الأب يحدث أبناءه عنها باستمرار طيلة هذه الـ ٢٧ عاما ،حتى إن « ريتشارد » بمجرد أن يعرف أنى مصرى يسألنى على الفور عن « الكباب » اللى أبوه هوَّسْهُم بيه ! ! .

بالرغم

من

أننى قد اشتغلت فعلا وتسلمت عملى فعلا ، إلا أننى قد وجدت نفسى قد دخلت فى دوامة معادلة حسابية صعبة غير ممكن حلها بأى شكل ولا بالعقل الإلكترونى : عرفت من « ريتشارد » أن مرتبى سوف يكون ١٧ جنيها كل أسبوع ؛ يصل بعد الضرائب والخصومات إلى ١٤ جنيها وبضعة بنسات . . أنا الآن أسكن مع باقى الأولاد فى فندق بجى « ساسكس جاردنز » فى وسط لندن بـ١٤ جنيهـًا فى الأسبوع . . وأدفع فى المواصلات بين سكنى وبين الفندق الذى أعمل فيه فى ضاحية مطار «هيثرو» « ميدلسكس » جنيها كاملا فى اليوم ذهابا وإيابا . . وذلك معناه أننى إذا لم آكل ولم أشرب ولم أفعل أى شيء على الإطلاق غير دفع إيجار السكن ومصاريف المواصلات ، فإن ذلك سوف يكلفنى ٢٠ جنيها كل أسبوع . . فكيف يمكن أن أفعل ذلك بمرتبى الذى لن يزيد عن ١٤ جنيها ؟ ! . . .

لوغاريتم إنجليزى غير قابل للحل على الإطلاق قطعا ! ! .

لكن حيرتى انتهت ومشكلتى حلت تماما قبل أن تنتهى ليلتى الأولى فى العمل : « ريتشارد » حل جزءاً منها ، و « أمين القصاص » حل باقى المشكلة . .

جرسون

وسيم

من جرسونات الكافيتيريا بالجاكت الحمراء القصيرة والـ « بابيون » الأسود . أطل برأسه من باب الكافيتيريا حين هدأ الجو فى الفندق قليلا قرب الثانية صباحا . ليقول لى بإنجليزية مدشدشة : « شكلك مصرى . . إنت من مصر ؟ » ظننته برتغاليًا أو أسبانيًا أو إيطاليًا . . فى ملامحه خفة دم أبناء البحر الأبيض . . قلت له بالإنجليزية : « فعلا أنا مصرى . . وأنت من أين ؟ » فأجاب باللغة العربية ضاحكا وهو يختفى داخل الكافيتيريا : « من عابدين . يعنى حاكون منين ؟ » . .

« أمين القصاص » : طالب بسنة ثالثة فى كلية التجارة بجامعة القاهرة . . أول مرة يخرج من مصر هذا الصيف . وجاء إلى لندن بمجرد انتهاء الإمتحانات ليكون أكثر منا توفيقا فيجد عملا فى اليوم التالى لوصوله . ويعمل فى عدة فنادق فى ضاحية مطار « هيثرو » قبل أن يستقر فى هذا الفندق منذ أسبوع واحد . . ومع أنه « جديد على الكار » إلا أنه سرعان ما « أكل الجو » بخفة الدم المصرية وبسرعته ونشاطه وفهلوته ، وبرغم إنجليزيته الضعيفة ، إلا أنه كان سريع الإلتقاط وسريع التعلم وقادراً على أن يفهم ما يريدون وأن يجعلهم يفهمون ما يريد . . ازاى ؟ ! ما اعرفشى . . لكن قطعا فيه شىء لله . .

« أمين القصاص » فى دقيقة واحدة حل الجزء الأكبر من مشاكلى : مشكلة السكن فى « ساسكس جاردنز » بـ ١٤ جنيها كل أسبوع ، ومشكلة

جنيه المواصلات كل يوم بين لندن وضاحية مطار « هيثرو » . . قال لى « أمين » : « ما دام أنت بتشتغل فى « هيثرو » إيه اللى بسكنك فى لندن ؟ . . ما تيجى تسكن هنا قريب جنب شغلك وتوفر الجنيه اللى انت بتدفعه فى المواصلات كل يوم » . .

فكرة ظريفة جداً فعلا ، إزاى كانت غايبة عنى ؟ ! . . لكنها على أى حال لا تحل إلا جزءاً من المشكلة . . فإننى إذا وفرت المواصلات فإن مرتبى سيكون — يا دوب — يكفى لإيجار السكن . لكن « أمين » يحل هذه المشكلة أيضا : « ومين قال لك إنك حاتسكن فى المنطقة هنا بـ ١٤ جنيه زى لندن ؟ . . هنا النظام مختلف . . سيب لى الموضوع ده وأنا أسكنك فى غرفة نظيفة جداً ، لوحدك . وبتلاتة جنيه بس فى الأسبوع . . بكرة الصبح نمشى سوا من هنا وأنا أخلص لك الموضوع ده فى ١٠ دقايق » ! ! .

فرافيرو « أمين » ده . . حلال العقد والمشاكل المستعصية . .

وحل

« ريتشارد »

أيضاً الجزء الباقى من المشكلة . . حله على مرحلتين . الأولى أنه فى الثالثة صباحاً أخذنى من يدى لندخل الكافيتيريا ونجلس فى ركن منها مكتوب عليه « ستاف Staff » ، بمعنى أنه مخصص للعاملين فى الفندق فقط . . ظننت أنه سوف يدعونى إلى شاى أو قهوة أو شئ من هذا القبيل ، لكننى فوجئت به يسألنى : « حاتتعشى إيه ؟ » ! ! . . وقبل أن أعتذر أو أشكره وقد سقط قلبى رعبا من أجل الجنيهين اليتيمين اللذين بقيا فى جيبى ، استطرد « ريتشارد » قائلا : « ما دمت تعمل فى الفندق ، فإن من حقك أن تتناول العشاء أو الغداء — حسب موعد عملك — على حساب الفندق فى حدود ٨٠ بنسا للوجبة الواحدة ! ! » . . ياسلام . .

كل مشاكلى أصبحت الآن محلولة : لا سكن غالى . . لا مواصلات جنيه فى اليوم . . والأكل مجانا أيضا ! ! . . يا بركة دعا الوالدين . .

أما مفاجأة المفاجآت التى حملها إلىّ « ريتشارد » الليلة أيضا — والليلة عموما كانت كلها مفاجآت — فقد جاءت بالصورة التى لم أكن أتوقعها أو أفكر فيها أو تخطر على بالى على الإطلاق : بعد أن عدنا أنا و« ريتشارد » إلى مكتب الـ « بورترز » بعد العشاء ، مد « ريتشارد » يده فى جيبه لتخرج وفيها كبشة عملات معدنية شخشخ بها قليلا فى كفه وهو يقول لى : « ده رصيدى الليلة . . إنت عملت قد إيه ؟ ! » . . قلت له مندهشا : « عملت قد إيه فى إيه ؟ ! » . . قال ببساطة : « بقشيش . . » . . قلت وقد ازدادت دهشتى : « بقشيش ؟ ! . . بقشيش إيه ؟ ! » .

وضحك « ريتشارد » وهو يفهمنى شيئا جديداً من (أصول المهنة) : البقشيش الذى يدفعه النزلاء لل « بورتر » حين يقوم لهم بخدمة ما ، أو حين يقوم بتوصيل حقائبهم إلى الغرف أو إحضارها منها ! ! . .

أفزعنى ذلك . . أشتغل « بورتر » أو بواب أو شيال أو حتى سباك معلهش . . آهى تجربة صحفية باقوم بيها لفترة محدودة وبس ، لكن كمان أمد إيدى للناس علشان آخد بقشيش ؟ ! آهو ده اللى مش ممكن أبداً . . تيجى إزاى ؟ ! وكرامتى ؟ ! ومركزى كصحفى ؟ ! . . مستحيل . . لا يمكن أبداً . .

و« عقلى » ريتشارد : علشان تقوم بالتجربة كاملة لازم تمر بكل ظروفها . . إنت فى الأول حاتبقى مكسوف لأنك مش متعود على كده ، لكن بسرعة حاتتعود عليها وحاتبقى حاجة عادية .. وما دام أنت عارف إن شغلك ده نفسه حاجة مؤقتة ولغرض صحفى ، يبقى إيه اللى يمنع إنك تتعامل مع كل جزئياته ؟ . . ثم إنك مش أنت اللى بتطلب البقشيش ، ده النزيل هو اللى بيقدمه لك من نفسه : .

كان
شعوراً
غريباً جداً ، وكنت مكسوفاً من نفسي جداً ومطرقاً بعينيّ إلى الأرض وأنا أمد يدي لأتناول أول بقشيش يعطيه لي أحد النزلاء . . وكنت قد تهربت من نزيلين قبله بأن وضعت حقائبهما في الغرفة وانصرفت بسرعة جداً ، لدرجة أن كلا منهما وقف ينظر ورائي بدهشة شديدة والفلوس في يده .. لكنني بعد ذلك روضت نفسي على أن أتعود ذلك . . وفعلته فعلا ، لكن بتردد وخجل طول الوقت .. وفي أقل من ساعة كنت قد جمعت ٤٥ بنساً ، وقبل أن تنتهي الليلة كانت الحصيلة جنيهين وعشرة بنسات ! ! . .

وكان أول شيء فعلته في الصباح وقبل أن تنتهي ورديتي ، هو أنني اتصلت بالصديقة الإذاعية « ليلى سليمان » .. كانت حكاية البقشيش هذه تزعجني جداً وتؤرق كرامتي ، وغير قادر على استساغتها أو قبولها ؛ وكان لابد وأن « أفضفض » لأحد لأشركه معي في اتخاذ القرار : « هل أستمر أم لا ؟ » . . وكان من رأي « ليلى » أنني يجب أن أستمر مادام ذلك داخلا في نطاق التجربة ولكي تكتمل الصورة ، وأنني إذا كنت قد قبلت على نفسي أصلا أن أحمل حقائب الناس فإنني لست فاعل خير ولا راجل شهم متطوع لخدمة الناس لوجه الله .. ثم : « وهو أنت أحسن مني ؟ ! ما انا برضه بآخذ بقشيش » ! ! ؛

(٤)

□ دكتور : ماذا فعلت بأخيك؟ ! ! □

في

الصباح

خرجت مع « أمين القصاص » ليبحث لى عن غرفة فى حى (كرانفورد Carnford) حيث يسكن ، أقرب حى سكنى فى ضاحية (ميديلسكس Middlesex) التى بها مطار « هيثرو Heathrow » والفندق الذى نعمل به . . ضاحية (ميديلسكس) كلها تشبه عندنا ضاحية مصر الجديدة فى أنها تقوم حول المطار . وإن كانت أكثر شبهاً من ناحية الشكل بطريق المعادى وحلوان فى أنها عبارة عن شارع طويل جداً « باث رود Bath Road » تقطعه سيارة الأوتوبيس فى نصف ساعة ، وتقع على جانبيه عدة أحياء متفرقة : حى ، ثم منطقة أراضى زراعية تمتد محطة أو محطتين أوتوبيس ، ثم حى آخر ثم منطقة زراعية ، وهكذا . . ويأتى مطار « هيثرو » الهائل الضخم ليبسط مساحته الواسعة خلف هذه الأحياء والفيللات ويمتد لمسافة طويلة . . وكلمة « حى » هنا (واسعة شوية) ، فهو ليس « حياً » بالمعنى المفهوم ؛ إنما هو شارع أو شارعان كبيران يمتدان متعامدين على الشارع الرئيسى « باث رود » ، وكل شارع منهما يضم ١٢٠ أو ١٥٠ فيللا فقط ليس أكثر . والمحلات هنا ليست فى وسط البيوت وبينها زى عندنا فى مصر ، لكن كل الخدمات من محلات ومكاتب بريد وتليفون و . . . إلخ ، كلها تتجمع فى الشارع الرئيسى من الخارج . .

ذهبت مع « أمين القصاص » لنبحث عن غرفة لى فى حى (كرانفورد) حيث يسكن . . ساكن فى خرم إبرة « أمين » بثلاثة جنيهات فى الأسبوع :

غرفة صغيرة جداً كانت فى الأصل دولاب فتح وربنا عليه . بحيث إنها لاتتسع لواحد طويل شوية زيادة ولا تستوعب واحداً سمين شوية زيادة . ما يعرفشى يدخل فيها أصلاً . وإذا دخل ما يعرفشى يخرج !!

لم أستطع أن أقنع نفسى بأن أسكن فى مثل هذا « الصندوق » . . ذلك صحيح فعلا . فهم يسمون هذه الغرف الصغيرة « بوكس روم Box Room » يعنى « الغرفة الصندوق » أو « العلبة » . . فبدأنا نبحث عن غرفة أوسع . . الغرف هنا نوعان فقط لا غير : الـ« بوكس روم » هذه ، وإيجارها ثلاثة جنيهات فى الأسبوع ، وغرفة أخرى عادية طبيعية مثل أى غرفة فى كل البيوت اللى خلقها ربنا ، تضم سريراً عريضاً ودولاباً وتسريحة وترابيزة صغيرة وكرسيين فوتيل . . يعنى غرفة يقدر الواحد يعيش فيها على راحته دون أن يشعر بأنه يعيش فى غواصة . . وهذه إيجارها ستة جنيهات فى الأسبوع ، ويسمونها « الغرفة المزدوجة » أو الـ « دوبل » . .

« أسكن بستة جنيه يا أمين وأبقى على راحتى » . . « طيب تعالى بأه نروح المكتبة » . . « مكتبة إيه يا ابنى ؟ أقول لك أسكن تقول لى مكتبة ؟ ! عايز أسكن الأول وبعدين أقرا وأكتب على مهلى » . . « معلهش . . ما هو كل الإعلانات عن الغرف الخالية بتكون متعلقة فى لوحة الإعلانات اللى على باب مكتبة الحى » ! ! . . لكننا لم نجد فى اللوحة إعلانات عن غرف مزدوجة خالية فى الوقت الحالى . . أخلنى « أمين » من يدى وقال : « تعالى نروح ليوسف . . يوسف هو اللى يقدر يحل لك المشكلة دى حالاً » . . « مين يوسف ؟ » . . « يوسف عميرة . . شاب مصرى مقيم هنا من ٤ سنين ، ويعتبر عمدة (كرانفورد) كلها ، وله دلال وله كلمة على الكل هنا : مصريين وأجانب » . . وفعلا استطاع « يوسف » أن يحل المشكلة ، لكن بطريقة غريبة جداً : شخط فى مستر « مالك » الهندى صاحب الفيللا التى يسكن فيها « يوسف » شخصياً لكى يتنازل لى عن غرفة الصالون فى الفيللا لمدة أسبوع واحد حتى أجد غرفة أخرى أنتقل إليها على راحتى ! ! . . وقد كان . .

ضاحية

« كرانفورد »

هي ضاحية الهنود والباكستانيين فى لندن ، ضاحية هادئة جداً تشبه ضاحية المعادى عندنا . . كلها ڤيللات صغيرة من دورين على الطراز الإنجليزى ذى السقف المخروطى المغطى بالقرميد الأحمر . . وكل ڤيللاتها يملكها الهنود أو الباكستانيون الذين تجمعوا فى هذه المنطقة من لندن ، لأنهم جميعاً يعملون فى مطار « هيثرو » أو الخدمات المحيطة به : الفنادق مثلاً أو المطاعم أو المصانع وهكذا . . وجميعهم يمتلكون — إلى جانب الڤيللات الأنيقة — سيارات فاخرة ويحيون حياة مريحة لا يفترقون فيها عن الإنجليز فى شىء إلا فى لونهم الغامق . . إنجليز سمر ! ! . . ويسكن الهندى أو الباكستانى هو وأسرته فى غرفتين فى الدور الأرضى من الڤيللا ، ويؤجر الغرف الثلاث التى فى الطابق العلوى مفروشة . .

ووافق مستر « مالك » على أن يؤجر لى غرفة الصالون لمدة أسبوع واحد ، على شرط أن « أجلو » عنها فى حالة مجئ ضيوف لزيارته ! ! لم يكن فى وسعى إلا أن أقبل وإلا اضطررت لدفع ١٤ جنيهاً أخرى فى تلك الغرفة الحقيرة تحت السلم فى فندق « روس هاوس هوتيل » التى ورطنا فيها الأخ « علاء » الله . . . يسامحه ! ! . . وهكذا انتقلت من غرفة تحت السلم إلى غرفة شيك جداً فيها إلى جانب الأثاث المعتاد : تليفون أبيض وجهاز تليفزيون ملون ومكواة بالكهرباء وطقطوقة سجاير . . عز ما بعده عز ! .

ثانى

يوم

عمل لى فى الفندق : . لسه لم أتأقلم بعد بحكاية أن أشتغل « بورتر » . . حاجات كتير لسه مش فاهمها أو مش قادر أستوعبها بسرعة كافية : دخت

الليلة السبع دوخات ولفيت أجنحة وطوابق الفندق كله بحثاً عن الغرفة رقم ٧١٩، ثم يتضح في النهاية .. بعد أن انقطع قلبي – أنها في الطابق الأرضي !!.

وتلك الحسناء التي جاءت تطلب مني « Paper » أو ورقة .. أعطيتها ورقة بيضاء فماتت على روحها من الضحك ، لأنها كانت تريد « جريدة » بس هم بيدلعوا الـ نيوز بيبر » ويسمونها « بيبر » فقط .. طيب ربنا عرفوة بالعقل : أنا أعرف منين إنها قصدها « جريدة » وليس « ورقة » ما دامت نفس الكلمة بالإنجليزية تستعمل للمعنيين !! ..

ونحو الخامسة صباحاً تصل إلى باب الفندق قافلة من السيارات الصغيرة تقودها مجموعة فتيات شقراوات زى القمر وزى الورد المفتح ولابسين شيك جداً . . يدخلن إلى الفندق زرافات وغزالات . . ظننتهن نزيلات عائدات من سهرة ظريفة طالت . . لكنني فوجئت بهن بعد قليل وكل واحدة منهن قد أمسكت مكنسة بالكهرباء أو جردلا وفرشاة ، والتي تمسك بفوطة تنظف بها المكاتب وتلمعها والتي تحمل كيساً كبيراً من النايلون تجمع فيه الزبالة !! . . ويتضح أن هؤلاء الحسناوات هن عاملات النظافة اللاتي يتولين نظافة مدخل الفندق فقط في فترة الصباح الباكر هذه !! . الواحدة منهن زى القمر وزى لهطة القشطة بنت الإيه وبتشتغل عاملة نظافة . . ولو كانت عندنا في مصر وبالجمال ده لكانت تزوجت أمير شرقي ، أو على الأقل (إكتشفها) مخرج سينمائي من إياهم ، أو جريت على شارع الهرم !!..

اشتغلت ،
وسكنت ،

فهدأت واسترحت نفسياً من ناحية الشغل والسكن ، وراح عني الخوف من الفلس . . وبدأت أهيىء نفسي لبدء عملي الصحفي الذي أمر بهذه التجربة من أجله . . وبدأت أيضاً أتذكر : كيف نشأت

الفكرة عندى أصلا ؟! . . ثم ماذا حدث لتنفيذ الفكرة حتى وجدت نفسى فى النهاية هنا فى هذا المكان وفى هذا الفندق وأقوم بهذا العمل . .

كانت البداية قديمة منذ أكثر من ٣ سنوات : « يسرية » صديقة مصرية قالت لى يوماً إنها قررت أن تسافر إلى لندن لتعمل هناك . . طبعاً أنا كنت خالى الذهن تماماً عن هذا الموضوع وعن فرص العمل فى لندن . فقلت لها : « تشتغلى فى لندن إزاى ؟ هو انتى فكرك إن الشغل فى لندن أسهل من الشغل فى القاهرة ؟ . . إذا كنتى انتى مش لاقية شغل أصلا فى القاهرة تبقى حاتلاقى فى لندن ؟ ! » . . فحكت لى قصة سريعة عن شاب إسمه « عادل محمدين » يتخذ لنفسه مكتباً فى نقابة عمال الملاهى والترفيه والجرسونات فى شارع عدلى ، وأنه هو الذى يقوم بترتيب إجراءات سفر الراغبين والراغبات فى السفر للعمل فى إنجلترا ، ويحصل لهم على عقود عمل هناك بحيث يكون سفرهم بشكل رسمى معتمد من الدولتين : مصر وإنجلترا ، وبحيث أن الشاب أو الفتاة يكونان يعرفان من قبل سفرهما المكان الذى سوف يعملان فيه والأجر الذى سوف يتقاضاه كل منهما وكل الترتيبات والتفاصيل الأخرى قبل أن يضع قدمه فى الطائرة إلى لندن . . وأن « عادل محمدين » يتقاضى فى مقابل ذلك مبلغاً بسيطاً ، نحو ٥٠ جنيهاً مصرياً — على ما أذكر الآن — ولا يمانع أيضاً فى قبول بعض الهدايا البسيطة ! ! .

شىء ما فى حكاية صديقتنا هذه لم يعجبنى وأثار شكوكى . . الحكاية كلها شكلها فيه عملية نصب واحتيال ، وممكن « أشياء أخرى » أيضاً ! . وكانت حكاية العصابات التى تغرى البنات المصريات بالسفر إلى بيروت وبعض البلاد الإفريقية واستغلالهن هناك منتشرة فى ذلك الوقت . . ذهبت مع « يسرية » مرة لرؤية « عادل محمدين » هذا فؤاد شكى : كانت انطباعى عنه أنه فعلا نصاب وفهلوى ولا يستطيع الواحد أن يطمئن إليه . . فيه حاجة مش مضبوط ، مش صح ، لكن مش قادر

أعرف أين هى . . فقمت بتحريات عنه لم تسفر عن شئ ضده : . ذهبت فقابلت اللواء « مخلوف » مدير عام مصلحة الجوازات وقتها وحكيت له القصة وصارحته بشكوكى . فقال لى إنه فكر نفس تفكيرى وبحث الموضوع ولكن لم تصل إليهم شكوى واحدة ضد « عادل محمدين » هذا ولم تسفر تحرياتهم عن أنه نصاب ولا حاجة . .

وسافرت « يسرية » إلى لندن . وجاءتنى رسائلها بأن كل ما وعد به « عادل محمدين » فى القاهرة قد تحقق بالضبط . وأنها تعمل فى لندن ومبسوطة ٢٤ قيراط والحمد لله . .

ومر عامان على هذه القصة . وضاع من ذاكرتى الموضوع كله فى زحمة مشاغل العمل والحياة . ونسيته تماماً مع مضى الأيام والشهور . .

على

سلم

مبنى التليفزيون التقينا : أنا داخل وهى خارجة تجرى ومستعجلة جداً : الإذاعية « ليلى سليمان » مقدمة البرامج بالبرامج الموجهة . . « رايحة فين يا ليلى وبتجرى ليه ؟ » . . « تعالى معايا وانت تعرف » . . « آجى معاكى فين ؟ مش تقولى لى الأول ؟ » . . « حاجة يمكن تطلع منها بموضوع صحفى كويس » . . وفى التاكسى حكت لى « ليلى سليمان » الحكاية : « ليلى » انتابها الملل والزهق من عملها ونتيجة ظروف أخرى . فقررت أن تبتعد عن القاهرة وعن مصر كلها لفترة . . وسمعت عن مكتب فى شارع سليمان باشا يهيىء فرص العمل فى لندن للراغبين والراغبات من المصريين بعقود عمل رسمية معتمدة من وزارة العمل الإنجليزية : . نفس القصة التى كنت قد سمعتها من « يسرية » الصديقة المصرية قبل ذلك بعامين . . وأن « ليلى » خلاص قد أنهت إجراءاتها تقريباً ولم يبق إلا تحديد موعد السفر فى خلال أيام قليلة . . وأنها ذاهبة الآن إلى هذا

المكتب لأنهم طلبوها بالتليفون لاستكمال بعض البيانات الأخيرة . .

مكتب كبير وفاخر وشيك جداً فى عمارة من أكبر عمارات شارع سليمان باشا . . سجاجيد وديكورات وأثاث فاخر واستعلامات وسكرتارية وتليفونات وحساوات قاعدين على مكاتب ، وجو ولا جو الشركات الكبيرة فعلا . . ودخلت « ليلى » لتقابل المدير وخرجت . . لكننى طلبت منها أن تنتظرنى لأننى سأدخل لمقابلته أنا أيضاً . . طلبت مقابلته فاستقبلنى على الفور : غرفة مكتب واسعة ولا مكاتب الوزراء . . ديكور فخم فعلا وأجهزة تكييف وتليفونات ولوحات فنية وأبواب مبطنة بالجلد من الداخل ومن الخارج . . جو فاخر مريح يدعو للثقة والإطمئنان . . والمدير نفسه « الدكتور . . . » رجل علاقات عامة فعلا : إستقبلنى مرحباً وقال لى — وأنا متأكد أنه لم يكن صادقاً — إنه يعرفنى من خلال كتاباتى ويقرأ لى ويتابعنى من زمان وإنه يسعده أن يلتقى بى شخصياً وأنه تحت أمرى . . قلت له إننى سمعت عن النشاط الذى يقوم به مكتبه فى فتح أسواق جديدة للأيدى العاملة المصرية فى أوروبا ، وأن هذا الموضوع يستهوينى صحفياً لأكتب فيه ، لكن بطريقتى الخاصة التى اعتدت تناول مثل هذه الموضوعات بها ، وهى أن أعيش تجربة كاملة بنفسى حتى أكتب عنها بمعايشة حقيقية وبصدق . . وعلى ذلك فإن ما أطلبه هو أن يتيح لى الفرصة لأن أمر بكل الظروف التى يمر بها طالب العمل المصرى منذ أن يبدأ اتصاله بهذا المكتب حتى يسافر فعلا إلى لندن ويعمل هناك ، على أن تكون المدة التى أعمل فيها هناك محدودة بشهور قليلة فقط كافية لاستيعاب التجربة حتى أتمكن من الكتابة عنها . .

ووافق « الدكتور . . . » على الفور ، لكنه قال إن الوقت متأخر الآن لبدء إجراءات جديدة لأن الموسم السياحى فى إنجلترا قد قارب الإنتهاء الآن ، وطلب تأجيل ذلك حتى بداية الموسم السياحى الجديد بعد سبعة أو ثمانية شهور . . وأعطانى مقالا مكتوباً على الآلة الكاتبة

لكى أنشره فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » على أنه « بقلمى » !! . .
فأخذت منه « المقال » ووضعته فى درج مكتبى التحتانى خالص اللى
لا أفتحه إلا مرة كل ٤٣ سنة . .

وسافرت « ليلى سليمان » إلى لندن فعلا ، وانقطعت أخبارها عنى ،
ومرت عدة شهور على هذه القصة ، وضاع من ذاكرتى هذا الموضوع
أيضاً ونسيته هو الآخر . .

لكنه
كرجل

علاقات عامة نشيط لم ينس ، فيأتينى صوته من خلال التليفون
ذات ليلة بعد نحو ٧ أو ٨ شهور ليذكرنى بنفسه ، وليقول لى : « إيه
يا راجل . . إنت مش ناوى تنفذ الفكرة اللى كنا اتفقنا عليها ؟ آهو
وقتها جه آهه » . . والتقينا من جديد . . وكانت الصحافة المصرية قد
بدأت تهتم وتشجع وتفرد صفحاتها لموضوعات سفر طلبة الجامعات
للعمل فى أوروبا خلال أجازات الصيف ، وقال لى « الدكتور . . . »
إن مكتبه هو المكتب الوحيد المعتمد من الدولة ومن وزارة العمل لترتيب
سفر الطلبة إلى أوروبا وتشغيلهم . . وأرانى ملفات وتوصيات وأوراق
رسمية ومحاضر جلسات حضرها ممثلون لوزارات العمل والداخلية والشباب
وغيرها . ورأيت أن الموضوع يستحق الإهتمام فعلا فقدمت « الدكتور . . . »
مرتين فى البرنامج الإذاعى الذى أشترك فى إعداده ، وقال « الدكتور . . . »
فى الحديثين إن الطالب اللى يسافر إلى لندن بدون تصريح عمل من
وزارة العمل البريطانية يكون بينتحر ويلقى بنفسه إلى التهلكة ويعرض
نفسه للبهدلة ولأن « يفتشه » البوليس الإنجليزى ويقوم بترحيله إلى خارج
إنجلترا فوراً إذا اكتشف أنه يعمل بدون تصريح عمل ، بعد أن يرغمه على
رد كل المبالغ التى تقاضاها وهو يعمل بدون تصريح ، وأنه لذلك لا يستطيع

أبداً أن ينصح أى طالب بأن يجازف بالسفر بمجهوده الشخصى دون أن يكون معه تصريح عمل . .

ولما كان مكتبه هو المكتب الوحيد المعتمد من الدولة (!!) لاستخراج تصاريح العمل للطلبة ، فإن ذلك كان معناه أن على كل الطلبة الذين يريدون السفر أن يحصلوا على التصريح الذى يفتح أبواب الجنة من مكتبه هو ، نظير دفع الرسوم التى قال أنها فى مجموعها تصل إلى ٥٠ جنيهاً مصرياً تفاصيلها كالتالى : ٥ جنيهات مصاريف إدارية ، يعنى مقابل مصاريف بريد ومراسلات وتليفونات ومطبوعات وما إلى ذلك + ١٥ جنيهاً قيمة أتعابه التى حددتها لجنة وزارية مكونة من مندوبين عن وزارات . . إلخ + ٣٠ جنيهاً مصريا تدفع كتأمين يستردها الطالب مرة أخرى بعد أن يقوم بسداد مبلغ ١٥ جنيهاً إسترلينيا إلى « مكتبه فى لندن » بعد أن يتسلم العمل هناك ، وهذا المبلغ هو قيمة الرسوم التى تتقاضاها وزارة العمل البريطانية فى مقابل استخراج (تصريح العمل) للطالب : .

وما

أن

أذيع الحديثان فى الراديو حتى انهالت المكالمات التليفونية على مكتب مقدمة البرنامج : « إيه الكلام اللى انتوا بتقولوه فى الراديو ده ؟ الراجل ده نصاب وبيضحك على الناس ، والطلبة اللى سافروا عن طريقه فى الستين اللى فاتوا إتبهدلوا آخر بهدلة ، ولا اشتغلوا ولا عملوا . . وتيجوا إنتوا تقولوا الكلام ده فى الراديو وفى إذاعة الدولة الرسمية ، يبقى معنى كده إن الدولة نفسها بتعتمد هذا الكلام »!! . . وتحيل مقدمة البرنامج أصحاب هذه المكالمات إلى حسين قدرى على اعتبار أننى أنا الذى قدمت هذه الفقرات . . ويتصل بى بعضهم فعلا لكنهم يرفضون أن يفصحوا عن أسمائهم ، والبعض الآخر جاءوا شخصياً لزيارتى ، لكننى لم أجد ما يثبت

صدقهم إلا مجرد أنهم « يقولون » ذلك . إذن ما الذى يجعلنى أصدقهم هم وأكذبه هو طالما أن المسألة من ناحية الطرفين « مجرد كلام » لا يثبته شيء . وإن كان كلامه هو أقرب إلى التصديق بحكم الأوراق والملفات والدوسيهات ومحاضر الجلسات التى شهدتها بنفسي وشهدتها أيضاً مقدمة البرنامج حين أزعجتها كثرة المكالمات التى تدعى أننا قدمنا نصاباً ليتكلم فى الراديو من خلال ميكروفون الإذاعة . . وكانت وجهة نظر « الدكتور » معقولة فعلا ، وهى أن : الحاقدين الذين يحقدون على أى عمل ناجح ويريدون هدمه كثيرون ! .

ولما كانت « المية تكذب الغطاس » و « خليك ورا الكداب لغاية باب الدار » كما تقول الأمثال . . فإن اتفاقنا أنا وهو كان « أن أمر بالتجربة بنفسي » . . وبدأ « الدكتور » فعلا فى ترتيب إجراءات سفرى ضمن مجموعة من الطلبة لأعمل فى لندن مثلهم تماماً . . وعلى هذا الأساس حضرت عدة اجتماعات له فى مكتبه مع الطلبة الراغبين فى السفر . . وشاهدت وسمعت بنفسي الكلام الشديد الإقناع الذى كان يقوله لهم : « إنتم كلكم أولادى على اعتبار إنى أستاذ جامعة سابق (!!) ودى مش اسكندرية لو رحت مالقيتشى شغل تاخد الديزل البحرى وترجع مصر ، دى لندن وفيها سفر وبحر وطيارة . . مش ممكن أسيبكم تسافروا من غير تصاريح عمل وتلاقوا نفسكم صايعين فى شوارع لندن ورجليكم الإتنين مشعلقة فى الهواء . . لكن لما تسافروا بتصاريح من وزارة العمل البريطانية حاتلاقوا الشغل فى انتظاركم ؛ و « مكتبنا فى لندن » حايرعاكم ويتابعكم ويحل لكم أى مشاكل ممكن تصادفكم هناك » . .

وبعد اجتماعاته مع الطلبة التى حضرتها فى مكتبه بدأ يصلنى أنه يقول للطلبة فى الاجتماعات التى عقدت بعد ذلك دون حضورى إن « الأستاذ حسين قدرى ـــ دى اللى هو أنا ـــ هو المستشار الصحفى للمؤسسة ـــ هكذا (!!) ـــ وأن المؤسسة سوف توفدنى إلى إنجلترا فى الصيف « لأشرف » على الطلبة الذين سيسافرون عن طريق المؤسسة !! » . . . . .

ثم
حدثت

مفاجأة : إنجلترا – على كلامه هو – رفضت إعطاء مصر حصة عمالة هذا العام اعتبار أن إنجلترا قد انضمت إلى دول السوق الأوروبية المشتركة ، ونظام السوق يجعل العمل فى هذه الدول مقصوراً على المواطنين من دول السوق فقط ، بمعنى أنه غير مسموح بالعمل فى إنجلترا الآن إلا لمن يحملون جنسيات أى دولة من دول السوق الأوروبية المشتركة فقط . .

« طيب وبعدين يا دكتور ؟ حاتعمل إيه فى المشكلة دى ؟ حاترجع للطلبة فلوسهم وتقول لهم مفيش سفر السنة دى ؟ ! » . . « أبداً . . ولا يهمك . . برضه مكتبنا فى لندن حايتصرف فى الحكاية دى » . . « حايتصرف يعنى حايعمل إزاى ؟ ! » . . « يعنى برضه حايشغل الطلبة من غير تصاريح عمل » . . « طيب والكلام اللى أنت قلته فى الراديو واللى انت دايما تقوله للطلبة فى اجتماعاتك معاهم ، وتخويفك لهم دايماً من السفر بدون تصاريح عمل والضياعة فى شوارع لندن والنوم فى الهايدبارك والبوليس الإنجليزى ؟ ! . . حاتسحب الكلام ده كله إزاى ؟ ! » . . « لأ . . ما هو الطالب لما يسافر لوحده غير لما يبقى مسافر عن طريقنا ، لأن (مكتبنا فى لندن) حايسهل له كل الأمور وحايشغله بمعرفته ويقف جنبه وقت اللزوم » . . « طيب بفرض كده . . المفروض فى الحالة دى إن الطالب ما يدفعشى الـ ٣٠ جنيه اللى كانوا حايروحوا لوزارة العمل الإنجليزية فى مقابل استخراج تصريح العمل ، ما دام مش حا يكون فيه تصريح عمل أصلا » . . « لأ . . ما هو المبلغ ده حا ياخده مكتبنا فى لندن » فى مقابل الحصول على عمل للطالب » . . « أمال الـ ١٥ جنيه اللى الطالب بيدفعهم هنا لمكتبكم اللى فى مصر بتوع إيه ؟ !

: . مش دول برفضه فى مقابل الحصول له على عمل فى لندن ؟ » ! . .
لاجواب . . أو على الأقل : لاجواب مقنع . .

وبدأ الفار يلعب فى عبى : أكونشى ورطت نفسي فى عملية نصب على الطلبة وأنا مش واخد بالى ؟! . . وصارحت « الدكتور . . . » بأن الصداقة شئ والصحافة شئ آخر . . وبأنى طول عمرى صحفى ملتزم بأمانتى الصحفية وأمام الحق ما باعرفشى أخويا ، وأنى لو قبلت دعوته بالسفر إلى لندن فلن أكتب حرفاً واحداً يخالف ما سوف أراه على الطبيعة فعلا . .

وبدأ التراجع . . وبدأ يؤجل ويماطل فى موعد سفرى . . وبدأت عمليات التطفيش . . وبدأ ناس من المقربين جداً إليه يتصلون بى ليقولوا لى إن من مصلحتى أن أعدل عن السفر وأن أبتعد عنه لأن العملية كلها نصب فى نصب ، وحتى لا « تيجى رجلى فى الموضوع » حين ينكشف!! . .
ولم أتصور للحظة واحدة أن هؤلاء الناس – الذين يعملون معه – قلبهم علىّ أنا أكثر مما قلبهم عليه هو أو على أنفسهم شخصياً . . لم أتصور أن أمرى يهمهم أكثر مما يهمهم أمره هو ، فازددت إصراراً على المضى فى التجربة حتى لو أدى الأمر إلى أن أسافر عن غير طريقه . . وصارحته بذلك ، فسلم أمره لله وحدد موعد سفرى . . وسافرت فعلا مع مجموعة مكونة من ١٠ من الطلبة . . وكان ما كان وحدث ما حدث مما كتبته فى الفصل الأول من هذا الكتاب . . وطردنا مستر « برايان وورثنجتون » الذى أرسلنا « الدكتور . . . » إليه فى لندن . . ويتضح أنه لايوجد « مكتبنا فى لندن » ولايحزنون . . ويتضح أن المسألة كلها ، بلاش أسميها أنا ، لكنها كما عرضتها تماما . .

وفى
لندن

تحدث عدة مفارقات تستحق أن تروى هنا . . فقد حدث فى خلال الـ ١٢ يوماً الأولى التى كنت أبحث فيها عن عمل بنفسى فى لندن ، أن ذهبت مع صديقة مصرية تعمل هناك إلى فندق « سان جيمس » لأقابل « مس شپرد » المسئولة عن التعيينات فى الفندق بعد أن زكتنى الصديقة المصرية عندها . . ووافقت « مس شپرد » على تعيينى وأعطتنى طلب الإستخدام المطبوع لكى أملأ بياناته ؛ فملأت البيانات وأعدت الطلب إليها ؛ لكن الصديقة المصرية الطيبة أرادت أن تخدمنى أكثر فقالت لـ « مس شپرد » إننى صديق « الدكتور . . . » الذى تعرفه « مس شپرد » ، فما كان من الست إلا أن « رجعت فى كلامها » وردت لى الطلب معتذرة بأنه لا توجد لديها وظائف خالية فى الوقت الحالى ! ! .

ومرة أخرى كنت فى مكتب مستر « برايان وورثنجتون » الذى جمعتنا الظروف بعد ذلك فتعرفت به بعد أن اشتغلت فعلا ، فدخلت مكتبه فتاة مصرية تعمل فى إنجلترا منذ عدة سنوات إسمها « آمال صبحى » ، وهى تصحب معها شابين مصريين : « عبد الحميد على الشنتاوى » من كلية الطب ، و« مجدى بكير حسن » من كلية الإعلام بجامعة القاهرة : جاءا من مصر بخطاب من « الدكتور » ، لكن مستر « برايان » طردهما كالمعتاد . . وضاع الشابان فى شوارع لندن لمدة خمسة أسابيع دون أن يوفقا فى الحصول على عمل ، فعاشا فى بيت « آمال صبحى » التى تعرف أسرتيهما من مصر فيما يبدو . . ثم جاءت معهما لتقابل مستر « برايان » الذى أعطاهما خطاباً يفيد بأنهما لم يشتغلا عن طريقه وأنه لا علاقة له بـ « الدكتور » على الإطلاق ، حتى يستطيعا أن يستردا مبلغ الـ ٥٠ جنيهاً الذى دفعه كل منهما إلى « مكتبه فى القاهرة » ! ! . .

ثم — بعد أن اشتغلت أيضاً — أتلقى تليفوناً من الأخ « محمد أحمد إبراهيم » الذى كان « الدكتور . . . » قد قال لى عنه فى مصر أنه « أحد مساعديه فى لندن » . ولما اتصلت به بعد وصولنا إلى لندن أنكر نفسه وادعى أنه مريض وفى المستشفى وسيعود سنة ٩٩٩٩ . . يتصل بى الأخ « محمد أحمد إبراهيم » بعد أن عرف أنى صحفى وعرف رقم تليفونى بصورة ما ، ليطلب أن يلتقى بى هو و « كامل دسوقى » — مساعد « الدكتور » فى لندن أيضاً !! — الذى كان قد رد على مكالمتى التليفونية بجفاء وغلاظة حين طلبته ليلة وصولنا إلى لندن وقال إنه « مش فاضى للحاجات دى» . . طلبا أن يلتقيا بى ليحكيا لى كلاماً كثيراً عن « الدكتور . . . » !! . . لكننى اعتذرت لهما وقلت إننى لست محتاجاً الآن لأن أسمع منهما شيئاً طالما أننى رأيت بعينى كل شىء ، وأننى أمر بالتجربة بنفسى الآن ! .

ويعود
الأولاد

الذين سافروا معى وطردهم مستر « ورثنجتون » إلى القاهرة ، ويذهبون فى مظاهرة ثائرة إلى مكتب « الدكتور . . . » ، ويسوقه « عليوة » أمامه — تحت تهديد مسدسه — إلى البنك ، فيرد لهم على الفور المبالغ التى دفعوها — بعد أن يستبقى لنفسه مبلغ خمسة جنيهات من كل منهم ، كـ « مصاريف إدارية » — برضه !! — . . ويندهش الأولاد لهذه الطيبة والمسالمة التى لم يكونوا يتوقعونها . . لكن إذا عرف السبب بطل العجب : تفجرت الأمور فى القاهرة فى فترة غيابنا عنها ، مباحث وزارة الداخلية هاجمت مكتب « الدكتور . . . » وقامت بتفتيشه . وأحالته إلى النيابة العامة . . وأمام النيابة العامة يعترف « الدكتور » بأنه ليس « دكتوراً » ولا حاجة ، وإنما هو مجرد « إسم شهرة » !! . . ويعترف بأنه ليس — ولم يكن فى يوم من الأيام — أستاذاً جامعياً كما كان يدعى أمام الطلبة دائماً . .

ويعترف ويعترف ويعترف : : وتسحب إدارة الأمن العام فى وزارة الداخلية منه تصاريح تعامله مع الهيئات الأجنبية فى الخارج . . ويأمر نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية بتحويل كل أوراق قضية « الدكتور » إلى المدعى العام الإشتراكى ، لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية مئات الآلاف من طلبة الجامعات من هذه المكاتب الوهمية التى تبيع للشباب الأمل الكاذب فى العمل فى الخارج ! ! .

كل الأمور

قد استقرت بالنسبة لى الآن : إشتغلت ، وسكنت ، ووفرت نفقات مواصلاتى ، واطمأنيت بالنسبة لموضوع الأكل والشرب أيضاً . . فبدأت أبحث عن الأصدقاء الذين سبقونى إلى لندن . . .

الإذاعية « ليلى سليمان » عثرت عليها . . صديقتنا المصرية « هدى » عمدة لندن عثرت عليها ونزلت مع باقى الأولاد المصريين فى ضيافتها أسبوعاً . . أبحث الآن عن « يسرية » الصديقة المصرية التى كانت السبب أصلا فى تجربتى ، وصديقتى الصغيرة « بيسة » طالبة كلية التجارة جامعة القاهرة التى أوصانى بها خيراً والدها الأستاذ فى جامعة الأزهر ، والتى كان مفروضاً أن نسافر معاً لكنها سبقتنى إلى لندن بنحو أسبوعين . .

رفعت سماعة التليفون وطلبت الغرفة رقم ٥٦٨ فى الفندق الذى تعمل وتقيم فيه « بيسة » . . وما إن سمعت « بيسة » صوتى حتى اختنق صوتها بالبكاء من فرط التأثر ، ثم بمجرد أن استطاعت أن تنطق كان أول كلام قالته : « أونكل حسين عايزة أروّح مصر ، عايزة أرجع مصر حالا ، مش عايزة أستنى هنا ولا دقيقة واحدة بعد دلوقتى » ! ! .

(٥)

□ هؤلاء الأولاد الهايفين . .
وتصرفاتهم الطائشة ! ! □

« ليه
يابيسة ؟

مش دى لندن اللى كنتى حاتموتى عليها وكنتى عمالة تستعجلى ميعاد سفرك علشان تشوفى لندن ؟ ! » . . قالت ونحن نتمشى فى الـ « هايدپارك » ليلاً بعد أن التقينا فى محطة الأندرجراوند فى (ماربل آرش) : « كنت مخنوقة . ماكنتش فاكرة إنها كده . . تعبانة جداً من الشغل . . بيتهد حيلى فيه . . الإنجليز ما بيلخعوش بنس واحد إلا إذا كانوا حاياخدوا قده ١٠ مرات . . ولولا شماتة الأهل والمعارف كنت رجعت مصر من تانى يوم . . ما كنتش فاكرة إن المسألة كده أبداً . . وكمان شاعرة إنى وحيدة جداً ولأول مرة بعيدة عن أهلى وبابا وماما وإخواتى اللى عمرى ما بعدت عنهم . . صحيح معايا فى نفس الأوضة ٤ بنات مصريات ، لكن الأهل هم الأهل . . مش قادرة أبعد عن أهلى أكتر من كده . . عايزة أرجع لبابا ولماما ولاخواتى وليبتى ولأوضتى ولأصحابى » . .

وهدأت من روع « بيسة » ، وقلت لها إن هذه هى ملامح التجربة ، فيها الحلو وفيها المر ، فيها التعب وفيها الراحة ، وفيها المتعة وفيها المتاعب ، فيها السعادة وفيها الشقاء ، مثلها فى ذلك مثل أى شئ فى الدنيا . .

واقتنعت « بيسة » أخيراً بأن تعطى لنفسها فرصة أخرى . . مهلة أخرى تحاول فيها أن تتعايش مع التجربة وتتفاعل معها وتؤقلم نفسها عليها ،

بعد أن اطمأنت إلى أنها — بوجودى — لن تكون وحيدة بعد الآن . وأننى سأنوب لها عن الأهل وعن الأصدقاء . وأنها إذا كانت — بحكم علاقتنا العائلية — تراني في القاهرة مرة كل أسبوع . فسوف تجدني هنا في لندن بجانبها ومعها كل يوم . . فنفس مشاعر الوحدة والغربة التي تحس بها هي أشعر بها أنا كذلك . .

وإذا
كان

البعد عن الأسرة وعن البيت وعن الأهل قد أخذ هذه الصورة عند « بيسة » : صورة الحنين والرغبة في العودة . . فإن البعد عن البيت يأخذ أحياناً صوراً أخرى غريبة جداً : صورة الولد المصرى الطايح الذى استبدل الناصية التى كان يقف عليها فى شارعهم فى القاهرة بناصية أخرى فى شارع آخر فى لندن . . وصورة البنت المصرية التى جاءت إلى لندن فشعرت أنها هنا بلا أسرة وبلا أهل . وبالتالى بلا رقيب أو حسيب ، فانطلقت تفرج عن كبتها الذى كانت تعانى منه فى مصر ، وتمارس ما تتصور أنه « حريتها » . بطريقة « اللى يعرف خالى يروح يقوله » كما يقول المثل الشعبى عندنا !!!! . . وتبدأ الأخلاق التى جاء بها وجاءت بها من القاهرة تظهر وتتضح فى تعاملاته وتعاملاتها هنا فى لندن . .

ذلك ليس معناه أن كل الأولاد أو كل البنات المصريين الذين هنا نماذج سيئة ، بالعكس ، هنا أيضاً نماذج ممتازة جداً ومشرفة جداً ، لكنها فى الحقيقة لا تمثل ظاهرة ، إنما الذى يمثل ظاهرة حقيقية — وغريبة فعلا — أن الغالبية العظمى ممن رأيتهم وقابلتهم هنا هى النماذج التى « هربت » من مصر لتمارس شطحاتها وانفلاتاتها هنا ! .

● ما إن يجد الشاب المصرى أو الفتاة المصرية عملا هنا ، ويكون معه مصرى آخر يعمل إلى جانبه ، حتى تبدأ التصرفات المايفة وخفة الدم التى فى غير موضعها ولا « عمال على بطال » تظهر . . ويسوق المبالغة

.

على الشيطنة على الإستعباط على الخيافة . فبرغم أصحاب الأعمال على ألا ينظروا إليه نظرة محترمة . ويترك انطباعة سيئة عندهم عن المصريين :

● صديقنا طالب كلية الطب الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا « A. B. C » . . مديرة الكافيتيريا أعطته « تورتاية » لكى يضعها فى الڤاترينة. فببساطة جداً تسلل بها إلى المطبخ لكى : يأكلها !! لولا أن المديرة لحقته قبل أن يأكلها فأخذتها منه وكادت أن تفصله من العمل لولا أن ساق عليها كل الناس ، مدعياً أنه « فهم » أنها قد أعطته التورتاية ليأكلها !! . . البيه طالب كلية الطب « فهم » أن الست تقدم إليه تورتاية بحالها ــ تكفى حفلة ــ لكى « يتشبرق » بيها لغاية ما ييجى ميعاد الغداء ! !

● « محيى » و « عماد » . . طالب ثانوى وطالب جامعة . يعملان جرسونات فى كافيتيريا . ويعودان مع المساء كل ليلة ليحكيا لنا مغامراتهما الصبيانية فى المكان الذى يعملان فيه . وكيف أنهما يتصرفان بقلة أدب وإهمال واستهتار ويكسران الفناجين والأطباق متعمدين ، ويغنيان باللغة العربية بصوت عالٍ أمام رواد الكافيتيريا ومديرتها : ويناديان على بعضهما من أول المحل لآخر المحل بشكل يلفت نظر الزباين ويزعجهم ويضايقهم . . « محيى » و « عماد » يحكيان ذلك بفخر وهما يتصوران أنه ظرف وخفة دم وأنهما يضحكان على الإنجليز . : برغم أنهما جربا وذاقا مرارة التعطل والتسكع فى شوارع لندن حتى وجدا هذا العمل . . لكنها النمردة . .

● ثلاثة شبان مصريين : « علاء » و « سيد » و « على » . . تائهون فى شوارع لندن ومعهم ورقة مكتوب فيها عنوان . . إستوقفوا إنجليزياً فى الشارع ليسألوه . . من قال لا أدرى فقد أفتى . . الرجل لم يعرف العنوان فقال لهم : « متأسف ، مش عارف » . . فينسحب « سيد » من لسانه بدون مناسبة ليقول لـ « علاء » باللغة العربية : « سيبك منه ده حمار » فيرد الرجل الإنجليزى باللغة العربية المكسرة : « مين فينا اللى حمار

يا خومار ؟ » !! . . ويتضح أنه بيعرف شوية عربى كانت كافية ليفهم الشتيمة . . وكادت أن تحدث مشكلة لو تدخل فيها البوليس لطردهم جميعاً من لندن ! .

● الشقيقتان المصريتان ، طالبتا الجامعة ، اللتان تعملان معاً فى كافيتيريا واحدة . فأحالتا الكافيتيريا إلى قهوة بلدى من قهاوى شارع الخليج : ضحك وكركعة بصوت عال . . هزار مع بعض ومع باقى الأولاد المصريين الذين يعملون معهما . بطريقة ملفتة للنظر . . ويضيع الشغل ويرتبك العمل مع الإستهتار والتهاون والمياصة . . وتتعقد الأمور زيادة حين تنضم إليهما زميلة ثالثة مصرية أيضًا ، فلا تجد مديرة الكافيتيريا بدأ من أن تضع حداً لذلك كله ،فتفصل الثلاثة معاً فى ليلة واحدة ، وتصبح الصورة أمام كل الناس أن البنات المصريات يفصلن بالجملة . . ويبدأ البكاء وتبدأ الدموع والتوسل والإستعطاف ، حتى توافق المديرة فى النهاية على أن تبقى واحدة منهن فقط ،حتى توقف هذه المظاهرة المصرية الصاخبة وهذا الدلع اللى مالوش لازمة ! .

● فتاة مصرية طالبة بجامعة الإسكندرية : جميلة وحسناء صحيح ما قلناش حاجة ، ممشوقة القد رشيقة القوام ما قلناش حاجة ، بيضاء وشقراء وذات شعر أصفر وعينين دعجاوين ما قلناش حاجة . . لكنها مغرورة جداً وواخدة فى نفسها ٣٠ قلم ومش طايقة الدنيا من فرط إحساسها بحسنها وجمالها ومتصورة أنها ست الحسن والجمال وأن على العالم كله أن ينحنى لجمالها . . رفضت أن تعمل كجرسونة فى كافيتيريا ، ورفضت أن تقوم بترتيب الغرف فى الفنادق ، ورفضت أن تعمل عاملة شباك تذاكر فى سينما ، لأن كل هذه الأعمال مش قد المقام السامى الكريم . . طيب أمال جاية لندن تشتغل إيه ؟ ! رئيسة وزارة مثلا ؟ ! عضوة فى مجلس اللوردات ؟ ! . .

● الفهلوية والعارفون ببواطن الأمور ، الذين يفتون فى كل شيء

ويفهمون فى كل شيء فى لندن وهم لسه واصلين حالا ولا يعرفون ولا كلمة إنجليزى .. والمعترضون على كل شيء .. وبمجرد أن يعملوا يصبحون هم المحاور التى ينبغى أن تدور حول الدنيا كلها .. ويحكون نوادرهم بمغامراتهم فى أماكن عملهم بالطريقة التى تصورهم أبطالا صناديد والأماكن التى يعملون فيها ماكانتش عارفة — مسكينة ياعينى — تشتغل ولا تمشى قبل أن يعملوا هم فيها : ويمكن — والله أعلم — تتوقف وتغلق أبوابها بعد أن يتركوها ويعودوا إلى مصر .. لكننى أتصور أنها غالباً سوف تتوقف وتغلق أبوابها وهم هنا بفضل مجهوداتهم العظيمة .. ولن أستغرب أو أندهش إذا قطعت إنجلترا علاقاتها السياسية بمصر بسبب ومن تحت رأس الأولاد الهايفين وتصرفاتهم الطائشة ! :

ياترى
أخبار

مصر إيه ؟ .. لانستطيع أن نستمع فى لندن إلى أى إذاعة عربية .. ونادراً ما تجد فى السوق جريدة عربية ، وإذا وجدت فهى صحف بيروتية غالباً .. والصحف الإنجليزية طوال المدة التى قضيتها هنا حتى الآن لم تنشر سطراً وحداً عن مصر أو أخبار مصر . : على أى حال المثل الإنجليزى يقول : «إذا كانت لا توجد أخبار فذلك فى حد ذاته خبر كويس» ، وربما معناه أنه إذا كانت مفيش أخبار خالص يبقى على الأقل مفيش أخبار سيئة ..

تهت أنا «بيسة» فى شوارع لندن ونحن نبحث عن متحف «مدام توسو» — متحف الشمع — وبرغم أن مشاهدة المتاحف ليست من هواياتى ، لكنها على أى حال يجب أن تشاهد خصوصاً إذا كنت فى بلد أجنبى .. سيدة إنجليزية جاوزت سن الشباب تعبر الشارع إلى جوارنا إستوقفناها لنسألها — بالإنجليزية طبعاً — عن شارع (ميريليبون

رود) ، ففوجئنا بها ترد علينا باللغة العربية ! ! .. عرفت من شكلنا أننا مصريان .. هي الأخرى مصرية من القاهرة . أشبِّهُ عليها فأكتشف أنها أرملة صديقنا الكبير المرحوم الدكتور « صبرى جرجس » الطبيب النفسى الشهير .. جاءت إلى لندن بعد وفاة الدكتور « صبرى » لتقضى الصيف إلى جوار إبنهما « رءوف » الذى يدرس العقل الإلكترونى « الكومبيوتر » هنا فى لندن ..

ولا نكاد نترك مدام « صبرى جرجس » ونسير بضع خطوات فى شارع (إدجوار رود) حتى تقتحم أذنىّ حكاية باللهجة المصرية تحكيها فتاة تسير إلى جوارنا .. هذا الصوت ... العالى ... أنا أعرفه .. وفعلا : زميلتنا الصحفية فى الأهرام « شويكار على » ، جاءت إلى لندن مع عريسها كجزء من رحلة شهر العسل .. منذ سنة بالضبط تزاملت أنا و« شويكار » فى رحلة صحفية إلى قبرص ، ومنذ ذلك الحين لم نلتق فى القاهرة إلا مرة أو مرتين .. وتجمعنا الظروف هنا فى شوارع لندن الآن : هى عروس فى شهر العسل ، وأنا بواب قد الدنيا ! .

بعد
أيام

قليلة من عملى فى الفندق استطعت أن أحفظ مسالك ومتاهات الفندق الذى يشبه بيت جحا .. ولأنه مكون من طابقين فقط فإن غرفه الـ ٣٦٠ موزعة على ثمانية أجنحة ممتدة فى اتجاهات مختلفة .. أستطيع الآن أن أقوم بجولة الأمن وحدى كل ليلة ..

جولة الأمن هذه المفروض أن أقوم بها كل ليلة .. فى الواحدة وفى الثالثة وفى الخامسة صباحًا ، للمرور على كل شبر فى الفندق للتأكد من أنه لا يوجد به متسللون أو غرباء ، أو حتى لا يحدث فجأة حريق فى أى مكان دون أن ننتبه إليه .. وبرغم انتظام الإنجليز الشديد فى أداء

أماكنهم على الوجه الأكمل دون رقابة إلا أن الإحتياط واجب برغم ، خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الأمن . وخصوصاً أن القنابل الأيرلندية تنفجر هذه الأيام فى كل مكان فى لندن دون سابق إنذار . . لذا فإنه لابد من ضمانات حتى لا يصهين الـ « بورتر » عن القيام بجولة الأمن فى مواعيدها كسلا أو انشغالا : آخذ معى ساعة ذات شكل خاص تشبه المنبه ، بداخلها شريط ورقى يشبه شريط الآلة الكاتبة ، وبها فتحة تتسع لمفتاح معين . . وتوزعت فى أرجاء الفندق ٢٢ مفتاحاً من هذا النوع : وكل مفتاح محفور عليه رقم مسلسل : من ١ إلى ٢٢ . . أضع المفتاح فى الساعة وأديره فيختم الرقم المحفور على أسنان المفتاح على الشريط الورقى الموجود داخل الساعة ، ويختم أيضاً الوقت الذى مررت فيه على هذا المفتاح . . وهذه المفاتيح موزعة على أرجاء الفندق بتسلسل خاص بحيث إننى حين أنتهى من ختم المفاتيح الـ ٢٢ جميعها أكون قد مررت على كل شبر فى الفندق فعلا . .

الغريب أنهم مع حرصهم الشديد على تنفيذ جولة الأمن هذه ثلاث مرات كل ليلة ، إلا أنه لا يوجد فى الفندق كله حارس واحد لا ليلا ولا نهاراً . . المفروض أنى أنا هذا الحارس ، وأنا لست مسلحاً ولا حتى بدبوس إبرة ، يعنى لو طلع لى حد فى الظلام وشخط فىّ : حاطب ساكت ! .

أسبوع
كامل

مرعلىّ الآن فى العمل . . أقلمت نفسى الآن تماماً مع العمل ، وأصبحت أتصرف بثقة وكأننى ولدت لأكون « بورتر » طول عمرى . . وزال خجلى تماماً من موضوع البقشيش ، بالعكس ، أصبح مصدر تسلية لى أختبر به فراستى فى معرفة النزيل اللى سيدفع بقشيشاً من النزيل اللى حايصهين . . . من شكل النزيل وطريقة تصرفه والتعبير اللى

على وجهه ، ومشيته ورائى أو أمامى وأنا أوصل له حقائبه إلى غرفته . .
بل أصبحت لى فراسة خاصة أيضاً فى معرفة « قيمة » البقشيش الذى سيدفعه . . الظاهرة الغريبة جداً أن النزلاء الذين يبدو الثراء على مظهرهم ، وعلى حقائبهم الكثيرة الكبيرة الفاخرة ، لا يدفعون بقشيشاً ، ويعملوا حركات للتهرب منه ، كأن يتشاغلون بالكلام مع من معهم ، أو « عد » العملات الفكة التى معهم حتى يخجل الـ « بورتير » فينصرف ، أو يتركون حقائبهم فى مدخل الفندق لكى يذهب بها الـ « بورتير » وحده وهم غير موجودين فى غرفهم . . وفى الوقت نفسه فإن هناك نزلاء يبدو شكلهم أصلا أنهم لن يدفعوا بقشيشاً ، ومع ذلك يدفعون بقشيشاً كبيراً ، مثل ذلك الرجل المكيب المبهدل من (روديسيا) الذى لا يتواءم شكله أبداً مع فخامة الفندق ويبدو غريباً على مجتمعه الفاخر ، الذى بعد أن أوصلته إلى غرفته مد يده لى وفيها ثلاثة جنيهات ! . . ثم حين نزل فى الصباح طلب أن يشترى طوابع بريد ليضعها على خطاب يرسله إلى روديسيا ، فوضعت له طوابع بريد بـ ٦ بنسات ، فأعطانى جنيهين آخرين ! ! . . لكن أمثال هذا الرجل ليسوا هم القاعدة ، فهناك أيضاً تلك السيدة العجوز التى بدا على شكلها من اللحظة الأولى أنها ليست من النوع الذى يعطى بقشيشاً على الإطلاق ، لكنها بعد أن أوصلت لها حقائبها إلى غرفتها أستمهلتنى — هى من نفسها — لكى تعطينى بقشيشاً ، وقلبت كيس نقودها كله على السرير فامتلأ السرير بالفكة ، ونكشت نكشت نكشت حتى أخرجت من بينها : نصف بنس . . تعريفة . . وأعطته لى . . فأعدته إليها مرة أخرى وأنا أقول لها على الفور : « متأسف . . ماعنديش فكة » ! ! . .

و بمناسبة

البقشيش ،

نسيت أن أقول شيئاً حدث في أول ليلة لى في الفندق وعند بداية تعاملى مع البقشيش : قال لى « ريتشارد » ليلتها إن البقشيش الذى يجمعه كل منا لا يضعه فى جيبه ، إنما نضع جميعنا رصيدنا فى نهاية الليلة فى صندوق واحد . ثم فى نهاية الأسبوع تقسم الحصيلة كلها بيننا بالتساوى : أنا و « ريتشارد » و « تونى » ، الزميل الإنجليزى الثالث الذى أعمل معه فى الأيام التى يكون « ريتشارد » فيها فى أجازة . .

ولأن اليوم كان نهاية الأسبوع ، فقد أعطانى « ريتشارد » مظروفاً به نصيبى من البقشيش عن الأسبوع المنقضى : ٦ جنيهات فقط لا غير !! . . يا ولاد اﻟ . . . يا لصوص يا حرامية يا نَوَرْ . . قطعاً أنا جمعت فى هذا الأسبوع ليس أقل من ٢٠ جنيهاً ، لأن الذى أضعه كل ليلة فى الصندوق لا يقل عن ٣ جنيهات فى المتوسط ، والمفروض أننى أحدثهم وأقلهم خبرة وممارسة فى موضوع البقشيش ، وأنهما — « ريتشارد » و « تونى » — يجمعان أكثر منى ، فكان المفروض أن يكون نصيبى « أكبر » مما وضعت فى الصندوق وليس « أقل » . . لكن الظاهر أن المسألة فيها خم واستكراد . .

وأحكى ﻟ « أمين القصاص » ، صديقى جرسون الكافيتريا طالب كلية التجارة ، ما حدث ، فيقول لى : « لأنك طيب وساذج ومش عارف تعاملهم بمعاملتهم » . . « إزاى يا أمين ؟ » . . « ياعزيزى البيه ، صحيح ماتديش ، فكة تقسم بالنص ، تطلع فى الآخر إنت الكسبان » . . لم أفهم شيئاً طبعاً . . « زدنى إيضاحا ياسى أمين أفادكم الله » . . « شوف يابيه . . الجنيهات الصحيحة والدولارات الصحيحة والعملات الورقية على اختلاف جنسياتها ، دى تدخل جيبك الشخصى فوراً ، ماهاش دعوة بالصندوق . . الفكة نصفها لجيبك ونصفها للصندوق . .

وفى الحالة دى تطلع إنت كل ليلة باتنين تلاتة جنيه لحسابك الخاص ، والباقى تحطه فى الصندوق وتاخد نصيبك فيه آخر الأسبوع برضه . . طلع كتير طلع قليل مش مهم . . وتأكد إنهم هم كمان بيعملوا كده » ! ! . .

يا ابن الإيه يا « أمين » . . والمصيبة إن إسمه « أمين » ! ! . .

و« أمين القصاص »

فى نظرى هو أصدق تمثيل لشخصية الولد المصرى الفهلوى الحِرِك الفركوك اللى بفوت فى الحديد ويسلك فى أى مصيبة ، اللى ترميه فى النار وأنت تخشى على النار من أن يحرقها « أمين » ! ! . .

« أمين » ابن بلد وشهم وخدوم ويعرف الأصول ويبيع روحه علشان واحد مصرى زيه . . للدرجة أنه مرة وجد زميلا حديث العهد بالعمل فى لندن محتاس ومش عارف يغسل ملابسه إزاى ويكويها فين ، فيتطوع « أمين » ليأخذ منه ملابسه ليغسلها بنفسه ويعيدها إليه مكوية ومتطبقة . جلجتة ، دون أن يتقاضى منه بنساً واحداً ! ! . . لكن مع الإنجليز فـ « أمين » هو أبو لمعة المصرى حين يقع فى براثنه خواجة ، مع تغيير طفيف : « أمين » ليس كذاباً ولا بكاشاً ولا مياساً : إنما هو يتصرف مع الإنجليز فى الكافيتيريا من خلال وجهة نظر يعلنها ولا يخفيها — عن أصدقائه المصريين فقط طبعاً — : هو قادم إلى لندن لـ « يخم » الإنجليز فى عقر دارهم ، وينتقم — على قدر إمكانياته — من إستعمارهم لمصر ٧٠ عاماً : « ياما سرقونا ونهبونا ومصوا دمنا واستولوا على خيراتنا . . فمش أقل من إنى أحاول أسترد منهم ولو جزء صغير » ! ! وانطلاقاً من هذا المبدأ « يؤمم » أمين نصف إيراد الكافيتيريا كل ليلة لحساب نفسه . . إنتقاماً من أحفاد الإنجليز المستعمرين ! !

وجهة نظر . . والمصيبة — مرة ثانية — إن إسمه « أمين » ! ! !

أصبحت
موظفاً

قديماً اليوم بعد عشرة أيام فقط من تعييني فى الفندق . . فقد انضم إلى ورديتى مع « رتشارد » زميل جديد عين اليوم : « ريكمار لوبيز Ricmar Lopez » . . شاب فلبيني عمره ٢١ سنة جاء من (مانيلا) ليستقر هنا فى لندن . فأصبحت أنا — بحكم أقدميتى عنه بعشرة أيام — رئيساً عليه . .

وإن كان من الصعب أن يحكم الإنسان على أخلاق شعب بأكمله من خلال فرد واحد من هذا الشعب . إلا أننى لم أستطع أن أمنع نفسى من تكوين إنطباعة سيئة على الأقل عن الفلبينيين : ولد مغرور جداً وشرير جداً ودلوعة ويتصرف باستهتار . . قعد على الكرسى واتجعص ووضع رجلاً على رجل بألاطة شديدة جداً ، ووضع فى عينيه نظارة وقحه كأنه يتحدانى حين عرف أننى لا أسبقه فى العمل إلا بعشرة أيام فقط ، فقلت له بهدوء جداً إننى أستطيع أن أتركه حتى يمر المدير الليلى ويراه جالساً هكذا فيلقى به فى الشارع فوراً ! ! . . فتلكأ قليلا ثم قام متباطئاً . .

عموما : بالانطباعة السريعة أصبحت لا أحب الفلبينيين من تحت رأس الأخ « ريكمار لوبيز » . الشهير بـ « ريك » ! !

خبر
أسعدنى

جداً تلقيته الليلة فى التليفون : « سوسن » وصلت إلى لندن اليوم من القاهرة ! ! . . « سوسن » هذه ليست أختى وليست ابنتى ، وإنما هى مزيج من الإثنتين . . « سوسن » زميلة « يسة » فى كلية التجارة جامعة القاهرة وصديقتها الحميمة منذ كانتا تلميذتين فى المدرسة الإبتدائية ، والحب الذى يجمع بينهما لا يفوقه إلا الحب الذى يجمع بين « سوسن » وأختها

التوأم « سناء » الطالبة فى كلية الفنون التطبيقية والتى ولدت معها فى يوم واحد وفى « كيس » واحدنزلتا فيه معاً فى لحظة واحدة . . يعنى لم تسبق واحدة منهما الأخرى ولا بدقائق قليلة . . ولعل الحب الذى يمتلىء به قلب « سوسن » لكل الناس ، خصوصاً لتوأمتها « سناء » ، هوالذى جعلنى أحب « سوسن » نفسها . . أتصور أنها هى نفسها الحب مجسداً . . وقصة مجىء « سوسن » إلى لندن هى أصدق تعبير ونموذج لهذا الحب الذى يجمع بين التوأمتين . .

كانت « سوسن » أصلا هى صاحبة فكرة المجىء إلى لندن فى الصيف ، لكن « سناء » تحمست للفكرة أكثر وشبطت فيها أكثر . فقررت التوأمتان أن تجيئا معاً إلى لندن . . جمعتا كل مدخراتهما وكل ما استطاعتا أن تحصلا عليه بالإقتراض والسلف من كل فرد من أفراد العائلة إبتداء من شلن حتى خمسة جنيهات . . لكن كل ما جمعتاه فى النهاية لم يكن يكفى إلا لثمن تذكرة سفر واحدة فقط . . ومع أن « سوسن » هى صاحبة الفكرة أصلا ، إلا أنها حين رأت حماس « سناء » وانفعالها والآمال التى بنتها على سفرها إلى لندن ، تخلت « سوسن » بسماحة ورضى وطيبة وحب ، عن حقها فى السفر لـ « سناء » . . وكانت سعيدة جداً لأن « سناء » قد حققت الحلم الذى تمنته أياماً وأسابيع وشهوراً . . وجاءت « سناء » إلى لندن وحيدة ، بدون تصريح عمل وبدون أى خبرة وبدون حاجة أبداً ، وبدون حتى معارف فى لندن . . لكنها كانت موفقة ، فاشتغلت فى عمل فى فترة الصباح ، ثم بحثت عن عمل آخر فى فترة المساء أيضاً ، وادخرت كل بنس ممكن من المرتبين ، ثم أستلفت على مدخراتها من كل زميلاتها المصريات اللاتى يعملن معها ، حتى استطاعت فى النهاية أن تجمع ثمن تذكرة الطائرة لـ « سوسن » فى أقل من خمسة أسابيع . . وجاءت « سوسن » إلى لندن اليوم ليجتمع شمل التوأمتين معاً مرة أخرى ! !

قصة حب كبيرة رائعة بين الأختين ، جعلتنى أفكر — مخلصاً — فى أن أتزوجهما معاً . . علشان يبقوا ضراير ! !

(٦)

□ كيف تشترى لندن . . بشلن ! □

المهلة

الممنوحة

لى – وقدرها أسبوع واحد – لكى أجلو عن غرفة الصالون فى ڤيللا المندى مستر « مالك » . كادت أن تنقضى . . ولم أكن محتاجاً إلى أن أطلب مد هذه المهلة . فأنا نفسى بعد يومين أو ثلاثة كنت قد قررت أنه لابد وأن أترك هذا المكان حتى لو توسلوا هم إلى أن أبقى . . مستر « مالك » اشترط على أن أخلى الغرفة عندما يكون ينتظر ضيوفاً . . لكن الذى لم يقله لى هو أنه رجل إجتماعى وعشرى ويحب الناس : لذا فهو يستقبل ضيوفاً كل يوم !! ، وعلى ذلك فعلىّ أن أكون خارج الغرفة كل يوم وأصوع فى الشوارع من الساعة الرابعة عصراً حتى يجين موعد عملى فى العاشرة ليلا ، حتى يتمكن آل « مالك » من استقبال ضيوفهم . . لكننى اكتشفت بعد عدة أيام حين اضطررت مرة للعودة إلى الغرفة لأخذ شىء نسيته أن المسألة ليس فيها ضيوف ولاحاجة ، إنما هو يحب أن يتفرج على التليفزيون مع زوجته وأولاده ، و بدلا من أن يكلف خاطره ويتعب نفسه وينقل التليفزيون من غرفتى إلى غرفته هو ويتركنى نائماً ، فإن من الأسهل عليه طبعاً أن يقول لى إنه ينتظر ضيوفاً حتى أخرج أنا وأترك لهم الغرفة . .

وطلعت أنا اللى هندى مش مستر « مالك » ! !

لذا ،
فعندما

شاءت الظروف أن ألتقى بالمستشار« إبراهيم رشدى » : وهو صحفى قديم من محررى جريدة (المصرى) ربنا تاب عليه وشفاه من داء الصحافة فانتقل إلى سلك القضاء وأصبح الآن رئيس محكمة ، وكان يقضى إجازة سريعة فى لندن . . وأعرف منه أنه سيغادر لندن إلى جنيف بعد أيام قليلة ويترك غرفته التى يسكنها فى الفيللا رقم ١٠٣ فى نفس الشارع الذى أسكن فيه . وأطمئن إلى أنها ليست غرفة صالون ، فأبادر على الفور بتأجيرها . .

غرفتى الجديدة ليس فيها تليفون أبيض ولا تليفزيون ملون ولا مكوة بالكهرباء ولا حاجة أبداً أكثر من غرفة نوم عادية بسيطة ، لكنها مريحة جداً وظريفة وواسعة ، وبتاعتى أنا وحدى لا يشاركنى فيها ضيوف مستر « غلام » . . مستر « غلام الرسول » صاحب الفيللا الجديدة التى انتقلت إليها باكستانى مسلم ، زوجته شابة باكستانية حسناء إسمها « حفيظة » وطفلتهما إسمها « فوزية » — ٥ سنوات — وإبنهما إسمه « عمران » — ٦ شهور — . . أسرة مسلمة جداً ومحافظة جداً . كانت شروطها مختلفة تماماً عن شروط مستر « مالك » الهندى : ألا أستقبل « صديقات » فى غرفتى ، ألا أستعمل المطبخ ، ألا أحضر معى إلى البيت شيئاً يندرج تحت بند « المنكر » ، يعنى لا خمر ولا لحم خنزير . . ووافقت على الشرطين الثانى والثالث على الفور . لأننى لا أتعامل أصلا مع المنكر بكل صوره . . أما الشرط الأول : عدم استقبال « صديقات » فى غرفتى ، فإن « بيسة » و « سوسن » كانتا معى حين ذهبت لاستئجار الغرفة ، وهما تناديانى بـ « أونكل حسين » . . ولما كانت كلمة « أونكل » فى اللغة الإنجليزية تعنى « خال » أو « عم » . فقد فهم مستر ومسز « غلام »

أنني خالفتهما . لماذا لم يتسرّ على « بيسة » و « سوسن » و « سناء » شرط المنع هذا . .

أدفع في غرفتي الجديدة نفس الإيجار الذي كنت أدفعه عند مستر « ماثاك » : ٦ جنيهات إسترلينية في الأسبوع ، يعني حوالي ٢٦ جنيهاً إسترلينياً في الشهر ، أو ما يساوي نحو ٤٤ جنيهاً مصرياً في الشهر الواحد أدفعها في مقابل غرفة واحدة!! . . في القاهرة أدفع ١٦ جنيهاً — مصرياً طبعاً — إلا قليلا في شقتي المكونة من ٦ غرف وصالة في أكبر عمارة في أهم ميادين القاهرة . .

يا حلوة يا بلدنا ، يارخيصة يا بلدنا . .

« سوسن »

برغم

سنواتها العشرين ، إلا أنها مازالت تعيش في سن الرابعة عشرة ، شكلا وموضوعاً . . طفلة صغيرة الحجم دقيقة القدّ مرحة لاهية تمسك بمفاتيح الحياة بين أصابعها ، لم تصطدم بأبواب الدنيا بعد . . تغضب وتتقمص لأقل سبب ، ثم في لحظة تشرق ابتسامتها وضحكتها من بين دموعها . . فإذا ضحكت « سوسن » فقل يا رحمن يا رحيم : حنفية وباظت جلدتها وفسد محبسها . . تظل تضحك وتضحك وتضحك دون أن تستطيع أن تتوقف حتى لو حاولت . . ولا تتوقف إلا حين تكتشف فجأة أنها نسيت السبب الذي كانت تضحك من أجله ، فتبدأ تضحك من جديد على عباطتها !! . .

كانت « سوسن » هي النموذج بالضبط الذي أريد أن أرى من خلاله إنطباعة الطالب المصري أو الطالبة المصرية التي ترى أوروبا لأول مرة في حياتها . . أوروبا ليست جديدة عليّ أنا . . « بيسة » و « سناء » سبقتاني في الوصول إلى لندن ، وحين لحقت بهما كانت الإنبهارة الأولى

التي أريدها قد زالت تقريباً . . أما «سوسن» فهي لسه طازة وكل ما تراه هنا هو عالم خرافي غريب مدهش بالنسبة إليها . . لذا فقد فَرَّغْتُ نفسي أسبوعاً كاملا قضيته كله مع «سوسن» لكي أرى لندن من جديد ؛ بعينيها هي ! .

حسناء

زى

القمر . لو القمر من نفسه قام وقال لها « اتفضلي » مش حاترضى تقعد مطرحه . . ولو رضيت تقعد مطرحه أكيد الدنيا حاتنور أكتر . . رأيتها تمشي — كالبدر المنور — مسافة لا تقل عن ٢٠٠ متر ذهاباً ، ومثلها إياباً ، لكي تلقى بورقة مكورة في يدها في سلة المهملات في الشارع ، فقط لا غير !! ؛ مع أن حسناء كهذه لو كانت رمت الورقة في الشارع لسعد الشارع لأنه تلقى شيئاً من يديها . . لكنهم هنا إلى هذا الحد يهتمون بالنظام وبالنظافة . . وعندنا في مصر بنرمي قشر الموز وقشر البطيخ من الشبابيك وبننفض السجاجيد من البلكونات فوق رؤوس الناس اللي ماشيين في الشارع !! . .

الناس هنا منظمون جداً ومنتظمون جداً مثل الساعات المضبوطة التي لا تقدم ولا تؤخر . . كل شيء عندهم بنظام ومواعيد ؛ والنظام والمواعيد يراعيان بدقة تصل إلى حد الهوس . على محطة الأوتوبيس ، كل محطة بلا استثناء : تجد لوحة مكتوباً عليها أرقام الأوتوبيسات التي تقف عند هذه المحطة ؛ وتجد أيضاً بروازاً زجاجياً أنيقاً به لوحة أخرى مطبوعة تشرح خط سير كل أوتوبيس محطة محطة وشارع شارع ؛ والوقت — بالضبط — الذي يتحرك فيه من محطة البداية والذي يصل فيه إلى آخر الخط ، والوقت — بالدقيقة — الذي يتوقف فيه عند محطتك . . يعني أنك لو اتفقت مع صديق لك على أن تلتقيا في أوتوبيس واحد ،

ويركب هو من محطته وتركب أنت من محطتك ، فإذا قال لك إنه سيركب الأوتوبيس من محطته الساعة تسعة و٣ دقائق : فستعرف مقدماً أن هذا الأوتوبيس سوف يصل عندك على محطتك الساعة تسعة و١٧ دقيقة بالضبط ، وكالساعة السويسرية الـ ٤٩ حجر المضبوطة جداً يدخل الأوتوبيس محطتك فى الموعد المكتوب فى اللوحة تماماً . . للدرجة أنى أتصور أنه لو عمل حادثة ودهس أحداً فى الطريق فلن يتوقف خشية أن يتأخر عليك عن موعده المكتوب فى اللوحة ! . .

شىء آخر : أيام السبت لها مواعيد مختلفة عن باقى أيام الأسبوع : مكتوبة وحدها . . أيام الأحد لها مواعيد أخرى مختلفة : مكتوبة . . أيام الأجازات والأعياد : عيد الفصح وعيد البنوك وعيد الميلاد وعيد رأس السنة وعيد ما اعرفشى إيه وإيه وإيه : لها مواعيد مختلفة : مكتوبة . . نظامهم يقرف لكن ذلك هو المطلوب . . ويارب يا رب يا رب ، قبل أن أموت أرى بلدنا الطيبة وقد وصلت إلى واحد على مليون من هذا النظام وهذا الإنضباط وهذه الدقة . .

طبعاً هذه « حجة » قدام ربنا علشان أعيش ألف سنة أخرى !!

وحين
تكون

هناك إصلاحات تجرى لسبب ما لرصيف فيه محطة أوتوبيس ، بحيث إن الأوتوبيس لن يستطيع أن يقف أمام المحطة تماماً ، فإنهم يحيطون المحطة بحبال عليها أعلام ملونة ، ويضعون عليها لوحة تقول إن هذه المحطة معطلة مؤقتاً ، ثم يضعون محطة أخرى متنقلة أو متحركة على مقربة منها يقف عندها الأوتوبيس !! . . منتهى الدقة والنظام واحترام إنسانية الإنسان . . فى مصر ممكن هيئة النقل العام تلغى خط أوتوبيس بحاله دون أن تفكر فى أن تعمل إعلاناً صغيراً تقول فيه للناس إن هذا الخط إتلغى ،

ويمكن أن السواق نفسه يغير خط سير الأوتوبيس ليسير به أمام بيته فى حوارى السبتية ويطلق الكلاكسات فرانه تزغرط وجيرانه يفرحوا بيه ، ويمكن أن الكمسارى يركن الأوتوبيس علشان ينزل يشترى صاندوتشات كرشة ولحمة راس .. أما هنا فالأوتوبيس تستطيع أن تضبط ساعتك عليه بالدقيقة وبالثانية . ولو حدثت ظروف طارئة — وذلك نادر جداً — فسوف تجد على محطة الأوتوبيس الرئيسية لوحة مكتوباً عليها بوضوح وبأدب شديد جداً : « نظراً للعجز فى عدد السائقين الذى يعانيه مرفق مواصلات لندن ، فإننا نعتذر ومتأسفين جداً لأن الأوتوبيس خط رقم كذا الذى يقوم من محطة كذا الساعة ٨٫٤٦ مساء، لن يقوم اليوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٧٣ ، لكنه فى الغد — الإثنين ١٧ سبتمبر — سوف يتحرك فى موعده .. متأسفين جداً » ! ! ..

وحين يصل الأوتوبيس أمام المحطة فإنه يتوقف عند بداية الطابور بالضبط كأن السائق قاسها بالمسطرة والمثلث : وينفتح البابان معاً : الأمامى للصعود والخلفى للنزول .. لا أحد يجرى ليصعد من الباب الخلفى : ولا أحد من داخل الأوتوبيس يزاحم لينزل من الباب الأمامى ... الجميع يقفون فى طابور هادئ منتظم ، ويصعدون إلى الأوتوبيس بالدور ، واحداً بعد واحد . فيدفعون ثمن التذكرة ، فكة . للسائق ، ويأخذون تذكرتهم من الآلة الصغيرة الموضوعة إلى جواره .. وحكاية « خلينا إنجليز » التى كنا نسمعها زمان : لا أحد يدفع لأحد ، ولا أحد يحلف برحمة أمه ما انت دافع ، ولا اثنين يقعدوا يتعازموا على بعض والكمسارى ملطوع فى انتظار نهاية مفاوضاتهم .. قد تجد صديقين أو صديقتين أو فتى وفتاة واقفين على محطة الأوتوبيس يتبادلان القبلات — فى الطابور برضه —

فإذا جاء الأوتوبيس صعدا واحداً بعد آخر وكل منهما مجهز ثمن تذكرته فى إيده !! . .

ظريفة جداً الحكاية دى ، لو يعملوها عندنا فى مصر . . ويارت كمان لو بأثر رجعى !! . .

لا أحد يقوم لأحد فى الأوتوبيس . لا للستات العواجيز ولا للشابات ؛ ولا أحد يتطوع ليأخذ منهن الحقائب أو الأشياء التى يحملنها فى أيديهن . . كل واحد مشغول بنفسه فقط . . لا أحد يتكلم مع أحد — حتى ولو كانا معاً — ولا أحد يهزر مع الآخر ولا يقول له آخر نكتة ولا يضحكوا ولا يعملوا حاجة أبداً ، كأنهم واخدين حقن بنج قبل أن يركبوا الأوتوبيس مباشرة . أو كأن الكلام ممنوع فى الأوتوبيسات بمرسوم ملكى أو كأن اللى حايتكلم فى الأوتوبيس حايروح النار . . أقصى حاجة ممكن أن يعملوها فى الأوتوبيس أو فى المترو هى أن يقرأوا الصحف أو المجلات ، يحلوا الكلمات المتقاطعة . يناموا ، يتبادلون القبلات — من سكات برضه — فقط لا غير !! . .

ومع ذلك ، فى كل أوتوبيس تجد ثلاث مقاعد متجاورة مخصصة لكبار السن وأصحاب العاهات ومشوهى الحرب واللاتى يحملن أطفالا . . يعنى حتى « الإنسانية » هنا بنظام !! . .

والأوتوبيس
هنا

درجة واحدة كله ، مفيش درجة أولى ودرجة ثانية ؛ كله بسعر واحد وبمستوى واحد . . وأوتوبيسات لندن فيها ألف يافطة ويافطة من الداخل ومن الخارج . . الأوتوبيس مليان إرشادات وتعليمات وكتابة : « التدخين ممنوع فى الطابق الأسفل » . . « رن الجرس مرة واحدة من فضلك عندما تريد النزول » . . « النزول من الباب الخلفى » . . « إترك

التذاكر المستعملة فى هذا الصندوق » . . « الأشياء التى تفقدها أو تنساها فى الأوتوبيس تجدها أو تسأل عنها فى الحتة الفلانية أو فى رقم تليفون كذا وكذا » . . « جهز الفكة وأنت طالع الأوتوبيس » . . « وسع السكة من الباب » . . « عايزين سائقين جدد » . . « ما تعطلشى السائق علشان توصل فى ميعادك » . . وناقص يكتبوا فى الأوتوبيس : إغسل يديك قبل الأكل وبعده !! . .

يفط يفط . ومع ذلك فالأوتوبيس نظيف جداً من الداخل ومن الخارج كأنه لسه واصل من المصنع الآن حالا . . مفيش لوح زجاج مكسور ولاشباك مخلوع ولا أكرة ناقصة ولا كرسى جلده مقطوع بموس أو مطواة ، مفيش واحد شاطب على كلمة « عدم » وتارك « الرجا . . . التدخين » ، مفيش حد بيرمى تذكرته على الأرض . . مفيش حد بيقزقز لب وسودانى ومالى الدنيا حواليه قشر . . مفيش واحد شايل كيس فاكهة وعمال يقشر برتقال ويوستفندى وياكل ويشرّ فى الأرض ، مفيش واحد بيمص قصب ، مفيش واحد عامل هوسة وبيحكى غرامياته بصوت عال للى قاعد جنبه ، مفيش واحد واقف سادد الباب جنب السواق علشان يتزنق فى الستات والبنات اللى طالعين ، مفيش حد مستخف دمه وداخل قافية مع الكمسارى أو السواق . . مفيش حد يحاول يركب زيادة عن العدد المقرر للأوتوبيس ، وبمجرد أن يرفع السائق يده مشيراً بمعنى « كفاية » فذلك معناه أن أحداً لن يصعد بعد ذلك حتى لو كان أبوه مدير عموم أتوبيسات لندن والأقاليم ! .

وهذه
الغرفة

الزجاجية الأنيقة هى — عقبالنا يارب — محطة أوتوبيس ؟ . فأغلب محطات الأوتوبيس هنا ، ولا أقول « كلها » حتى لا أكون كاذباً

وربنا يسخطنى ويخلينى « بورتر » على طول ، أغلبها عبارة عن غرف زجاجية مسقوفة ولها بابان مفتوحان : مدخل ومخرج . حتى لا تغرقك الأمطار ولا يلسوعك برد الشتاء ولا تلفحك شمس الصيف وأنت واقف فى انتظار الأوتوبيس . . ناقص يعملوا فيها تدفئة بالليل فى الشتاء !! . .

نفس أرقام الأوتوبيسات ونفس الخطوط ونفس المسارات ونفس المحطات هى هى تماماً كما رأيتها عند ما زرت لندن لأول مرة منذ ١٦ عاماً ، مش زى عندنا كل يوم والتانى يبدلوا ويغيروا أرقام الأوتوبيسات ومساراتها علشان يتوهوا الناس ، وأغلب الأوتوبيسات عندنا أصلا مش مكتوب عليها أرقام فى مقدمتها وتركبها وإنت وبختك : يا راحت الجيزة يا راحت مصر الجديدة ! .

والذين خبروا لندن وعرفوها من قبل ينصحون الوافدين الجدد بالتعامل مع أوتوبيسات لندن بدلا من الـ « أندرجراوند » أو المترو تحت الأرض . . لأنك من الأوتوبيس تستطيع أن تشاهد لندن وشوارع لندن ، ولكن فى الـ « أندرجراوند » لن ترى شيئاً لأنه يسير فى أنفاق تحت الأرض ، فلا ترى إلا النفق نفسه . . يعنى المفروض إذا كنت تزور لندن للمرة الأولى أن تركب الـ « أندرجراوند » مرة واحدة أو مرتين فقط من باب العلم بالشيء ومشاهدة حاجة غريبة ليست موجودة عندنا فى مصر ، ثم تتعامل مع الأوتوبيس دائماً بعد ذلك . . خصوصاً أنك تستطيع أن تستفيد بالتذكرة « الأبونيه » التى تصلح لمدة يوم واحد فقط وسعرها ٥٠ بنساً ، تركب بها أى أوتوبيس أحمر من وإلى أى مكان فى لندن من الفجر حتى منتصف الليل . . يعنى تفضل تنطط من أوتوبيس لأوتوبيس وتتفرج على لندن كلها لغاية ما تزهق . .

بمناسبة أوتوبيسات لندن ، وهى من طابقين كما هو معروف : كنت و « سوسن » نقف على محطة الأوتوبيس ننتظره لنذهب إلى (ماربل آرش) ، فلما جاء أول أوتوبيس تقدمت « سوسن » لتركب فجذبتها من ذراعها

وقلت لها إن هذا الأوتوبيس لايذهب إلى (ماربل آرش) . فنظرت إلى الطابق العلوى فى الأوتوبيس وهى تسأل مستفسرة : « ولا اللى فوق ؟ » ! !

الوافد
الجديد

الذى يرى لندن لأول مرة ينبهر جداً بشكل الحياة « الغذائية » هنا . . أغلق الإنجليز الباب على أنفسهم تماماً بعد الحرب العظمى الثانية حتى يعيدوا بناء اقتصاد إنجلترا الذى خربته الحرب . . إنغلقوا بشدة . . فكانت نتيجة هذا الإنغلاق فوائد وأضراراً . . الفوائد : رخاء معيشى رائع ومرتبات مرتفعة جداً بالنسبة لنا فى مصر . . والأضرار : الجهل المطبق بكل ما يدور خارج إنجلترا . . والذى يهمنا نحن كمصريين نعيش فى إنجلترا لفترة محدودة فى الوقت الحالى هى حكاية الرخاء المعيشى المهول والمرتبات المرتفعة وأثرهما علينا ، نفسياً ومادياً ! .

تدخل الـ« سوبر ماركت » هنا فتجد فيه كل شىء . . كل شىء فعلا ، وبوفرة . . كل ما يخطر على بالك إبتداء من العلب المحفوظة حتى الوجبة الطازجة الجاهزة المعبأة فى علب ورقية صغيرة ، ما عليك إلا أن تضعها على النار دون أن تضيف عليها أى شىء آخر ، لتسخنها فقط وتأكلها فوراً بعد بضع دقائق ، سواء كانت طبق خضار أو ورك بطة أو شرائح سمك مقلية أو مشوية أو غير ذلك . . كل ما تشتهيه الأنفس ويسر الأعين ويبهج معدتك ويثير شهيتك سوف تجده أمامك بأسعار رخيصة للغاية . . ما عليك إلا أن تسحب سلة مصنوعة من السلك إذا كنت ستشترى أشياء قليلة ، أو تدفع أمامك عربة تشبه عربات الأطفال مصنوعة من السلك أيضاً إذا كنت ستشترى أشياء كثيرة ، وتمد يدك لتأخذ كل ما تريد لتضعه فى سلتك أو عربتك ، بأرخص الأسعار : باكو الشاى الفاخر الربع رطل بـ٦ بنسات فقط ، زجاجة الكوكاكولا

الكبيرة التي تكفى أسرة بأكملها ، ١١ بنساً ؛ شريحة السمك المقلى التي تكفى قطعتان منها لتملأ بطنك . الواحدة ، ٢ بنس فقط ؛ الفرخة الكاملة التى لم تكن تشكو فى حياتها من الأنيميا ، ٢٦ بنساً ؛ زجاجة عصير البرتقال الكبيرة التى تكفيك أسبوعاً ، ٨ بنسات ؛ كيلو السكر ، ١٠ بنسات ؛ باكو البسكويت به ٥٠ قطعة ، ٥ بنسات .. ووو .. كل شيء موجود ومتوفر ومالى الدنيا برغم الملايين الثمانية الذين يعيشون فى لندن والعدد المساوى لهم من السياح والأجانب الذين يتواجدون فى لندن فى ذلك الوقت من العام . ولتوفر كل شيء ، فإنك لن تجد أحداً يأخذ أكثر من احتياجاته الفعلية .. لن تجد أحداً يخزن فراخ فى ثلاجته .. لن تجد أحداً مدكّن كذا علبة شاى أو كذا كيلو سكر ! .

ومع
ذلك

فإنك لن تستطيع أن تمنع نفسك من الدهشة للتناقض الغريب جداً فى موضوع الأسعار فى لندن ؛ فبقدر ما تجد أشياء كثيرة رخيصة نسبياً وبشكل عام ، فإنك فى الوقت نفسه سوف تجد أشياء أخرى أسعارها غريبة جداً وتستوقف نظرك بشدة : المشط الصغير اللى البياعين عندنا بينادوا ويهاتوا ويدللوا عليه فى الشوارع ويطاردونك به فى الترام والأوتوبيس ، ويكادوا يتحايلوا عليك لكى تشتريه « بساغ يابيه » ؛ هنا فى لندن ، ١٥ بنساً ، أو ما يساوى ٢٥ قرشاً مصرياً .. رباط الجزمة ، ٥ بنسات أو ما يساوى ٨ قروش مصرية . عنقود العنب الذى لا يشبع طفلاً صغيراً فى مصر يباع هنا بالميزان ، ٢٦ بنساً أو بحوالى ٤٥ قرشاً مصرياً .. يكتبون على العنب – مثلا – سعر الرطل ، ثم يبيعونه بالعنقود : يزنون العنقود الذى تختاره ليروا يطلع قد إيه من الرطل ويحسبوه ، ويسألونك :

«المنقود ده ولا ده يكفيك؟» واللى تختاره يتوزن وتدفع ثمنه وتتفضل.. كيلو العنب عندنا فى مصر — ٢ رطل وربع — يكفى أسرة بأكملها ويباع بـ٦ قروش فى الموسم ؟ ؟

باقى أنواع الفاكهة تباع بالواحدة : التفاحة بـ٥بنسات .. الخوخة بـ٥ بنسات . البرقوق إذا كان كبير الحجم فبالواحدة وبـ ٥ بنسات ، وإذا كان صغيراً فوحدة الميزان هى ربع الرطل بـ١٥ بنساً . . البطيخ والشمام يباع بـ(الشقة) أو ربع البطيخة ملفوفة فى ورق سلوفان ومكتوب عليها سعرها فى (تيكيت) صغير مطبوع . . أربعة أصابع موز بـ ١٨ بنساً . . كل حاجة سعرها مطبوع عليها ولا أحد يغش ولا أحد يخم ولا أحد يضع لك فى قاع الكيس فاكهة معطوبة ويتركك تنقى زى ما أنت عايز وفى الآخر يحملك ويغير الكيس ! .

دخلت (سوبر ماركت) فوجدت الكمثرى مكتوب عليها ٣٢ بنسا ففرحت وقلت آخذ ربع كيلو . . طلبت الربع فطلع كمثراية واحدة فقط ، واكتشفت أن الإنجليز يتعاملون بالرطل وليس بالكيلو ، وعلى هذا الأساس فكيلو الكمثرى يساوى ٧٢ بنساً أو حوالى ١١٥ قرشاً مصرياً . . فرحت فى الأول ثم وجدت نفسى أخذت الكمثراية الواحدة بما يساوى ١٤قرشاً مصرياً . . !!

وكما أكتب عادة بعد كل رحلة من رحلاتى فى أوروبا : ياحلوة يا بلدنا يا رخيصة يا بلدنا ياللى كلك خير وبركة يا بلدنا . . بس لو مكانشى فيه شوية حاجات صغيرة ناقصة ، زى الزيت والسمن والفلفل والشاى والسكر والكبريت والصابون ووو . . وفراخ الجمعية !!

لكن
أرخص

شيء في لندن كلها هو : الشوكولاتة . . الشوكولاتة الفاخرة التي ما زال طعمها في فمي حتى الآن . . في خلال الـ ١٢ يوماً الأولى في لندن - أيام البؤس والصعلكة والبحث عن عمل — كنا عايشين على الشوكولاتة ؛ بنفطر ونتغدى ونتعشى شوكولاتة . . مش عز أو رفاهية لا سمح الله ؛ لكن فقر وقصر ديل ، ولأن الشوكولاتة الفاخرة التي تباع بالشيء الفلاني في شارع شوارني في القاهرة هي أرخص شيء ممكن في لندن : بشلن تحصل على قالب شوكولاتة مهول يملأ فمك بهجة واستمتاعاً ويملأ بطنك كوجبة كاملة ويملأ عينك الفارغة . . « الكادبوري » و « النستلة » وعشرات من الأصناف غيرهما . . للدرجة أننا كنا نأكل شوكولاتة طول النهار كالمساريع المفجوعين اللي كانوا محرومين من حاجة وفجأة وجدوها أمامهم مرطرطة وبالكوم . . تضع الشلن في ماكينة الشوكولاتة في محطات المترو الـ «أندرجراوند» وتسحب الدرج فتخرج لك قطعة الشوكولاتة المرسومة صورتها فوق الدرج . . وفي المحلات قوالب الشوكولاتة الضخمة التي تزن القطعة الواحدة منها رطلاً أو أكثر ثمنها لا يزيد كثيراً عن ٩ بنسات صعوداً إلى ١٣ بنساً . . إبنتي « نهلة » بتموت في الشوكولاتة ولديها الإستعداد لأن تظل طول عمرها لا تأكل شيئاً إلا الشوكولاتة . . أفكر في أن أرسل لأحضرها إلى لندن وأتركها في محل شوكولاتة ، وأفوت عليها كل يوم خميس آخدها أفسحها شوية وأرجعها تاني . .

وكل
شيء

في لندن بشلن . . تستطيع أن تشتري إنجلترا كلها بالشلن بتاعك : ماكينة الشوكولاتة تخرج لك قالب شوكولاتة مفتخر بشلن . . ماكينة المثلجات والمشروبات الساخنة تخرج لك ما تريد بأقل من شلن . . ماكينة السجاير تخرج لك علبة من الصنف المطلوب بأربعة أو بخمسة شلن ، فقط إضغط على الزر . . . عداد الكهرباء يعمل ٤ساعات بشلن . . عداد البوتاجاز — أيضاً — يعمل بشلن . . . حتى طوابع البريد لها ماكينة تضع فيها الشلن فيخرج لك عدد من الطوابع قيمتها شلن . .

بشلن تأخذ حمام ساخن . . بشلن تشتري تفاحة واحدة وبشلن تشتري خوخاية واحدة . . بثلاثة شلن تغسل ملابسك وبشلن تجففها وبعد كده تحتاس تكويها فين . . فليس في لندن محلات المكوجية ولا صبي المكوجي الرزل الذي يضرب عليك الجرس في الساعة الرابعة عصراً فيفزعك ويوقظك من عز النوم ! .

الماكينة التي تضغط على زر فيها مكتوب عليه إسم المشروب الذي تريده ، ساخناً أو مثلجاً : قهوة سادة أو قهوة بالسكر ، شاي بالسكر وشاي بدون سكر ، كوكاكولا أو فانتا ، كاكاو ساخن باللبن . . تضغط على الزر وتنتظر قليلا ثم تمد يدك لتفتح طاقة زجاجية صغيرة لتأخذ منها كوباً من البلاستيك فيه المشروب الذي طلبته . . ونفس الماكينة لكن بشكل مختلف قليلا : تضغط على الزر فتخرج لك زجاجة ويسكي أو كونياك أو بيرة أو فودكا أو براندي إلى آخر هذه القائمة من أنواع « المنكر » . . زجاجة صغيرة جداً بها عبوة كأس واحد فقط . . منتهى النظام والدقة وتوفير الوقت والجهد في كل شيء . . لو عملوا مثل هذه الماكينات عندنا في مصر فقطعاً حايعملوها تنزل عصير قصب وسوبيا ومية طرشي وفطير مشلتت وساندوتشات فول وطعمية ! .

وقع
كل

هذه التسهيلات الرائعة وشكل الحياة السهلة المنتظمة جداً التي تجدها في لندن وفي كل مكان آخر في أوروبا . فإن لندن ليست جنة ولا عالماً مفروشاً بالورود والأزهار والرياحين .. فهي مثلها مثل أي بلد في العالم : فيها الطيب وفيها الخبيث . فيها الجميل وفيها القبيح . فيها الناس الكويسين وفيها الناس اللي عايزين قطع رقبتهم : وفيها النشالين واللصوص والحرامية والشحاتين . لكن حتى هؤلاء فهم شحاتين مودرن بما يناسب العصر الذي نعيش فيه : الشحاتين الخنافس الذين يملأون أنفاق محطات المترو (الأندرجراوند) يعزفون على آلاتهم الموسيقية ويتركون صناديقها مفتوحة إلى جوارهم ليلقي إليهم المارة بنسانتهم في الصناديق المفتوحة .. لم أر في صندوق أي واحد منهم قطعة نقود قيمتها أكثر من ٢ بنس . يعني قرشين صاغ .. أعطيت واحداً من هؤلاء الهيبيز الشحاتين قطعة من ذات النصف بنس (تعريفة) مساهمة مني في زيادة إفساده وتبويظه ولكي يستمر «هيبي» كما هو ولا يعود إلى دراسته في الجامعة ..

وفي أنفاق المترو أيضاً تجد شحاتين الكبريت مثل عندنا بالضبط .. تلك السيدة — الخواجاية — التي تجلس على قرافيصها الإنجليزية في محطة الـ «أندرجراوند» وهي تمسك في يدها بقاروصة كبريت مفتوحة وناقصة علبة أو علبتين . والمفروض أنك تضع لها ما تجود به نفسك ولا تأخذ علبة الكبريت .. كنت ناوى «أجود» لكن رجعت وفرت هذه «الجودة» لما أرجع مصر وأعطيها لواحدة شحاتة بلدياتي شايلة قاروصة كبريت هلب .. هو احنا حاننتى للشحاتين عملة صعبة كمان ؟ ! .

والناس

الإنجليز

هنا بشكل عام مهذبين للغاية . . أتصور أن أدبهم يفوق الأدب الياباني . . الواحد هنا تدوس على قدمه فى الشارع أو فى المترو فيعتذر لك هو قبل أن تعتذر له أنت ! . . تخبطه كتف بلوحه أو يجيبه الأرض ، وهو بيقع يعتذر لك . . تسأل أى واحد أو واحدة ماشيين فى الشارع — مهما كان يبدو عليهم أنهم مستعجلين — فيقفون ليرشدوك ويداوك ويصفون لك الطريق بصبر وأناة . ويتحملوا بطء فهمك لغتهم الإنجليزية . ويمكن كمان يمشوا معاك شوية علشان يوصلوك ، كل ذلك والإبتسامة الرقيقة على وجوههم الإنجليزية الحمراء . . قليلو الأدب هنا هم فقط — للدهشة الشديدة — الزنوج الإنجليز . . بالرغم من أنه لا يوجد فى إنجلترا أى مظهر من مظاهر التفرقة العنصرية ، لدرجة أننى بدأت أفقد عطفى عليهم وعلى قضيتهم . . الأغرب من ذلك أن الزنوج هنا يحترمون البيض جداً ولا يحترمون الملونين اللى زيهم . .

على فكرة : أنا هنا أعتبر ملون ! .

وكلمة «من فضلك» تقابلك ١٠٠٠ مرة فى اليوم . فى كل مكان وفى كل شارع وفى كل محل : من فضلك إكتب إسمك هنا ، من فضلك إقرأ هذا الإعلان ، من فضلك التدخين ممنوع ، من فضلك إستعمل الباب الآخر ، من فضلك ممنوع دخول الكلاب . . من فضلك من فضلك من فضلك . . حتى أرغمونا على أن نتعامل بنفس الأدب . . وبالشكل ده تكون قد تحققت الحكمة العربية التى تقول : « سافر ففى الأسفار خمس فوائد » ، وأهم هذه الفوائد قطعاً هو : «بدل السفر» ! !

و « العمل »

هنا

فى إنجلترا شىء محترم جداً . . كل من يعمل فهو محترم مهما كان نوع عمله أو أهميته . . وتساوى احترام « عمل » عمال النظافة وعمال المجارى مع احترام « عمل » رئيس الوزراء . . وطالما أنك تؤدى واجبات عملك على الوجه الأكمل فأنت محترم . وحين تهمل فى عملك فإنهم يرفدونك فوراً مهما كنت ظريفاً ودمك خفيف وحليوة ، يرفدونك باحترام أيضاً . . الظرف والحسن وخفة الدم حاجة والشغل حاجة تانية . .

اليوم صباحاً كنت أدفع أمامى العربة الصغيرة التى نضع عليها حقائب النزلاء ، وأنزل بها من الطابق الثانى فى الفندق وعليها ٤ حقائب كبيرة ، فخشيت أن تقع واحدة منها من فوق العربة وأنا نازل بها على السلم . فوضعتها جانباً حتى أعود مرة أخرى لأخذها ، وكان مستر « پتشورتشيك K. Pechartscheck » الألمانى مساعد المدير يمر إلى جوارى فى ذلك الوقت ، فسألنى : « إنت عايز تنزل الشنطة دى تحت ؟ » قلت : « سأرجع لأخذها حالا » فببساطة جداً لا تصدر عندنا من موظف درجة خمستاشر ، مد يده وحمل الحقيبة ونزل بها إلى الطابق الأسفل !! . .

وبمناسبة المديرين : الفندق هنا به ٣٦٠ غرفة وله مدير و ٣ مديرين مساعدين . . ليس لواحد منهم سكرتيرة ولا سكرتارية ولا مدير مكتب ولا ١٠ تليفونات بنمر مباشرة ولا لمبة حمراء ، ولا حتى حجرة مكتب لوحده . . وتدخل حجرة مكتب مساعدى المدير فتجدها مترين × مترين بالضبط وبها مكتبان خشبيان متواجهان ومتلاصقان ، وحتى ليس على أى منهما بنورة ، وعليهما معاً ٣ تليفونات كل واحد منها له استعمال خاص لكن ليس من بينها واحد بنمرة خاصة ، وعلى كل مكتب آلة كاتبة صغيرة يكتب عليها المدير للمساعد بنفسه ما يريده ، يعنى حتى لا توجد

فتاة تايبست تخدم المدير ولا المديرين المساعدين ، كل واحد يعمل شغله بايده . ويفترض أن هذه غرفة مكتب المديرين المساعدين الثلاثة معاً ، على اعتبار أنهم لا يجتمعون على الإطلاق فى وقت واحد . لأن كل واحد منهم يعمل وردية واحدة مثله مثل مئات العاملين فى الفندق : واحد فترة الصباح وواحد فترة العصر والمساء والثالث يسهر طول الليل .. فإذا تصادف واجتمعوا فلن يجتمع منهم أكثر من ٢ فى وقت واحد . لذا وضعوا فى الغرفة مكتبين فقط وليس ثلاثة .. فالبساطة عنوان كل شيء فى هذا البلد .. الفخامة والفخفخة للسياح فقط وللأجانب الذين يدفعون .

حدث أن جاء رجال البوليس الإنجليزى إلى الفندق ذات ليلة فى الثانية صباحاً وقبضوا على الطباخ وعامل ماكينة غسيل الأطباق فى الكافيتيريا — وهما هنديان — لاتهامهما فى حادث سرقة سيارة .. وبذا أصبحت الكافيتيريا بدون طباخ وبدون أحد يعمل على ماكينة غسيل الأطباق ، وعلى الفور لبست « دورا » الحسناء مساعدة مديرة الكافيتيريا مريلة الطباخ ودخلت المطبخ لتطبخ للزبائن حتى الصباح . أما « بيجى » المديرة فقد تولت بنفسها غسيل الأطباق طول الليل ..

مسز « مالك » الهندية التى كنت أسكن عندها فى بداية عملى هنا : ست موظفة قد الدنيا ، تمتلك ڤيللا وسيارة خاصة ، ومع ذلك فهى فى وقت فراغها تعمل : دلالة ! ! .. عندها عدد من الكتالوجات تعرضها عليك لتختار منها ما تريد ، وفى اليوم التالى تكون طلباتك عندك بنفس أسعارها المطبوعة فى الكتالوج : هى تشتريها بالتخفيض وتبيعها لك بسعرها الرسمى ، وتكسب الفرق ..

« العمل » هنا محترم مهما كان متواضعاً وبسيطاً .. « أنت تعمل إذن فأنت محترم » مهما كان نوع عملك .. حتى لو كنت كناساً فى بلدية لندن . !

صعب

جداً

أن نتصور أنه من الممكن أن ننقل نفس النظام والدقة اللذين يتمتع بهما الشعب الإنجليزى إلى مصر فى خلال خمسة أو عشرة أعوام .. هم شعب تربى على النظام والنظافة واحترام الآخرين .. ولدوا بها وفتحوا عيونهم على الدنيا وهم أطفال فوجدوا كل شىء يسير زى الساعة فانتظموا مع انتظامها .. حتى الهيبيز يفعلون كل ما يريدون وعلى راحتهم على الآخر ، لكن برضه بنظام ، لن تجد واحداً منهم يصعد الأوتوبيس قبل دوره ولا يتخطى الطابور أبداً .. « هيبى » صحيح لكن على نفسه فقط . هو حر يعمل فى نفسه ما يشاء لكن دون أن يعتدى على حرية الآخرين أو حقوق الآخرين ..

وبمناسبة الطابور ، فكل شىء هنا بالطابور إبتداء من الطابور على شبابيك الدفع فى المحلات إلى الطابور على محطات الأوتوبيس والأندرجراوند لغاية الطابور على أبواب المطاعم والرستورانات .. ولا تندهش إذا رأيت حسناء شيك بفستان سواريه عريان أو بالطو فرو بمبلغ وقدره ورجلا أنيقاً فخماً بملابس السهرة ، واقفين فى الطابور على باب مطعم أو رستوارن فى انتظار أن تخلو مائدة فيدخلان لتناول العشاء !! .

وبمناسبة الطابور أيضاً ، فهناك تشنيعة إنجليزية تقال عن شدة تمسك الإنجليز بأن يكون كل شىء بالطابور .. التشنيعة تقول أن إنجليزياً ذهب يشترى شيئاً ما من محل فلم يجد طابوراً ، فرفضت البائعة أن تبيع له ما يريده إلا إذا وقف طابور !! وتشنيعة أخرى — ألعن — تقول أن الرجل الإنجليزى يقف على باب غرفة نوم زوجته .. فى الطابور !!

(٧)

□ معالى الوزير يغسل الصحون ! □

سعيد

جداً

بغرفتى الجديدة فى الفيلا رقم ١٠٣ « واى آڤينيو » فى حى « كرانفورد » ..
الجو فى البيت هادئ جداً بعكس الجو فى غرفتى القديمة فى بيت مستر « مالك » الهندى ، وبرغم وجود طفلين صغيرين ، لكنهما طفلان هادئان ظريفان وديعان لا يسببان لى أى إزعاج .. وأى إزعاج يمكن تسببه دستة أطفال فى بيت يقع أصلا عند بداية أحد ممرات الهبوط فى مطار « هيثرو » ، حيث تزأر فوق رأسى طائرة كل ٣٠ ثانية ، يعنى ٢٨٨٠ طائرة صاعدة أو هابطة على امتداد اليوم كله .. ولو كانت الستائر مرفوعة عن نافذة غرفتى لملأت اتساع النافذة بعرضها طائرة كل ٣٠ ثانية بلا انقطاع طول الـ ٢٤ ساعة .. ولأنها تكون على وشك أن تلمس بعجلاتها الأرض فعلا بعد بيتى مباشرة ، فإننى قد وضعت فى اعتبارى منذ الآن أننى لن أندهش لو حدث ووجدت عجلات طائرة نازلة تشاركنى غرفتى فى أى لحظة من خلال السقف .. فقط كل ما أرجوه هو ألا أكون موجوداً فى البيت وقتها ! !

ولو كنت فى مكان مفتوح أو الشارع فى « كرانفورد » ، ورأيت الطائرات فوق رأسك تماماً وهى نازلة منقضة على البيوت تكاد عجلاتها تلامس الأسطح ، لتصورتها وحشاً خرافياً هائل الحجم سيسحق هذه

البيوت الصغيرة أو على الأقل يجثم فوقها ويتخذ منها عشاً ! ! . .

الغريب أنني في البداية كنت أحمل هم السكنى في « كرانفورد » على اعتبار أنني لن أستطيع أن أنام من دوشة الطائرات ، لكنني ما لبثت أن تعودت عليها وعلى أن أنام على أصواتها المزعجة ، وإذا حدث لسبب من الأسباب أن انقطع صوت الطائرات لفترة قصيرة وأنا نائم فإنني كنت أستيقظ منزعجاً وأنا أشعر كأن شيئاً يجثم فوق قلبي ، كأنني في سفينة هرب أهلها وتركوها هادئة تماماً تغرق في سكون ، وتركوني أنا فيها وحيداً نائماً أغرق معها . . الأغرب من ذلك أنني بسهولة جداً كنت أستطيع أن أنام على زئير الطائرات — لا أريد أن أستعمل كلمة « أزيز » — وأقلق على الفور إذا سمعت صوت بكاء طفل رضيع في البيت المجاور لي ! ! . .

توسطت

للبنات

الثلاث : « بيسة » و « سوسن » و « سناء » ليعملن جرسونات في الكافيتيريا في نفس الفندق الذي أعمل فيه « ستر إيربورت هوتيل » . . « سوسن » كانت قد اكتفت بأسبوع سياحة وفسحة شاهدت فيه معي معالم لندن ، و « بيسة » و « سناء » كانت كل منهما تعمل في فندق مختلف متباعدين في لندن . . « بيجي » الأيرلندية الشمطاء مديرة الكافيتيريا وافقت على أن تستخدم « سوسن » و « سناء » معاً حين قلت لها إنني خالهما ، وبعدهما بأيام جاءت « بيسة » لتنضم إليهما على اعتبار أنني خالها أيضاً . . ابتسمت « بيجي » ابتسامتها التي تستعملها كابتسامة وتكشيرة في الوقت نفسه ، وقالت : « مستر فدري . . يبدو أنك خال كل البنات المصريات اللاتي في لندن » ! !

وهكذا التأم أخيراً شمل الثلاثي « بيسة » و « سوسن » و « سناء » ليعملن في مكان واحد . . إثنتين منهما توأمتان ، والثالثة « بيسة » تكاد

تكون توأمتهما الثالثة : فهي أصغر منهما بـ ٤٨ ساعة فقط . .

خاطر غريب يملؤني كلما قدمت لأحد خدمة ما أو توسطت له في أمر كبير : أتوقع الغدر والنكران والإساءة ، بعض اليد التي قدمت الجميل .. لذا عودت نفسي – من زمان – على أن أبتعد فوراً إلى أكبر مسافة ممكنة عمن أقدم له خدمة ما . .

على أي حال : ربنا يستر ! .

أصبحنا
الآن

نمثل جالية مصرية صغيرة تعمل في الفندق : سبقتنا ٤ بنات مصريات يعملن هنا منذ نحو سنتين : « نورا » و « عقيلة » و « سعاد » و « سوسو » يعملن في ترتيب غرف النزلاء + « بيسة » و « سوسن » و « سناء » و « آمين » و « سمير » جرسونات في الكافيتريا + أنا في الـ « بورترز » . . عشرة مصريين في مكان واحد قطعاً يمثلون نسبة لا بأس بها في عدد العاملين . .

إنضم إلينا الليلة مصريان آخران ، الأول نموذج غريب ، والثاني نموذج أغرب ، وأظرف :

فتى سكندري يقول أنه طالب في معهد بني سويف التجاري . . قصير ومشاكس وشعره مدلى على قفاه وشكله غريب جداً ويتصرف بطريقة صُيَّعْ الإسكندرية . . سمعت « سوسن » إسمه لأول مرة : « كالح » ، فرن في أذنها خطأ « ناجح » ، ولما نفرت من شكله واستغربنا جميعاً تصرفاته الحلفة الفجة ، أطلقت « سوسن » عليه إسم « فسدان » : عكس « ناجح » . . والتصق به هذا الإسم وانتشر بيننا كلنا لا نناديه إلا به !! . .

النموذج الثاني الأستاذ « جبر » مفتش المواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم . . هنا في لندن مع ولديه الصغيرين « ماجد » ١٦ سنة ، و « هاني » ١٤ سنة ، والأب نفسه قارب الستين . . دفع

الأستاذ « فرج» لـ « عادل محمدين » ٦٠ جنيهاً إسترلينياً لكي يعمل الولدان في الشيراتون : لكن « عادل محمدين » شغل الولدين ورفض تشغيل الأب نفسه حتى لو دفع نفس الرسوم » ، لأنه ـ أي الأستاذ « فرج » ـ رجل محترم وكبارة وصحته على قده والعمل في لندن يحتاج إلى شباب وعافية ، فجاء الأستاذ « فرج» ليعمل معنا هنا في فندق « سنتر إيربورت هوتيل» على ماكينة غسيل الأطباق في الكافيتيريا . . « سوسن » الطفلة الكبيرة الشقية التي لا تترك أحداً في حاله أبداً فرحت بمفتش المواد الإجتماعية جداً وأطلقت عليه لقب « وزير التربية والتعليم » ! ! . . وأصبح الأستاذ « فرج » بيننا هو « الوزير» . و : الوزير راح الوزير جه . . معالي الوزير بيغسل الأطباق . . معالي الوزير ما غسلشي المعالق . . الوزير الوزير الوزير . .

وتعب « معالي الوزير » جداً من أول ليلة بعد ٣ ساعات فقط في غسيل الأطباق . . لم يستطع ـ لا هو ولا صحته ـ أن يحتملا المجهود البدني الشاق في غسيل الصحون والأطباق والفناجين والملاعق والشوك والسكاكين والحلل والطاسات وباقي أدوات المطبخ ، ثم تجفيف ذلك كله . . ليس ذلك فقط ، بل أيضاً تنظيف المطبخ ومسح بلاط الكافيتيريا كلها بالممسحة والجردل ، ثم تنظيفها بالمكنسة الكهربائية عدة مرات خلال الليل . . لم تحتمل صحة مفتش المواد الإجتماعية ذلك كله فكاد أن ينهار ، فتوكأ على إبنه إلى صالة التليفزيون بالفندق لكي يستريح قليلا . لكن « بيجي » الأيرلندية الشمطاء مديرة الكافيتيريا لاحظت غيابه فأرسلت تبحث عنه ، لكن الإبن الصغير المتحمس لأبيه المتعب ذهب بشجاعة ليقول لـ « بيجي» إنه سوف يقوم بالعمل بدلا من أبيه . . وكان ذلك شيئاً مضحكاً جداً طبعاً في نظر الخواجات : الأب يتوظف والإبن هو الذي يعمل . . طيب كان الأسهل أن الإبن هو الذي يعين من الأول وخلاص !! .

ويشكو لى الأستاذ « فرج » أنه لا سنه ولا صحته ولا مركزه يسمح له بهذه البهدلة ، وأنه يريد عملاً مريحاً يتناسب مع سنه ومركزه ووضعه الإجتماعى — فى مصر — فهو ، على حد تعبيره : « بيدخل المدرسة من دول يهزّها هزّ » ، لأنه بالإضافة إلى كونه مفتش مواد إجتماعية فهو يقوم أيضاً بمهمة مفتش تحقيقات أحياناً . . لذا فهو يريد أن يعمل فى قسم (الإستقبال) فى الفندق ، ويطلب منى أن أتوسط له عند مدير الفندق لكى يسمح له بالعمل فى (الإستقبال) !! . . ووجدت نفسى مضطراً لأن أشرح لمفتش المواد الاجتماعية أن قسم (الإستقبال) بالذات لا يعمل فيه إلا الإنجليز ، وقلة جداً ممن لغتهم الإنجليزية ممتازة جداً وعالية جداً . .

وفى الليلة التالية كان « معالى الوزير » قد انتهى تماماً . فرفع الراية البيضاء وأعلن استسلامه ، وأخذ حسابه عن اليومين اللذين اشتغلهما . وانصرف ليبحث فى عاصمة بلاد الإنجليز عن وظيفة أخرى غير غسيل الأطباق تناسب مفتش المواد الاجتماعية ! .

يلفت

نظرى

بشدة صغر سن العاملين والعاملات فى الفندق : أغلبهم يدور فى نطاق العشرينات ، سواء فى (الإستقبال) أو فى الكافيتيريا أو فى ال « بورترز » . . قطعاً هذه هى طريقة الإنجليز فى تخريج فندقيين ممتازين يربونهم منذ صغرهم ويرقونهم بسرعة ويحملونهم المسئوليات من بدرى وحدهم ، لدرجة أن المديرين المساعدين فى الفندق ، ومستر « سكاليس » المدير العام نفسه ، يدورون حول الأربعين . .

حدث أمامى الليلة درس رائع فى العمل على الطريقة الإنجليزية يعتبر درساً فى الفندقة وأعمال الفنادق : كان الفندق « فول آپ » ممتلئاً

على الآخر وليس فيه غرفة واحدة خالية من غرفه الـ ٣٦٠ ، حين اتصلت من مطار « هيثرو » فى الساعة الثانية صباحاً سيدة تطلب غرفة تقضى فيها الساعات الباقية من الليلة . . ولم يكن أمام « كريس » موظف الإستقبال الشاب إلا هذا الحل : الغرفة رقم ٨٠١ يقيم فيها بشكل دائم مستر « ت . ليتل چون T. Little John » المدير المساعد للفندق ، لكن مستر « ليتل چون » يبيت الليلة خارج الفندق . وليس هناك أى احتمال لعودته الليلة : لذا — ببساطة جداً — ذهب « كريس » و« ريتشارد » ومشرفة الغرف — الـ « تشامبر ميد » — السهرانة المسئولة عن ترتيب وتنظيف الغرف ، ذهبوا ليخلوا غرفة المدير المساعد وينقلوا ملابسه وبدله وقمصانه وأحذيته وأوراقه وكل متعلقاته . إلى غرفة مكتبه فى الفندق حتى الصباح . . وهكذا لم يرفض الفندق طلباً لزبونة ولا ردها عن بابه فيتركها تذهب إلى فندق آخر ، وكسب سبعة جنيهات إسترلينية مقابل عدة ساعات قليلة تطير بعدها السيدة مرة أخرى بطائرة الصباح . . ولن يغضب مستر « ليتل چون » إذا « باتت ملابسه » فى غرفة مكتبه بدلا من غرفة نومه !! . .

هكذا الإحساس بالمسئولية ، هكذا القدرة على التصرف ، هكذا مرونة الحركة وسرعتها ، هكذا الشغل وإلا فلا . .

وحكاية

أخرى :

نزلت أنا و« سوسن » و« بيسة » اليوم صباحاً إلى لندن لنشاهد عملية تغيير الحرس الملكى أمام قصر الملكة فى باكنجهام ، وأخذت معى الكاميرا لالتقاط بعض الصور لحرس الملكة الشهير بملابسهم التقليدية الغريبة . . منذ خروجنا من البيت أصرت « سوسن » على أن تحمل هى الكاميرا وتعلقها فى كتفها لتبدو كالسائحات . . ركبنا الأوتوبيس الأخضر الـ « جرين لاين » لننزل منه فى لندن بعد ساعة إلا ربعاً ،

وتمشينا إلى قصر باكنجهام : وحين أردت أن أبدأ التصوير إكتشفت « سوسن » لحظتها فقط أنها : نسيت الكاميرا فى الأوتوبيس ! ! . . منك لله يا سوسن يابنت عثمان ، بأه ده كلام ؟ ! . .

وكنت قد نسيت رقم الأوتوبيس نفسه أصلا ، فأردت إبلاغ البوليس ، لكننى لم أجد أى عسكرى بوليس إنجليزى قريب يدلنى ماذا أفعل . . فمشينا نبحث عن عسكرى بوليس حتى وجدنا أنفسنا بالصدفة أمام كشك الأوتوبيس الأخضر الرئيسى فى محطة فيكتوريا ، فدخلت لأبلغ المفتشين الذين وجدتهم فيه . . ولست أدرى هل لأننى قلت لهم أننى صحفى أو لأنهم يتصرفون هكذا عادة مع كل الناس . . وإن كنت أتصور أنهم يتصرفون هكذا مع الجميع فعلا . فقد رأيت بعينىّ أن المفتش قد عطل الطابور الواقف أمامه ما يقرب من نصف ساعة كاملة ليستمع إلى شكوى سيدة زنجية عجوز من أنها قطعت تذكرة فى الليلة الماضية من هذا الكشك لكن اتضح أن الموظف الذى قطع لها التذكرة أخطأ فى ذكر موعد آخر أوتوبيس لها ؛ وأن آخر أوتوبيس كان قد مر فعلا قبل أن تقطع التذكرة . . واضطرت إلى أن تركب تاكسى إلى بيتها كلفها جنيهاً كاملا . . واهتم المفتش بشكواها وأقرها عليها ، ورفع سماعة التليفون واتصل بجهة ما ، ثم وضع السماعة وعلى الفور قدم للسيدة الزنجية ٣ تذاكر جديدة تستعملها فى أى وقت تشاء ؛ وقدم لها أيضاً أجر التاكسى الذى دفعته ، وهو « يرجوها » أن تقبل « أسف واعتذار » شركة الأوتوبيس ! ! . .

المهم :

إهتم الرجل ببلاغى عن فقدى الكاميرا فى الأوتوبيس ، كما لو أننى كنت قد أبلغت الأمر إلى (سكوتلنديارد) ، أو كأننى قد فقدت حقيبة بها طن من

السبائك الذهبية . . فتوجه مع اثنين من مساعديه إلى خريطة كبيرة على على الجدار تبين خط سير الأوتوبيس ، بعد أن عرف منى الموعد بالتقريب الذى نزلنا فيه من الأوتوبيس . وكان قد مضى على نزولنا نحو نصف ساعة فى ذلك الوقت . . فحدد فى ثوان رقم الأوتوبيس واسم سائقه وموقع الأوتوبيس فى هذه اللحظة . . ويتضح أنه « الآن » فى الطريق بين محطتين !! فرفع سماعة التليفون واتصل بالمحطة التى سوف يصل إليها الأوتوبيس بعد قليل . وطلب منهم البحث عن الكاميرا المفقودة عند وصول الأوتوبيس إليهم وإبلاغه بالنتيجة على الفور . . وبعد ١٠ دقائق جاءت النتيجة : عثروا على الكاميرا فعلا على نفس المقعد الذى تركتها « سوسن » عليه . لم يمد أحد يده إليها . بالرغم من أننا حين نزلنا من الأوتوبيس كان مليئاً بالركاب !! . . وعادت الكاميرا إلى بعد ساعة مع الأوتوبيس القادم من الإتجاه الآخر . .

كلما رأيت شيئاً مثل ذلك فى أى مكان فى أوروبا . لا أجد ما أقوله إلا : عقبالنا يارب !! . .

و بمناسبة

أوتوبيسات

لندن ، لم نتكلم حتى الآن عن المترو الذى يسير تحت الأرض فى لندن : الـ « أندرجراوند Under-ground » . . فى تصورى أن مشروع المترو تحت الأرض فى لندن — أو فى أى عاصمة أخرى من عواصم العالم — هو مشروع هندسى مهول . يكفى أن تتصور أن هناك مدينة أخرى كاملة — مكونة من ٣ طوابق — تقع تحت أرض مدينة لندن . . شبكة هائلة من الأنفاق وخطوط المترو تمتد كالشرايين فى جسم الإنسان لتضم ٢٨٨ محطة تربط بين أطراف لندن من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . . وكل محطة هى مشروع

هندسي فذ في حد ذاته ، يكفي أن تتصور حكاية الـ ٣ طوابق هذه ، وأن كل طابق فيه خطان أو أكثر تذهب في أكثر من اتجاه . يعني الركاب المتجهين إلى شرق لندن مثلا ينزلون طابقاً واحداً ، والمتجهين إلى غرب لندن ينزلون طابقين . والمتجهين إلى جنوب لندن يأخذون المترو من الطابق الثالث تحت الأرض . وهكذا . . يكفي أن تشعر بأنك تركب المترو — اللي في الوسط — وفوق رأسك مترو آخر فيه ناس آخرون متجهون إلى اتجاه آخر ، وتحتك مترو ثالث فيه ناس آخرون متجهون إلى اتجاه ثالث . . عظمة هندسية فعلا . .

وإذا بدأنا من البداية : محطات الـ « أندرجراوند » تجدها في الشوارع تشبه مداخل دور السينما . تدخل المحطة فتنزل درجات قليلة على السلم لتجد صالة واسعة كبيرة فيها عدة ماكينات ؛ كل ماكينة مقسمة إلى ثلاثة أقسام : قسم مكتوب عليه « ٥ بنسات » ومكتوب أسماء المحطات التي تستطيع أن تركب إليها بهذه التذكرة ذات الخمسة بنسات ، وقسم آخر مكتوب عليه « ١٠ بنسات » والمحطات التي تركب إليها بهذه التذكرة ، والقسم الثالث « ١٥ بنساً » والمحطات التي تركب إليها بهذه التذكرة : . في كل قسم من هذه الأقسام فتحة صغيرة تضع فيها قطعة العملة المعدنية فتخرج لك التذكرة من فتحة أخرى . . وإذا تصادف وكانت ماكينة من هذه الماكينات أمامها طابور طويل أو معطلة تذهب إلى شباك التذاكر وتعطي لعامل الشباك أي مبلغ وتذكر له قيمة التذكرة التي تريدها أو إسم المحطة التي تريد أن تركب إليها ، فيدوس على زر أمامه فتقفز التذكرة التي تريدها لتسقط أمامك آلياً ، ويدوس على عدة أزرار أخرى فينزل لك باقي الفكة من خانة أخرى دون أن تلمس يد العامل لا التذكرة ولا الفكة !! . شيء رشيق جداً وظريف جداً . .

أخذت
التذكرة ؟ . .

ستنزل بعد ذلك إلى تحت الأرض بواسطة سلالم كهربائية متحركة : كل ما على سعادتك هو أن تتكرم بوضع قدمك الكريمة على السلمة الأولى وتترك السلم الكهربائى ينزل بك وحده إلى تحت الأرض . . وحين تجد نفسك فى الطابق الذى تريده ستجد أمامك العديد من الأسهم والتوضيحات والإرشادات التى تفسر لك كل شيء وتكاد أن تأخذك من يدك ، واضحة جداً ومفسرة جداً بحيث لا تتيح لك فرصة للخطأ على الإطلاق إلا إذا كنت ــ البعيد ــ أعمى أو لا تستطيع أن تقرأ اللغة الإنجليزية . . وستجد مترو مكوناً من ٦ عربات يتقاطر إلى داخل المحطة كل دقيقتين بالضبط ، وبعد أن تركبه ينطلق بك فى داخل النفق بسرعة مهولة جداً . .

باقى عدة أشياء صغيرة بخصوص الـ « أندرجراوند » : من أى شباك تذاكر تستطيع أن تحصل ــ مجاناً ــ على خريطة بالألوان لكل خطوط المترو فى لندن كلها . . وليس هناك بنى آدم يعيش فى لندن ليست فى جيبه هذه الخريطة ، حتى لو كان المستر « هيث » رئيس الوزراء نفسه ، فبدون هذه الخريطة ــ حتى لو كنت أنت المهندس الذى صمم ونفذ مشروع الـ « أندرجراوند » ــ فسوف تتوه بين أنفاق المترو توهان طفل صغير فى مولد السيدة زينب ! .

وإذا وجدت ماكينات التذاكر متوقفة والشباك مغلقاً ــ وذلك يحدث آخر الليل أحياناً ــ فببساطة جداً تستطيع أن تركب المترو وأنت خارج فى محطتك تقول لعامل الباب أنك ركبت من محطة كذا وتدفع له ثمن التذكرة ، وسيصدقك فوراً ولا « يستخونك » ولا ينظر إليك بشك أو ارتياب . .

وأغلب سائقي وعمال الأبواب فى مترو لندن من الزنوج ، نساء ورجالا .. وعلى رصيف كل محطة ستجد فتاة حسناء أو شابا حسناً يرتدى اليونيفورم الأزرق الشهير ، لكى تسأله عن كل ما تريد ، ويدلك ويرشدك وفى النهاية يشكرك هو !! . . وفى المحطات الرئيسية التى تلتقى وتتفرع عندها عدة خطوط . يوجد كشك زجاجى صغير عال تجلس فيه حسناء أمامها ميكروفون لكى توضح أن المترو القادم الآن على رصيف رقم كذا ذاهب إلى الجهة الفلانية ومحطات كذا وكذا وكذا . . منتهى النظام ومنتهى الدقة ومنتهى الانضباط ! .

طفلة

لا يزيد

عمرها أبداً عن ١٤ أو ١٥ سنة على الأكثر ، كانت تجلس أمامى فى المترو إلى جوار أمها وبطنها — بطن الطفلة وليس بطن الأم — ممتلئة على الآخر وقدامها قد كده ! . . لم أستطع أن أمنع نفسى من أن أسألها : « ألست صغيرة جداً على الزواج من الآن ؟ ! » .. فأجابت ودهشة حقيقية تبدو على وجهها الطفولى : « طبعاً لسه بدرى جداً . . ما الذى جعلك تتصور أننى متزوجة ؟ » ! . .

« بيرل »

. . عاملة

التليفون فى الفندق — تتصل بى فى الخامسة والنصف صباحاً لتبلغنى أن الغرفة رقم ١٥١ لم يستيقظ صاحبها على رنين جرس التليفون ، وكان قد طلب إيقاظه فى هذا الموعد . .

المفروض فى هذه الحالة أن أتصل أنا بالغرفة رقم ١٥١ من تليفون مكتبى ، فإذا استيقظ النزيل كان بها ، أما إذا لم يستيقظ — فقد يكون

تليفون الغرفة عطلانا — فأذهب بنفسي لأدق على بابه، فإذا استيقظ فيا دار ما دخلك شر ؛ أما إذا لم يستيقظ أيضاً فإنني أفتح الغرفة بالمفتاح الـ « ماستركي » الذي يفتح كل أبواب الفندق . وأدخل لإيقاظه بنفسي . . .

المهم : ضربت تليفون رقم ١٥١ فلم يستيقظ .. أخذت الـ «ماستركي» معي ناوياً أن أذهب لإيقاظه . لكنني في آخر لحظة تذكرت أن الغرف من ١٥١ إلى ١٨٠ مخصصة للعاملين والعاملات في الفندق .. والذين يستيقظون في هذا الوقت المبكر — ٥,٣٠ صباحاً — ليسوا الموظفين الرجال إنما هن بنات (الإستقبال) أو بنات الـ (تشامبر ميدز) اللاتي ينظفن الغرف . سألت « بوب » موظف الإستقبال السهران فأكد لي أن الغرفة رقم ١٥١ هي فعلا لأحد العاملين في الفندق لكنه لا يعرف من هو بالتحديد . . . وذهبت محرجاً وأنا أخشى أن أفتح الباب فتكون الفتاة نائمة عارية أو على الأقل (مش متغطية كويس) ! !. أو قد تفزع لرؤيتي فجأة « فوق راسها » في وسط الغرفة أنادي عليها فتفقع ١٠٠ صوت وتلم على الناس وتبقى مشكلة . . فذهبت وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى . حتى وصلت إلى الغرفة رقم ١٥١ ونقرت الباب بلطف فلم يرد أحد . نقرت الباب بقوة أكثر ثم أكثر . وبرضه لم يرد أحد من الداخل . . وبعد تردد كبير حسمت أمري وقلت أفتح الباب واللي يكون يكون وأمري إلى الله . . وفتحت الباب بأكبر ضجة ممكنة عسى أن تنتبه الفتاة على صوت فتح الباب ، وبرضه لم تنتبه . . حتى توسطت الغرفة وأضأت النور ، ففوجئت بالمنظر الذي جعلني أتوقف أمامه عدة دقائق وأنا لا أدري ماذا أفعل ولا كيف أتصرف : ملاكين أشقرين ينامان متعانقين في ملائكية شديدة واستغراق عظيم لا يبين منهما إلا رأسيهما الأشقرين وذراعيهما المتعانقين كأنهما قد أصبحا معا جسداً واحداً ! !

لم يهن علي أن أوقظهما من هذا الحلم الجميل الذي يستغرقهما

بعد ليلة حب مهولة قطعا . . مؤكد أنني لن أبلغ عن الفتاة — (لأنه ممنوع — فقط — أن تستقبل أصدقاءها الشبان في غرفة نومها) — . وفي الوقت نفسه كنت أعرف أن اليوم سوف يضيع عليها أو يخصم منها . . لكنني تصورت أنها قطعا سوف تفضل أن يخصم لها يوم واحد على أن تفصل تماماً . .

وأقفلت الباب بهدوء جداً على الملاكين النائمين دون أن أزعجهما . وعدت إلى مكتبي كأن شيئاً لم يكن وبراءة الـ « بورترز » في عيني ! !

صديقي

المصري

المتزوج من إنجليزية ، كنا — هي وهو وأنا — نتحدث عن الزواج والطلاق وكثرة حالات الطلاق في مصر . فقالت لي الزوجة أن الفتاة الإنجليزية عندما تتزوج فهي غالباً لا تطلق . لأنها تكون قد عرفت و « عاشرت » شاباً واثنين وثلاثة وعشرة قبل أن تبدأ تفكر في الزواج . لذا فحين تتزوج تكون قد تزوجت عن اختيار دقيق واقتناع كامل ، وتكون قد « جربت » زوجها شخصياً لمدة طويلة قبل أن تقرر أن تتزوجه ، لذا فهي لا تطلق ! ! . . .

صديقي المصري كان يجلس معنا يستمع إلى حديث زوجته الإنجليزية وهو مطرق برأسه إلى الأرض لا يتكلم ! ! . .

زميلتي

الإنجليزية

في الفندق التي جاءت ذات ليلة إلى مكتبي لتسألني عن خطابات لها ، ثم يتصل بيننا الحديث فتحكي لي حدوتة طويلة عن صديقها أو الـ « بوي فريند » بتاعها الذي طردته من حياتها مؤخراً ، لأن أمه كانت

غير راضية عن علاقتهما وكانت ترد عليها فى التليفون بجفاء حين تطلبه ، لذا فقد أنهت علاقتها به . وهى الآن — ياعينى — بدون « بوى فريند » . . (والفتاة الأوروبية إذا قالت « بوى فريند » فهى تعنى « عشيقها » لكن بتعبير مهذب) . .

سألتها : « وهل كنت تحبينه ؟ » قالت : « طبعاً » . . قلت : « إذن كيف ستستطيعين أن تتزوجي غيره ؟ » . . قالت بدهشة عظيمة : « أتزوج غيره ؟!! . . . كيف أتزوجه هو أو غيره وأنا متزوجة فعلا وأحب زوجي » !!!!!!!!!

الجنس

فى

لندن — وهى مجرد عينة ونموذج لكل أوروبا — سوف يصافح عينيك فى أى شارع وعلى أى قارعة طريق من أول لحظة لك فى إنجلترا . . سوف يدهشك للوهلة الأولى منظر الشاب والفتاة الغارقين فى أحضان بعضهما فى قبلات حالمة وهائمة وفى هيام وولة شديدين غير شاعرين بما حولهما ولا من حولهما ! . . ثم لا تلبث عيناك أن تعتادا رؤية مثل هذه المناظر وتمر بجوارهما فلا تلتفت حتى إليهما . . تراهم فى محطات الـ « أندرجراوند » وفى أى شارع فى أى وقت وفى أى ساعة . . وترى اثنين ماشيين فى الشارع عاديين جداً وعاقلين جداً ، ثم فجأة « تطلع فى عقلهم » فيتوقفان عن السير ليغرقا فى قبلة عارمة ، والناس الذين يسيرون وراءهما يغيرون اتجاههم حتى لا يصطدموا بهما . حتى ينتهيا من قبلتهما فيبدآن فى السير من جديد !! .

على محطة الأوتوبيس : فتى وفتاة غارقان فى الأحضان والقبلات فى انتظار الأوتوبيس حتى أيصل ، والسيدة العجوز الواقفة خلفهما — فى الطابور — تقرأ صحيفتها وهى حتى لا تكلف خاطرها عناء النظر إليهما ،

مجرد واقفة فى الطابور تنتظر دورها .. دورها فى ركوب الأوتوبيس طبعاً ! .

حى « سوهو » القريب من ميدان البيكاديللى فى وسط لندن ، تنتشر فيه دور السينما التى تعرض أفلام الجنس المكشوفة جداً على الآخر .. بالصورة وبالصوت (!!) .. الغريب أن بعض هذه الأفلام بطولة ممثلين عالميين مشهورين .. مثل الفيلم الذى تعرضه الآن سينما (البرنس شارل) بطولة « مارلون براندو » : « التانجو الأخير فى باريس » !! .. وهذه السينمات ليست سرية ولا بشكل « دكاكينى » ولاحاجة .. إنما الأفيشات والصور الفاضحة — بالألوان — معلقة على أبوابها تعلن بوضوح عن نوعية هذه الأفلام !

ومسارح لندن أيضاً تلعب هذه اللعبة .. لعبة الجنس .. مسرح عادى جداً .. وجمهور عادى جداً قاعد على الكراسى وفى صفوف صالة وبناوير عادية مثل أى مسرح فى أى مكان .. لكن غير العادى هو ما يحدث على خشبة المسرح : عملية جنسية كاملة بين رجل وامرأة .. وأحياناً بين رجل واحد وأكثر من إمرأة !! .. والذى يثير الدهشة فعلا هنا هو « شكل » جمهور هذه المسارح .. الذى غالباً ما يتكون معظمه من الرجال أهل الستينات والسبعينات .. يعنى الناس المفروض أن يكونوا أصلا قد غاب من تلافيف ذكرياتهم أنه « كان » هناك فى حياتهم شىء إسمه الجنس يوماً ما .. يوماً ما من زمان آوى !!

ومجلات

الجنس

أيضاً المطبوعة — كلها — بالألوان الفاخرة على ورق كوشيه مهول فى طباعة لا نحلم بها نحن هنا فى مصر — كصحفيين — لجرد « أغلفة » مجلاتنا .. هذه المجلات الفاضحة جداً المكشوفة جداً جداً ، منتشرة انتشاراً رهيباً فى إنجلترا : « پلاى بوى » .. « ماى فير » .. « پنتهاوس » ..

« وكس » ٥٥ » سينا X » . . « للرجال فقط » . . « ٣٠ دقيقة » . . وهى أغلى مجلات فى السوق ، إذ يتراوح ثمن النسخة الواحدة منها بين ٣٠ و ٥٠ بنساً ، يعنى ما يقرب من ٥٥ إلى ٨٥ قرشاً مصرياً . . وهى مليئة بصور لحسناوات عاريات تماماً فى منتهى الجمال من كله : جسم ووجه وشعر وعيون !! . . إيه دول ؟ ! مش بنات ناس دول ؟ ! مالهمش أهل ولا أصدقاء ولا معارف ولا جيران يعملوا لهم حساب ؟ ! . .

فى مجلة « ماى فير » مثلا ، المكتوب على غلافها أنها مخصصة للرجال فقط — آل يعنى — إكتشفت شيئاً آخر ظريفاً : كوبون فى الصفحات الأخيرة من المجلة ، تملأ بياناته وتقر فيه أنك أكبر من ١٨ سنة ، وترسل للمجلة مبلغ كذا فيرسلون لك فيلماً سينمائياً ملوناً مقاس ٨ ملليمترات بصور الفتاة التى أعجبتك فى أى عدد من أعداد المجلة ، بالصورة الملونة والحركة والـ . . . . يانهار إسود . كفاية كده ! !

وفى

أغلب

بيوت لندن التى تؤجر غرفاً مفروشة — غرفة مفروشة فى وسط أسرة إنجليزية — ما دمت قد أجرت الغرفة فلا شأن لأحد بك ولا يسألك أحد عن الفتاة التى تقيم معك هل هى زوجتك أو أختك أو قريبتك . . وتستطيع ببساطة ووضوح أن تقول إنها الـ « جيرل فريند girl-friend » بتاعتك ، أو تقول هى إنك الـ « بوى فريند Boy-friend » بتاعها . . والـ (جيرل فريند) أو الـ (بوى فريند) معناها أنكما تعيشان معاً بغير زواج . . . وبالعربى الفصيح : « عشيقان » ، ولا أحد يعترض ولا أحد له عندكما حاجة . . وتمشى الفتاة وتجىء غيرها فلا ينظر إليك أحد شذراً ولا تلمح فى عين أحد نظرة استغراب أو دهشة ، وحتى لا يقاطعونك أو يبتعدون عنك أو يتجاهلونك . . لأن هذه المسائل أصبحت لا تناقش

الآن فى أوروبا كلها ، وفى إنجلترا بالذات . .

والبنت الإنجليزية واضحة للغاية ومباشرة جداً . . أساساً هى تلبس ملابس قصيرة جداً فى الصيف أو فى الشتاء ، وتجلس فى المترو أو فى أى مكان وتضع ساقاً على ساق فلاتعرف أنت إن كانت ترتدى فستاناً بصحيح أو بلوزة فقط . حتى لتبدو آثار عملية الزائدة الدودية ولا يهمها حاجه .. وإذا لاحظت هى أنك لا ترفع عينيك عنها ثبتت عينيها فى عينيك تتأملك فى استغراب مندهشة لعبطك . . على عكس البنت المصرية التى تلبس الـ «جوب» قصيرة شوية ولو قعدت فى الأتوبيس تحاول أن تخفى ساقيها بشنطة يدها . وتشد فى طرف الـ «جوب» آل يعنى عايزة تطولها شوية ! ! . .

البنت الإنجليزية الشابة تشعر أنها نضرة ومتفتحة ومشرقة ودم الشباب والصحة والحياة يجرى فى وجنتيها وفى كل جسمها طاقة وحيوية .. ذلك — ببساطة جداً — لأنهن لا يعانين من القلق ولأنهن ليس لديهن مشاكل كبت . جنسى إذ أنهن يبدأن حياتهن الجنسية وينهلن منها ويستمتعن بها منذ أن يصلن إلى الثالثة عشرة .. لكن ذلك أيضاً له أضراره وعيوبه . فإن الفتاة الإنجليزية فى الثلاثين يبدو شكلها وكأنها فى الأربعين أو الخامسة والأربعين . . أما فى الأربعين فتبدو عجوزاً تماماً . . ذلك لأنهن يبدأن حياتهن بدرى جداً وينهينها بدرى جداً ، ويهرمن بسرعة نتيجة «سوء الاستعمال» ! ! .

ولأن كل البنات الإنجليزيات — بشكل عام يعنى — جميلات ، فإن ثقتهن بأنفسهن ضعيفة . . الجمال متوفر وكثير ، والشبان — إلى حد ما — قليلون ، نتيجة خروج إنجلترا من الحرب العظمى الثانية وقد فقدت عدة ملايين من شبانها ، فأصبح عدد الفتيات أضعاف عدد الشبان ، وأصبح هناك ولد واحد لكل عدة فتيات ، وأصبحت الفرصة ضيقة جداً أمام البنات للزواج ، ومن هنا جاء التحلل والتفسخ والإنهيار الجنسى الفظيع

نتيجة أن العرض (البنات) أكثر من الطلب (الشبان) . . لذا فالبنت الإنجليزية تعطى وتمنح دون أدنى تردد للشبان الإنجليز وغير الإنجليز . . حتى إنك تجد الشاب الزنجي العكر جداً أو الشاب المصرى الذى تخشى السيدات الحوامل فى مصر أن ينظرن إلى وجهه خوفاً من « الوحم » ، تجده يسير فى شوارع لندن وقد تشعبطت فى ذارعيه حسناوتان إنجليزيتان من مستوى « فيرنا ليزى » وطالع ، وهما تقبلانه — من الناحيتين — فى كل خطوة . . ولو جاءت واحدة منهما إلى القاهرة لسارت وراءها مظاهرة من مخرجي السينما المصريين يهتفون بحياة إنجلترا التى أنجبت مثل هذا الحسن ! ! . .

لذا ، فإن أحداً هنا لا يرغم الفتاة على شيء . . هى التى تعرض وهى التى تطلب وهى التى تلح وتجرى وراء الشاب ، وفى الوقت نفسه لا ترفض قبلة عابرة من هذا — على برضه — ولا حضناً على الماشى من ذالك . . وتسمع صوت القبلات تفرقع طول الليل بين الجرسونات البنات وزبائن الكافيتيريا . وتسمع أيضاً طول الليل صيحات « ممنوع اللمس من فضلك » من « بعض » البنات المصريات اللاتى يعملن فى الكافيتيريات . . وإذا قالت البنت المصرية « لا » فإن ذلك يكفى مرة واحدة فلا يقربها ثانية الشاب الذى أثارته سمرتها فتكرم غير مشكور بمد يده أو بمحاولة تقبيلها . .

ومع
ذلك

فإنك تجد الشاب الإنجليزى ناعماً رقيقاً وهشاً وطرى و « مرخرخ » ومش قادر يصلب طوله ، وشعره الحريرى الناعم منسدل خلف ظهره أطول من شعر البنات ، وفيه أنوثة أكثر من البنات ، وإذا مشى فهو دلوعة ومايع ويمشى ينفرد ويتثنى ويتقصع ويتعمد أن يستعرض أنوثته ورقته

ومياصته . . الشبان فى إنجلترا أحلى وأنعم من بناتنا . لدرجة أننى أحياناً كنت أستغرب وأتساءل فى نفسى : « الشبان دول بيتجوزوا إزاى » ؟ . . لم يعد عند البنات الإنجليزيات شىء يخفى . ولا عند الشبان الإنجليز شىء يشبه الرجولة ولا حتى من بعيد . . إختلط الجنسان على بعضهما فلم تعد تعرف الولد من البنت . . البنت شبه عارية والولد ناعم وبايش و « أنثوى » . . والمياعة إقتسمها الطرفان بالتساوى . . كلاهما مايص ومايع وسايح ونايح . ولو وقع على الأرض ما حدش حايعرف يلمه ويرجعه زى ما كان . . هذا هو الجيل الذى سينتهى العالم على يديه بإذن الله . . فإن الإنحلال الخلقى والتحلل والتفسخ الإجتماعى الخطير الذى ترزح تحته أوروبا هذه الأيام يقول إننا فى بداية عصر انهيار الحضارة الأوروبية . . لا قيم ولا أخلاق ولا حياء ولا فضيلة ولا مبادئ ولا دين ولا اعتبار لأى شىء على الإطلاق . . وأتصور أن أوروبا سوف تنفجر فجأة وتموت قبل ٥٠ سنة أخرى . . ولو قدر لإنجلترا أن تدخل حرباً أخرى بهذا الجيل الخرع الممصوص بالجنس والمخدرات : لما عايرنا أحد بعد ذلك بحرب الأيام الستة ، لأن حربها هى سوف تنتهى قطعاً بعد يوم واحد ! !

مستر

« هوبكنز »

المدير المساعد للفندق : الذى وافق أصلا على تعيينى هنا وقال عنى لكل الناس إننى صحفى وكان واضحاً أنه فرحان جداً بوجودى ، طلبنى اليوم فى مكتبه ليؤنبنى بشدة على أننى لم أحضر إلى الفندق وتغيبت عن العمل بدون اعتذار سابق ليلة الخميس الماضى ، وقال لى ما معناه إننى قد أكون أعظم صحفى فى القاهرة ، لكننى هنا فى الفندق أعمل « بورتر » فقط ليس إلا . وعلىّ أن أحترم مواعيدى بكل دقة وأنه لن يقبل منى أى عذر ! ! . . كان واضحاً أنه غاضب فعلا حتى تصورت أنه سينهى

كلامه بفصلى من العمل . .

لكننى فى الصباح أفاجأ بأغرب خبر كان يمكن أن أتصور أن يحدث لى هنا : درس آخر فى أسلوب العمل الإنجليزى : مستر « جون آوليرى » كبير الـ « پورترز » يطلبنى فى الصباح ليبلغنى أننى — بعد ١٤ يوماً فقط لى فى العمل — نظراً لكفاءتى التى لاحظوها جميعاً . قد رقيت إلى : رئيس واردية ! ! . . ومن بعد غد سأكون « رئيساً مسئولا » عن زملائى فى الواردية ؛ وبالتالى مسئولا عن الفندق كله . ليلتين فى الأسبوع ! !

(٨)

□ الرعب .. يجتاح المدينة .. ! ! □

أنا

الليلة

« ريس » لأول مرة . . أول ليلة أتولى فيها مسئولية العمل بمفردى كرئيس لواردية الـ « پورترز » . . كانت المسألة فى بداية تعيينى كـ « پورتر » تشبه النكتة بالنسبة لى . . نكتة ظريفة أحكيها للأصدقاء فى مصر بعد عودتى ، وأكتبها للقراء فيضحكون على العبط الصحفى الذى يجعل صحفياً قد الدنيا — ده اللى هو أنا — يرضى على نفسه أن يعمل بواباً فى إنجلترا لكى يكتب سلسلة موضوعات عن الطلبة المصريين بمجلته . . لكن المسألة الآن لم تعد نكتة . . الإنجليز فيما يتعلق بالعمل ما بيعرفوش يهزروا أو يجاملوا ، بدليل أنهم اختارونى أنا لتحمل هذه المسئولية — وهى لو تعلمون كبيرة — بعد ١٤ يوماً فقط من تعيينى ، وفى الفندق « پورترز » آخرون يعملون هنا منذ خمس سنوات . . وأصبح مطلوباً منى الآن — حتى لو كنت صحفياً — أن أثبت لهم أننى « جدير » بالثقة التى وضعوها فى شخصى ! .

كنت شديد القلق والتوتر فى بداية الواردية ، خصوصاً وأن الفتى الفلبينى « ريكمار » الذى كان واضحاً أن اختيارى لهذا « المنصب » وبهذه السرعة شيئاً مستغرباً بالنسبة إليه ولم يستطع أن يهضمه بسهولة ، فحاول أن يستعبط ويسوق الهبالة على الشيطنة ولا يطيع أوامرى ، على

اعتبار أنه يعلم أنني لم أسبقه في العمل بأكثر من عشرة أيام ، لكنني عاملته بحزم و« رسمي » ، فغاب قليلا ثم عاد ليطلب مني بغلاسة أن أقول له « Please »أو « من فضلك » حين أطلب منه أن يفعل شيئاً ! ! . ورأيت أن المسألة يجب أن تحسم بشكل قاطع يحفظ للعمل احترامه وانتظامه منذ البداية وإلاسقطت أنا في الاختبار . فلعنت أبو خاش جده بعنف بالعربية وبالإنجليزية وبكل اللغات التي أعرفها ؛ وشخطت فيه وزعقت له وكربسته ووريته العين الحمراء بصحيح وبتكشيرة وتبويزة مقاس ٣٠ × ٤٠ ، واتريست ريس بصحيح وأعطيته ١٠ أوامر وراء بعضها من غير « Please » ولا « من فضلك » ،و: « عايز تنفذ تنفذ ، مش عايز تنفذ إتفضل سيب الواردية وروح بيتكم وحاكتب في التقرير اليومي إنك رفضت التنفيذ . . « Please » أو« من فضلك » دي أقولها لك لما أكون باطلب منك خدمة شخصية لي ، لكن مش ممكن أقول لك من فضلك علشان تعمل اللي أنت متعين هنا علشانه وبتاخد مرتبك عليه . . مفهوم ؟! » . .

ومشى « ريكمار» على العجين ما يلخبطوش بعد ذلك ! ! . .

لكنه

أفرغ

همه — كأي شرير مخرب — بصورة أخرى : في نحو الرابعة صباحاً دخلت الغرفة التي نغير فيها ملابسنا فوجدت الكرسي الجلد الأنيق الشيك مبزوعاً بمطواة أو موس ، والحشو المطاط الفاخر بارزاً منه ! ! . . ولم يكن في الواردية معي في تلك الليلة غيره هو فقط ، وهذه الغرفة لا يدخلها إلا الـ « بورترز » وحدهم ، فقطعاً هو الذي فعل ذلك . . وظللت طول الليل بعد ذلك وأنا « حاطط إيدي على قلبي » لأن الإتهام ممكن أن يوجه لي أنا أو على الأقل توزع التهمة بيننا ، و« شكلها وحش » جداً أن

أقف مثل هذا الموقف فى اتهام صبيانى تافه وحقير كهذا لا يفعله إلا شرير مخرب ! . . وقد جعلتنى هذه الحادثة الصغيرة أفكر : ماذا كان يمكن أن يحدث وكيف كنت أتصرف لو تصادف وكان شاب إسرائيلى يعمل معى فى واردية الـ « پورترز » ، رئيساً أو زميلا أو مرءوساً لى ؟ ! . . يعنى لو كان الأخ « ريكمار لوپيز » هذا إسرائيلياً وليس فلپينياً . فكيف كان المفروض أن أتصرف ؟ ! . . فى الحقيقة : مش عارف . .

المهم

أن

الليلة قد مرت على خير برغم أنها أكثر ليالى الأسبوع ازدحاماً بالنسبة للفندق : ليلة الأحد .. ومر مستر « هوپكنز » المدير المساعد على أثناء الليل عدة مرات ليطمئن على حسن سير العمل الذى كان يسير كالساعة المضبوطة . . ومن بدرى جداً كنت قد أنهيت كل الأعمال الروتينية اليومية المفروض أن تستغرق من الـ « پورتر » عادة الليل بطوله ؛ . واجهت أزمتين صغيرتين فى البداية حين كدت أصطدم بـ « جوك Joke » الشرس بطل الملاكمة السابق والمسئول عن (جاراچ) الفندق الآن ، والذى يحمل له كل العاملين فى الفندق ألف حساب ، حين شخط فىّ وهو يكلمنى فى التليفون فقفلت السكة فى وجهه وأنا أتوقع أن الليلة مش حاتفوت على خير وأننى سأنضرب منه علقة لها العجب ؛ لكن الأزمة مرت بعد ذلك وحدها حين اضطررت أن أطلبه أنا لكى أسأله ماذا أفعل فى ذلك الطلب الغريب الذى طلبه منى أحد النزلاء الأمريكان المهافيف : عايز يستأجر : أوتوبيس ! ! أوتوبيس بصحيح ! ! هو حر طبعاً ، إن شاالله يكون عايز يستأجر كراكة أو حاملة طائرات ، وأنا مالى . . سألت « جوك » : « أجيب للراجل الأهبل ده أوتوبيس منين ؟ » فضحك « جوك » وضحكت أنا ، وهدأت الأمور بيننا وبقينا كويسين لأنه

إكتشف – ده كلامه – إن دى مش تقيل كما كان يعتقد . . ووجهنى وأرشدنى ودلنى ماذا أفعل لكى أستأجر لهذا السائح المهفوف الأوتوبيس الذى يريده . . وحصل فعلا . .

المهم أننى بخناقى مع « چوك » الشرس بطل الملاكمة السابق إكتشفت شيئاً جديداً يمكن أن يندرج تحت بند العلاقات العامة و« كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » – وهو إسم كتاب كنت قد قرأته فى مطلع شبابى فجعلنى أخسر كثيراً من أصدقائى ! ! – إكتشفت حكمة جديدة يمكن تلخيصها هكذا : « حاول أن تسأل الآخرين الأكبر أو الأقدم منك . . لا تتردد ولا تخجل من أن تفعل ذلك . . سوف تكسب صداقتهم على الفور حين يشعرون أنك لا تتعالى على التعلم منهم . . سيعطونك معلوماتهم + صداقتهم . . وأنت الكسبان فى الحالتين » . . إنتهت الحكمة ! ! . .

الليلة
كانت

واردية الليل فى الفندق كلها مصريين : أنا فى الـ « پورترز » : . « سوسن » و « سناء » و « منى » و « شحاتة » و « ماجد » و « أمين القصاص » و « كالنج » و « سمير » جرسونات فى الكافيتيريا . . « بيسة » و « عماد » يغسلان الأطباق . . واردية الكافيتيريا كلها – ما عدا « دورا » المديرة الحسناء – كلها مصريون ! !

أفكر فى أن نرفع العلم المصرى على الفندق ليلا ! !

ثانى
أمريكى

ألتقى به فى نفس الصباح : على محطة الأوتوبيس أمام الفندق وجدته يجلس على الـ « دكة » الخشبية الصغيرة الموضوعة أمام المحطة وعيناه مثبتتان

على ممر المطار ، يرقب ويتابع هبوط الطائرات وصعودها فى انفعال شديد وعصبية بالغة كأنه يشهد مباراة فى المصارعة الحرة أو مصارعة الثيران . وهو يفرك يديه وأصابعه متشنجاً فى توتر ونشوة غريبة . . قال لى وهو لا يحول عينيه عن الطائرات الصاعدة الهابطة أن هذه هي هوايته الكبرى التى يحضر من أجلها من الولايات المتحدة إلى لندن فى إجازاته كل صيف يستمتع بمشاهدة صعود وهبوط الطائرات فى مطار « هيثرو » ، ومن فوق هذه الـ « دكة » بالذات ، على اعتبار أنها لا تبعد أكثر من ١٠٠ متر عن ممر الطائرات ! ! . .

لست أدرى السر فى هواية عبيطة كهذه . . لكن يبدو أن هذه هى طبيعة الأمريكان عموماً : العبط ! !

وفى

الوقت

نفسه فإن هذه الحكاية تشغلنى بشكل آخر مختلف : فى القاهرة أسكن بعيداً جداً عن المطار — فى ميدان رمسيس — لذا فعلاقتى بالطائرات شبه معدومة ، إلا عندما أسافر بها . . أما هنا فعملى وبيتى كلاهما فى منطقة مطار « هيثرو » وملاصقان له . . وطول اليوم أرى الطائرات وعجلاتها تلامس الأرض هابطة أو وهى تترك الأرض صاعدة ، فلا أتمالك نفسى من أن أدعو وأبتهل — باللغة العربية طبعاً — : « يارب يارب يارب ، سلم وما تحصلشى حاجة وحشة » . . قلبى مع كل طائرة هابطة وكل طائرة صاعدة . . أتصور كم هى مصيدة مقفلة رهيبة أليمة لو حدث حادث لطائرة . . وأتصور كم بداخلها من القصص سوف يكون : الحبيبة العائدة إلى حبيبها ، والزوج الراجع إلى بيته وأسرته وأولاده وبناته . . وكل راكب وكل راكبة فى الطائرة لهما قصة ووراءهما قصة ، وهناك ناس يحبونهم فى مكان ما ينتظرون عودتهم ، أو فى نفس هذا

المكان ما زالت مناديلهم البيضاء فى أيديهم تلوح للقاء . . أو لعله للوداع . . .

إستر يارب . . فكلهم إنسان مهما اختلفت جنسيته ومهما اختلفت ديانته . .

الليلة

مرعبة

من أولها . . مستر « سكاليس Scales » المدير العام هو المدير السهران الليلة . لكنه يبدو مهموماً عصبياً متحفزاً . . يأتى ليصدر تعليماته إلى « ريتشارد » — رئيس واردية الـ « بورترز » الليلة — بأن تكون جولة الأمن للتفتيش على الفندق الليلة مرة كل ساعة من منتصف الليل حتى السادسة صباحاً ، يعنى ٧ مرات بدلا من ٣ فقط كالمعتاد ، ذلك لأنه تلقى تهديداً بأن قنبلة سوف توضع فى الفندق الليلة لنسفه ، فى موجة القنابل الأيرلندية التى تغزو لندن كلها هذه الأيام ، ولا تخلو الصحف كل صباح من قنبلة انفجرت هنا أو هناك ، إبتداء من محطة مترو إلى بنك إنجلترا مروراً بمكاتب الشركات، والمصالح الحكومية والمحلات التجارية والعامة . . وكانت تعليمات مستر « سكاليس » ألا نلتقط شيئاً من الأرض على الإطلاق ، خصوصاً علب السجاير ، وأن نبلغه على الفور فى حالة اشتباهنا فى أى شىء يحتمل أن يحمل متفجرات ! .

وما إن تمضى لحظات حتى يأتى رجل عملاق أنيق أحمر الشعر فاخر الثياب ، ومعه رجل آخر وسيدة . . العملاق ذو الشعر الأحمر ينزل فى الفندق عندنا ، ليس معه حقيبة ملابس ، إنما كل أمتعته عبارة عن صندوق واحد لا يزيد فى حجمه على صندوق راديو متوسط الحجم ، لا يريد أن يأخذه معه إلى غرفته، وإنما يريد أن يتركه فى مدخل الفندق عندنا حتى الصباح ! ! . . حين رفعت الصندوق فى يدى لأركنه على

جانب فوجئت بأنه خفيف جداً أستطيع أن أرفعه بإصبع واحدة . . هززته فترجرج ما بداخله كأنه شيء صغير جداً بالنسبة لحجم الصندوق !! . . أسرعت بوضع الصندوق فى مخزن الأمانات وعدت على الفور لأضع عينى على الرجل الفاخر الأحمر الشعر ورفيقيه لا أرفعهما عنهم . وأبلغت الأمر لـ « ريتشارد » الذى أبلغه على الفور لمستر « سكاليس » . فى الوقت الذى كنت أسجل فيه بسرعة جداً على ورقة أمامى أوصاف الرجل ورفيقيه بدقة شديدة ، حتى إذا احتاج إليها البوليس الإنجليزى وجدها جاهزة . . وجاء مستر « سكاليس » مهرولا فأومأت له برأسى من بعيد مشيراً إلى الرجل الفاخر الأحمر الشعر . . وذهب مستر « سكاليس » مع « ريتشارد » لمعاينة الطرد فى المخزن . ومستر « سكاليس » مقوس الظهر فى توتر كأنه قط يتحفز للوثوب . والقلق يكاد يقتله . . واستقر الرأى أخيراً على أن نضع الصندوق الصغير فى وسط الأرض الفضاء خلف الفندق حتى الصباح ،حتى إذا انفجرت القنبلة تنفجر بعيداً عن الفندق . . وقضينا الليلة كلها مشدودين متوترين ونحن نترقب صوت الإنفجار بين لحظة وأخرى . .

وفى الصباح . . جاء الرجل أحمر الشعر فاخر الثياب يطلب صندوقه . . وأخذه ومضى ! ! . .

وتجربة

صحفية

جديدة أيضاً تمر بى اليوم كنت أتمناها فعلا من زمان.من يوم أن بدأت حرب القنابل الأيرلندية فى لندن : كنت مع الصديقة المصرية« منى » فى محل « وولورث » فى « أوكسفورد ستريت » ، وكنا قد انتهينا فعلا من شراء ما نريد بعد جولة أكثر من ساعة فى المحل بطوابقه الثلاث صعوداً بوطاً بالسلالم المتحركة ، وكنا قد وصلنا إلى الطابق الذى فى مستوى

الشارع فعلا فى طريقنا إلى مغادرة المحل متلكئين فى نظرة أخيرة إلى باقى المعروضات ، حين رنت فى المحل كله أجراس منخفضة بشكل رتيب ومستمر ، فظننا أن موعد إغلاق المحل قد اقترب مع أن الساعة كانت لا تزال قرب الثانية ظهراً ، يعنى ليست موعد الغداء ولا موعد إنتهاء العمل ، على اعتبار أن اليوم – الخميس – يوم عادى فى منتصف الأسبوع . . لكننا فوجئنا بهرج قليل وتزاحم يحدث فى اتجاه باب الخروج الرئيسى الكبير للمحل . . وفوجئنا بارتباك البائعات واضطرابهن ، ثم بشاب مصفر الوجه يكاد يرتعد وهو يمر بين الـ « ريوفات » لينبه الزبائن بسرعة وبصوت منخفض لا يكاد يسمع . يطلب منهم سرعة الخروج من المحل وإخلائه فوراً ! ! . . وفى لحظات كان الجميع يهرعون – فى نظام وعدم تدافع – إلى ناحية الباب . . حتى أصبح المحل خالياً فى دقائق قليلة . . وأردت – بعد أن أصبحنا فى الشارع فعلا – أن أبقى على مقربة قليلا حتى أرى بعينى المنظر الذى طالما تمنيت رؤيته ، لكن « منى » – التى استنتجت نفس استنتاجى – أسرعت تجذبنى من ذراعى بسرعة لنبتعد عن منطقة الخطر ، وقد عرفنا أن قنبلة أيرلندية جديدة سوف نقرأ عنها فى الصحف المسائية الليلة وفى صحف الصباح غداً . .

وفعلا ، يتضح أنهم قد عثروا على قنبلة فى محل « وولورث » ، لكنهم استطاعوا إبطال مفعولها قبل أن تنفجر . . وربنا ستر أنهم انتبهوا إليها واكتشفوها قبل أن تنفجر فعلا ونحن موجودان داخل المحل ، وإلا كان الواحد رجع مصر بعاهة تؤهله للإشتغال فى فنادق سيدنا الحسين أو أم هاشم . .

وحكاية
الخطابات

الأيرلندية المتفجرة هذه تثير الرعب فى لندن كلها ، لأنها تنفجر فجأة وعلى غير انتظار فى أى مكان خاص أو عام . فتصيب أى حد بلا تمييز . . يعنى ليس المقصود بها ناساً محددين إنما المقصود بها

أن تفعل ما تفعله الآن فعلا بالضبط : تثير الرعب عند كل واحد يعيش أو « يتواجد » فى لندن . . والجزء الأكبر من هذه القنابل يكون على شكل خطابات متفجرة تصل بالبريد لتنفجر فى يد من يفتحونها . . اليوم انفجرت رسالة فى مبنى بنك إنجلترا فأطاحت بذراع الموظف الذى فتحها . . أختنا « ماريا » الجرسونة الإيطالية فى كافيتيريا الفندق زعلانة جداً مما حدث ، وتقول إن ذلك ممكن أن يحدث لأى إنسان برىء يفتح رسالة فتنفجر فيه دون أن يكون له ذنب فى موضوع أيرلندا . . وتستطرد « ماريا » قائلة : « لازم يكون فيه طريقة علشان نعرف إن الرسالة دى فيها متفجرات والا لأ . . لازم على الأقل يكتبوا على المظروف من الخارج أن فيه متفجرات» !! . .

ربنا يكملك بعقلك يا « ماريا » !! .

على فكرة . بمناسبة الرسائل الأيرلندية المتفجرة : جزء من مسئولياتى أن أتسلم بريد الفندق كله من سيارة البريد كل صباح . . لكن الحمد لله أن فتح هذا البريد من مسئولية الواردية التى تأتى بعدى ! ! .

وقد كان بينى وبين « مارى» — الـ « هاوس كيبر» الأيرلندية الشابة الطالبة فى جامعة بلفاست — حديث طويل عن أيرلندا : فهمت منه ما لم أكن أعرفه من قبل عن المشكلة الأيرلندية . . فعرفت أن جزيرة أيرلندا كلها تضم ٣٢ مقاطعة أو محافظة ، ٢٦ مقاطعة منها مستقلة فعلا هى « جمهورية أيرلندا الجنوبية » ، و٦ مقاطعات فقط فى شمال أيرلندا هى التى تشن حرب القنابل هذه ضد إنجلترا طلباً للإستقلال والإنضمام إلى جمهورية أيرلندا الجنوبية . . وشرحت لى « مارى » أيضاً سر تمسك إنجلترا بهذه المقاطعات الست بالذات ، فقالت إن هذه المقاطعات هى مزرعة إنجلترا التى تمدها بكل احتياجاتها من الخضر والفاكهة ، ليس ذلك فقط ، بل تمد إنجلترا كلها أيضاً بـ . . الماء العذب ! ! . .

أفادكم الله باست « مارى» . . . منك نستفيد . . كتر خيرك . .

لست
أدرى

السر فى ذلك الرعب الذى اجتاحنى الليلة فجأة وأنا أقوم بجولة الأمن الليلية للتفتيش على الفندق . . شعرت الليلة كأن أحداً يتعقبنى فى ممرات الفندق الهادئة الغارقة فى السكون فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكأننى أسمع وقع أقدامه ورائى . . صحيح أن الممرات مضاءة لكن الإضاءة هادئة خافتة والممرات طويلة جداً وضيقة جداً حتى لتبدو وكأنها لا نهاية لها ، ويبدو آخرها وكأنه بقعة سوداء صغيرة . . فأنظر أمامى وأنا أتوقع أننى حين أصل إلى هذه البقعة السوداء فى نهاية الممر ستخرج يد من الظلام بالطعنة القاتلة فى صدرى . . وأنظر خلفى فأرى الممر ورائى طويلا فأتوقع الطعنة القاتلة فى ظهرى ، وأتصور أننى لو توقفت فى مكانى فسوف ينقض علىّ الخطر من وراء أحد هذه الأبواب المغلقة كما يحدث فى أفلام هيتشكوك المرعبة !

زبائن
آخر

الليل فى الكافيتيريا . . ثلاثة شبان وفتاة . . أكلوا وشربوا وتعشوا وانبسطوا ، وفى آخر السهرة تركوا الفاتورة على المائدة وهربوا دون أن يدفعوا الحساب ، وركبوا سيارتهم وانطلقوا مسرعين . . وحاولنا — « دورا » الحسناء مديرة الكافيتيريا ، و« سوسن » و« سناء » و« أمين القصاص » وأنا — حاولنا عبثاً أن نلحق بهم ، لكنهم كانوا فص ملح وداب ! .

أول مرة تصادفنى حالة كهذه من حالات البلطجة فى لندن . . وإن كنت قد سمعت من « ليلى سليمان » منذ أيام قصة أكثر عنفاً : « ليلى » تعمل مثلنا واردية الليل فقط . . دخل زبون إلى الكافيتيريا

التي كانت « ليلى » حديثة العهد بالعمل بها ، وظل جالساً إلى مائدته نصف ساعة دون أن تتقدم واحدة من الجرسونات لخدمته ، وبالرغم من أن مائدته لم تكن تابعة للجزء الذي تخدمه « ليلى » فإن الشهامة المصرية قد أخذتها فتقدمت هي لخدمته . . ثم يتضح أن باقي الجرسونات البنات قد أحجمن عن خدمته لأنهن كن يعرفن أنه بلطجي ولا يدفع الحساب . وفاتهن أن ينبهن « ليلى » إليه ظناً منهن أنها تعرف ذلك . لكن « ليلى » كانت قد تورطت فعلا وأحضرت له طلباته . . وبعد قليل جاء رجلان آخران وفتاتان ليجلس الجميع إلى مائدته أيضاً ويطلبون طلبات جديدة ، و« ليلى » لا تستطيع إلا أن تلبي كل الطلبات مادامت قد ورطت نفسها . . لكنها كانت لا ترفع عينيها عن مائدتهم طول الوقت حتى لا يهربوا دون أن تراهم . . وفعلا . بعد أن انتهوا من العشاء قامت الفتاتان وغادرتا الكافيتيريا وجلستا في السيارة . فلم تستطع « ليلى » أن تفعل شيئاً لأن الرجال الثلاثة كانوا ما زالوا يجلسون إلى المائدة . . وبعد قليل قاموا بهدوء وبشكل عادي جداً كأنهم سوف يدفعون الحساب في الخزينة قرب باب الكافيتيريا ، لكنهم حين اقتربوا من الباب انطلقوا فجأة يجرون : و« ليلى » وراءهم ومعها الشاب المغربي الذي يعمل على الخزينة .. وقرب مدخل الفندق توقف الرجال الثلاثة — حين حوصروا — وهم يضحكون وقالوا إنهم فقط كانوا يمزحون . وإنهم طبعاً سوف يدفعون الحساب ، لكن صاحب الدعوة فيهم قال أنه نسي محفظة نقوده في السيارة . فذهب معهم الشاب المغربي إلى السيارة ليأخذ الحساب . فلما تأخر في العودة خرج مدير الكافيتيريا ليبحث عنه . وعاد وهو يحمله بين ذراعيه غارقاً في دمائه بعد أن شرطوا له وجهه بالموس وشوهوه وحاولوا أن يقتلوه . . وهربوا — برضه — دون أن يدفعوا الحساب ! ! . .

المدير

المساعد

الألماني السهران الليلة مستر « بتشورتشيك » ، طلب مني أن أفحص شيئاً لم أفهمه بالضبط في دورة المياه ، على أن آخذ معي المفتاح ! ! . . لم أفهم مفتاح إيه ؟ هو فيه في دورة المياه حاجة مقفولة علشان نحتاج إلى مفتاح ؟ ! . . قلت لـ « ريتشارد » فلم يفهم هو الآخر مفتاح إيه ؟! . . فذهبنا معاً — « ريتشارد » وأنا — نبحث في دورة المياه عن ذلك الشيء الذي يحتاج إلى مفتاح هناك . فحدث ما حدث . وكانت هذه هي أول مرة ألتقي فيها ببلطجية لندن وجهاً لوجه . .

ونحن في طريقنا إلى دورة المياه و « ريتشارد » يتقدمني بخطواته السريعة المهرولة ، لمحت بركن عيني ثلاثة شبان يدخلون من باب الفندق شكلهم يبدو كالفتوات أو السكارى . . وأسرع واحد منهم الخطى ليصبح وراء ظهر « ريتشارد » مباشرة حتى ليكاد يلتصق به من الخلف دون أن يشعر « ريتشارد » . . ودخل « ريتشارد » دورة المياه ووراءه الشاب الذي يكاد يلتصق به . وأثناء دخول الثاني — وكنت قد بدأت أشعر بقليل من الإرتياب لمنظرهم — وضعت قدمي أمام قدمه فتعثر قليلا لكنه ظن أنها حركة غير متعمدة . وكنت أنوي لو لاحظها أن أدعي أنني كنت أمزح . . ودخل « ريتشارد » ووراءه الشبان الثلاثة وأنا في الآخر . . وبمجرد أن أصبحنا جميعاً داخل دورة المياه وبابها مغلق وراءنا التفت « ريتشارد » فرأى الشبان الثلاثة ، فجمد في مكانه بين أحواض الغسيل وقد بدا على وجهه الفزع الشديد . . لم أفهم شيئاً في البداية ، وظننت أنهم أصدقاؤه حين سمعت واحداً منهم يناديه باسمه : « ريتشارد » . . ولكن كان واضحاً من رعب « ريتشارد » الشديد وعدم رده على كلامهم أن في الأمر شيئاً . . ولم أفهم حرفاً واحداً من

كلامهم بلهجة الـ « كوكني » ، فرسمت على وجهى ابتسامة ذكية — آل يعنى فاهم — ووضعت يدىّ فى وسطى بثقة شديدة جداً . ثقة واطمئنان الجاهل الذى يحاول أن يبدو فاهماً — ولعل ذلك كان السبب فى نجاتنا أنا و « ريتشارد » — . . ووقف اثنان منهم يسدان بظهريهما باب دورة المياه من الداخل ، فى حين بدأ الثالث يتراقص حول « ريتشارد » وهو يسبه بأقذع السباب البذىء . و« ريتشارد » ساكت تماماً والرعب يقفز من عينيه ويكاد يقتله . . ويحاول الشاب الذى يتراقص حوله أن يقبله فى شفتيه . فلا يفعل « ريتشارد » أكثر من أن يرفع ذراعيه ليخفى وجهه . . وأبدأ أفهم الموقف حين أتذكر أن إسم « ريتشارد » مكتوب على الـ « بادج » الذى يعلقه على صدره . فليس غريباً إذن أن ينادوه به ، وحين يستطيع « ريتشارد » أخيراً أن ينطق فيقول برعب شديد وبصوت منخفض جداً لا يكاد يسمع : « إن عنده الآن شغل فى المكتب فى الخارج » فيقول الشاب الذى يتراقص حوله : « ما انت هنا برضه بتشتغل يا . . . » ويسبه ببذاءة . .

وبابتسامتى الواثقة الجاهلة وبثقتى الشديدة وببساطة جداً تحركت ناحية الباب فى حركة طبيعية أريد الخروج ، لكن واحداً منهم اعترض طريقى بجسمه كله يغلق الطريق إلى الباب فى وجهى ، فيقول لى « ريتشارد » والرعب يكاد يشله : « إبق هنا كما أنت ياقدرى ولا تحاول الخروج » . . فعدت إلى مكانى . . ففوجئت بأن الذى كان يتراقص حول « ريتشارد » قد تركه وجاء إلى ناحيتى هو وواحد آخر ليتراقص الإثنان حولى ويمدان أيديهما ناحية وجهى محاولين إثارة رعبى . . لكن فى الوقت الذى كنت فيه أفور وأغلى فى داخلى كانت ابتسامتى الواثقة المطمئنة على شفتىّ لا تغادرهما ، ولم أتحرك ولم أهتز ولم يبد علىّ الرعب الذى كانا يتوقعانه ، ومن ناحيتى فإن أى حركة زائدة منهما كانت ستؤدى إلى أننى سأبدأ على الفور معركة سأكون أنا الطرف الضعيف — جداً جداً

ـ فيها قطعاً ، وسوف أتضرب علقة ترقدنى شهراً فى المستشفى . لكن الضجة التى ستحدث نتيجة هذه المعركة سوف تمكن« ريتشارد » على الأقل من الهرب من دورة المياه وطلب النجدة ، أو سوف تلفت نظر الآخرين فى الخارج ، خصوصاً أن الفندق فى الليل يكون مليئاً برجال أمن المطار الذين يقيمون فى الفندق ويقضون أغلب الليل سهارى فى البار أو فى الكافيتريا . . لكن الذى حدث أنه يبدو أن ثقتى الزائدة جعلت الشبان الثلاثة يعدلون عن الإستمرار . فابتعدوا عنى . ثم انسحبوا بهدوء بعد أن هددوا « ريتشارد » وتوعدوه . . وقبل أن يخرجوا من باب دورة المياه كان « ريتشارد » قد انفلت من بين أقدامهم إلى الخارج كالأرنب المذعور . . ووقفوا فى ظلام موقف السيارات خارج الفندق يراقبون ماذا سوف يفعل وأنا أرى ضوء سجائرهم المشتعلة يتوهج فى الظلام . . وما كادوا يرونه يسرع نحو التليفونات الموضوعة على مكتب الـ « بورترز » حتى أسرعوا بالفرار . . وطلب «ريتشارد » رجال الأمن من البار . لكن البلطجية الثلاثة ذابوا فى الظلام ! »

لابساً

بدلتى

الشيك ــ بتاعة المناسبات ــ راكباً المترو الـ « أندرجراوند » من « هونزلو ويست Hounslow-west » إلى لندن فى طريقى إلى موعد هام . . ولدان فى الرابعة عشرة وأنا صاعد إلى المترو « هيلتى » واحد منهما كتفاً على غير توقع منى ، لوحتى ، دون أن يقول لى ــ كعادة الإنجليز المهذبين ــ « متأسف » أو « Sorry » . . ضايقنى أنه لم يعتذر . ركبا نفس العربة التى ركبت فيها : لم يجلسا ، وإنما راحا يتشقلبان ويتصارعان ويتضاربان ويتمازحان بصوت عال وبطريقة عنيفة مزعجة أثارت ضيق وتأفف كل ركاب العربة الإنجليز . . لكن كل واحد فى حاله . . أقرأ كتاباً باللغة

العربية . . الولدان ينظران إلى ناحيتى ويتهامسان . . يرنانى بأعينهما وقد تأكدا أننى غريب . . بدآ يعاكسانى ويشاكسانى بالإيماءة وبالحركة ، وأنا أكره دلع الصبيان ومياصتهم . . من البنات مقبولة لكن من الصبيان مرفوضة لأنها دليل عدم الرجولة . . تماديا . . وشعر كل الركاب بأن الصبيين يتحرشان بى . . قلت فى نفسى يا واد إقصر الشر وكلها كام محطة وتنزل وتترك خمما المترو بحاله . . تذكرت فيلم « الحادث » الذى جرت حوادثه كلها فى داخل عربة مترو كهذه . . لكنهما لم يمهلانى . . واحد منهما فى يده ورقة مكورة بها آثار صاندوتش . . ألقاها إلى زميله البعيد عنى فى الناحية الأخرى . . لكنها — بتعمد — تحولت لتلبس فى جانب رأسى ! ! . . رفعت رأسى عن الكتاب ورمقت الولد بنظرة نارية . فنظر فى عينى بوقاحة وبجاحة وقال ببرود وتحد واستفزاز : « متأسف Sorry » كأنه يشتمنى . . أقفلت كتابى بهدوء جداً . . فتحت شنطة أوراقى ووضعت الكتاب فيها ، بهدوء جداً . . أقفلت الشنطة مرة أخرى . بهدوء جداً . . وضعت الشنطة فوق الكرسى الخالى إلى جوارى ، بهدوء جداً . . وقمت من مكانى بهدوء جداً . واتجهت إليه فى خطوات عادية جداً ووجهى جامد لا يحمل أى تعبير . . حتى واجهته تماماً . فرفعت يدى ، بهدوء جداً وببطء جداً ، وفقعته — بكل قوتى — قلماً على صدغه سيظل يحلف به ويحلم به طول حياته ، رن كمدفع رمضان فى سكون العربة التى كان كل ركابها ينظرون إلى ناحيتنا فى ترقب شديد . . وقلت له ، بهدوء جداً وببرود جداً وغلاسة جداً : « متأسف . . Sorry » . . ووقفت أمامه أنتظر رد الفعل . . فلم ينبس ببنت شفة . . فاستدرت بهدوء جداً ، وعدت إلى مقعدى ، وفتحت شنطتى ، وأخرجت كتابى ، وعدت إلى القراءة من جديد . . . .

ونزل الولدان فى المحطة التالية . . . .

بس . . خلاص . . . .

(٩)

□ صاحبة الجلالة . . الطباخة . ! □

في

القاهرة

كنت لا أذهب إلى مكتبي في المجلة غير مرتين في الأسبوع ، وفقط لكي أقدم المادة التي أنا ملتزم بتقديمها أسبوعياً : أو لاستقبال الضيوف الذين لا أستطيع أن أطلب منهم المجيء لمقابلتي في بيتي . . من مميزات العمل الصحفي — برغم مشاقه ومتاعبه في أغلب الأحيان — إن الصحفي يكون « حر نفسه » : ينام حينما يشاء ، ويستيقظ حينما يشاء ، ويكتب عندما يشاء ، ولا يكتب إذا لم يشأ ، ويخرج وقتما يشاء ، ويعتكف ويضرب عن النزول عندما يشاء . . لأنه غير ملتزم بآية مواعيد . اللهم إلا مواعيد المطبعة . . وطالما أنه وفي بوعده مع المطبعة فهو حر بعد ذلك تماماً وغير مقيد بشيء . .

اليوم عدت من لندن إلى بيتي في « كرانفورد » متأخراً . وكان عليّ أن أستعد للسهر طول الليل في عملي بالفندق : فنمت من الساعة الخامسة مساءً على أن أستيقظ ٨,٣٠ مساءً . فيكون لديّ وقت كاف لكي آخذ حماماً دافئاً وأنزل إلى الفندق فأصل إليه قبل العاشرة بوقت مناسب . . إستيقظت فجأة فوجدت الساعة ما زالت الثامنة إلا ربعاً : عندي ساعة إلا ربعاً أخرى أنامها . . نمت مرة أخرى واستيقظت لأجد الساعة ٩,١٥ والمفروض أنني أركب أوتوبيس الساعة ٩ وثلاث دقائق ! ! . . بأقصى

سرعة ممكنة كنت قد تشطفت ولبست فى ١٠ دقائق ــ عدلت عن الحمام الدافئ طبعاً ــ ونزلت أجرى كالمجنون فى شوارع « كرانفورد » الهادئة حتى أستطيع أن أصل إلى المحطة قبل وصول أوتوبيس التاسعة و ٣٣ دقيقة . . دخل كلانا المحطة فى لحظة واحدة : الأوتوبيس وأنا . . وبالكاد لحقت شغلى فى موعده . .

آخر أدب . . المواعيد الإنجليزية الصارمة علمتنى أدباً جديداً إسمه : « أدب المواعيد » . .

أشفقت

جداً على

« كيم kim » الـ « بورتر » الإنجليزى الصغير ــ ليس أكثر من ١٨ سنة ــ ذى الشعر المهدل الذى يعمل فى واردية النهار لمدة ١٤ ساعة يومياً وينصرف من الفندق بعد العاشرة ليلا ليكون هنا مرة أخرى قبل الثامنة صباحاً ! ! . . أشفقت عليه جداً حين دخلت فى الصباح الغرفة التى نبدل فيها ملابسنا فوجدته نائماً على كرسى وعيناه حمراوان كالدم من فرط الإرهاق والتعب وقلة النوم . . حياة شاقة جداً وتعيسة جداً ، ربنا لا يحكم على أحد بها . .

و الـ « بورتر » العجوز مستر « والينجتون » أو « وولى » رئيس واردية الصباح ، كان سعيداً جداً الليلة وهو يرينى شارة سلسلة فنادق الـ « ستر هوتيلز » التى يضعها فى عروة جاكتته . . حصل عليها صباح اليوم فقط بمناسبة مضى ٥ سنوات على التحاقه بالعمل فى الفندق . . هنأته بحرارة فكشف عن معصمه ليرينى ساعة ذهبية حصل عليها من قبل ، عام ١٩٦٢ ، فى مناسبة مشابهة . . قال لى « وولى » إنه سيخرج إلى المعاش فى ديسمبر القادم حين يبلغ الستين ، أمضى منها ٣١ سنة « بورتر » فى الفنادق ! ! . . يا فرحته وهو يحكى لى

ذلك كله . . ويا فرحته وهو ينهى حياته كما بدأها : « بورتر » . . وسيقضى أيام شيخوخته يحكى لأحفاده عن أمجاده العظيمة كـ « بورتر » مجيد يستحق تمثالاً على ناصية حارة سد فى باب الشعرية . .

الهبل فى الدنيا كتير صحيح . . لكنهم فى إنجلترا بشكل مكثف ! !

وكلما

تصورت

أن هذه الحياة ممكن أن تكون حياتى فعلاً — « بورتر » طول عمرى — جزعت .. فإنه من الممكن هنا — وفى أى مكان فى العالم — أن يبدأ الإنسان حياته « بورتر » — وبالبلدى شيالا — وينهى شيالا كما بدأ ، كما هو الحال مع « زملائى » « بورترز » الكبار العواجيز الذين قاربوا الستينات ولبسوا نظارات نظر وركبوا أطقم أسنان ولسه « بورترز » كما هم . . شيك صحيح وشكلهم حلو ووجيه وإنجليز ، وتراهم بالملابس العادية فتظنهم لوردات ، لكنهم طلعوا نزلوا : « بورترز » . . وما أسوأها حياة يمكن أن يعيشها الواحد بلا أى أمل فى أى ترقية أو تقدم خطوة واحدة للأمام فى المستقبل . . حايرقوا الشيال يبقى إيه ؟ ! ماش شيال ؟ ! . . طيب أنا حاشتغلها ٤ شهور وماشى ، وباعتبرها تجربة صحفية وتعدى ، لكن الدور والباقى على اللى حياتهم حاتفضل كده طول عمرهم . . وحين أنظر فى وجوه « ريتشارد » و « تونى » زميلى فى واردية « بورترز » الليل ، وكلاهما فى الرابعة والعشرين من عمره ، يعنى فى عز الشباب ، أتصورهما بعد ٣٠ سنة وقد أصبح كل منهما « والينجتون » آخر قارب الستين وأوشك أن يخرج إلى المعاش وهو لسه « بورتر » برضه . .

ومجموعة

الـ « پورترز »

الذين يعملون فى واردية الليل — وأنا منهم — خفافيش لا يعملون إلا فى الليل فقط ، وطول اليوم بعد ذلك ملكهم يفعلون فيه ما يشاءون . . أما مجموعة الـ « پورترز » الذين يعملون بالنهار فحالهم غريب جداً : يسلموننا الواردية بالليل ويتسلمونها منا فى الصباح التالى . . نحن نعمل ١٠ ساعات فى اليوم وهم يعملون الـ ١٤ ساعة الباقية . . ينهون ورديتهم فى العاشرة ليلاً ويتسلمونها من جديد فى الثامنة صباحاً . . فإذا فرضنا أن ساعة أخرى يضيعونها فى المواصلات ليلاً ومثلها فى المجيء إلى الفندق صباحاً ، فيتبقى لهم من يومهم ٨ ساعات فقط يا دوب لنومهم ومش كفاية . دون أن يروا ضوء الشمس فى الشارع أبداً : وقطعاً يخرجون من بيوتهم ٧ صباحاً وأولادهم ما زالوا نائمين ويعودون الساعة ١١ ليلاً ليجدوا أن الأولاد قد ناموا مرة أخرى ! ! . . أى حياة هذه ؟ ! .

وكنت أتصور أن ورديتى الليل والنهار تتبادلان أحياناً وفقاً لنظام ما ، لكننى اكتشفت أن الذى يعمل بالليل يظل طول عمره يعمل بالليل . والذى يعمل بالنهار يظل طول عمره يعمل بالنهار . . وما أبشعها من حياة ! ! . .

شاب

أسمر

هادئ جداً لا يكاد يتكلم ، عُيّن حديثاً فى مكتب الإستقبال منذ نحو أسبوع ، كنت أتصور من لونه الأسمر وملامحه أنه أسبانى أو إيطالى ، لكننى فوجئت به الليلة وهو يقول لى : « مساء الخير : كيف حالك ؟ » باللغة العربية ذات اللكنة . . ويتضح أنه تونسى من مدينة

تونس العاصمة وإسمه « منصور نور الأمين » . ولم أكتشف أنه عربي إلا بعد أن عملنا معاً بنحو أسبوع تقريباً . .

حاجة

غريبة

جداً هؤلاء الإنجليز : العمل في إنجلترا ممنوع بغير « تصريح عمل » يصدر من وزارة العمل البريطانية .. ولو كنت شاباً مصرياً فدون حصولك على هذا التصريح (خرط القتاد) كما يقولون . . يعني تطول الشمس ولا تطوله . . ومع ذلك فأنت تستطيع أن تذهب إلى أى مكتب من مكاتب استخراج « بطاقات التأمين » الحكومية لتستخرج « إنشورانس كارد » أو « بطاقة تأمين » تقدمها لصاحب العمل فيسمح لك بالعمل على اعتبار أن « بطاقة التأمين » هذه تعتبر « موافقة » بصورة ما من الحكومة البريطانية على أن تعمل سيادتك في إنجلترا ! ! .

أنا متأكد أن الإنجليز نفسهم مش فاهمين الحكاية دى بجاية ازاى . . لكن طاعتهم الشديدة للنظم والقوانين تجعلهم لا يناقشونها . .

تحت المطر المنهمر بشدة اليوم — في عز أغسطس — ذهبت فاستخرجت « بطاقة التأمين » هذه من مبنى يسمى « هيث هاوس » في حى « آيزلورد » في نفس الضاحية التي أسكن فيها (ميدلسكس) . . أفادني هذا المشوار في اكتشاف شيئين في لندن كانا جديدين على تماماً : الأول كانت « بيسة » قد لاحظته قبلي وكلمتنى عنه لكنني لم أتوقف عند كلامها كثيراً وظننته مجرد انطباعة سطحية .. عندنا في مصر مثلاً : ضاحية المعادي لها شكل خاص أو طابع خاص ، مختلف تماماً عن ضاحية حلوان التي لها طابع متميز . . مصر الجديدة لها طابع مختلف ، منطقة الهرم لها طابع مختلف ، السيدة زينب لها طابع مختلف ، باب الشعرية له طابع وشكل مختلف ، المنيل والروضة لكل

منهما طابع مختلف . وهكذا . . لن تجد حيين يتشابهان فى القاهرة . . لكن هنا فى لندن سوف تجد الضواحى تتشابه تماماً إلى حد التطابق بشكل مذهل . . لدرجة أن ضاحية مثل « إلينج برودواى » فى أقصى غرب لندن تشبه تمام الشبه ضاحية « ويست كرويدون » فى أقصى جنوب لندن . وتشبه أيضاً منطقة « هونزلوبيل » فى جنوب شرق لندن و « سلاو » جنوب غربى لندن . . بحيث إنهم لو غطوا عينيك وأخذوك فى سيارة مثلاً وأنزلوك فى الميدان الرئيسى لإحدى الضواحى ، ثم كشفوا عينيك وسألوك عن إسم هذه الضاحية فلن تعرف ، لفرط التشابه بين ضواحى لندن . .

الشيء الثانى الذى اكتشفته من مشوار اليوم هو أن كل ضاحية من ضواحى لندن بها شارع رئيسى يسمونه الـ « هاى ستريت » . . وهذا الـ « هاى ستريت » عبارة عن نسخة مكررة ومصغرة لـ « أوكسفورد ستريت » الشارع التجارى الرئيسى فى وسط لندن . . وسوف تجد فى هذا الشارع . فى كل ضاحية من ضواحى لندن ، فروعاً لكل المحلات الرئيسية الكبرى فى لندن نفسها ، إبتداء من « سان مايكل » أو « ماركس آند سبنسر » و « وولورث » و « سى آند إيه » و « بريتش هوم » و « بوتس » وغيرها ، بكل ما فيها من بضائع ولوازم تماماً كما فى المركز الرئيسى فى لندن . . قطعاً هذا أيضاً عامل من عوامل التسهيل والتيسير ، فأنت لست محتاجاً إلى أن تكلف نفسك عناء ومشقة النزول إلى لندن لشراء احتياجاتك من المحلات الكبيرة هناك ؛ لأن المحلات الكبيرة نفسها تنتقل إليك لغاية عندك حيثما كنت فى أى ضاحية من ضواحى لندن . .

حين

تركب

نفس الأوتوبيس فى نفس الموعد كل يوم ، صباحاً أو مساء . فإنك تلتقى داخل الأوتوبيس دائماً بنفس الوجوه التى تركب نفس الأوتوبيس باستمرار ، سواء كانت تركب قبل محطتك أو بعد ركوبك أنت .. مثل ذلك الرجل الباكستانى الوقور ذى اللحية المحبوسة داخل شبكة وعمامته الباكستانية العالية . . وتلك الشابة الحسناء ذات الشعر الأحمر والنمش الظريف يملأ وجهها الجميل . . أكاد أهب لتحيتها حين تصعد إلى الأوتوبيس بعدى بمحطة كل صباح . إذ أنها تشبه إلى حد التطابق صديقة مصرية عزيزة لى تعيش فى مكان آخر فى أوروبا . .

حضرت

اليوم

مشهداً رائعاً فى محطة الأوتوبيس الرئيسية فى منطقة « هونزلو بيل » . . كنت والصديقة المصرية « سهير حمزة » الطالبة فى تجارة عين شمس عائدين من زيارة القنصل المصري « مصطفى كمال عبد الفتاح » فى بيته فى « ريشموند » . . وفى محطة الأوتوبيس الرئيسية فى « هونزلو بيل » حيث تتجمع بدايات عدة خطوط وتشبه محطات الأوتوبيس التى أمام المبنى المجمع أو الهيلتون فى ميدان التحرير بالقاهرة . . الوقت التاسعة مساء ، ومجموعة فتيان أعمارهم لا تزيد عن ١٨ سنة يجرون ويرمحون فى وسط المحطة وفى وسط الناس ويثيرون ضجة وضوضاء عنيفتين لا تتناسبان مع هدوء المكان فى أى ساعة من ساعات النهار ، وشكلهم يبدو كما لو أنهم يحاولون إثارة شغب بشكل أو بآخر . .

الواضح أن الناس الواقفين على أرصفة المحطة فى انتظار أوتوبيساتهم

متضايقون . لكن أحداً لا يتكلم . . قلت لـ « سمير » : « آهم دول اللي تخاف منهم . مش الزنوج » . . قبل أن أنهي عبارتي . وفي لحظة : كانت سيارة صغيرة جداً مكتوب عليها « بوليس » تتوقف فجأة في وسط الخطة . وينفتح بابها ليتزل منه ضابط بوليس بدين متوسط العمر . . ويبدأ الأولاد يجرون في الإتجاه المضاد ، لكن الضابط لا يفعل شيئاً أكثر من أن يقف في مكانه ويرفع إصبعه السبابة من يده اليمنى مشيراً إليهم وهو يصرخ فيهم بحسم شامل : « you, stop. » أو « قفوا مكانكم » !! فيتوقفون جميعاً في أماكنهم كأنهم فيلم سينما أوقف فجأة عند صورة معينة ، أو كأنه نومهم مغناطيسياً . . ثم يشير إليهم — بإصبعه فقط أيضاً — أن يقتربوا منه ، فيقتربون في تردد ووجل وأنا أتصور أنني أسمع دقات قلوبهم هلعاً . ويقفون أمامه صفاً في سكون وقد اختفت أصواتهم تماماً . لم يفتح واحد منهم فمه بكلمة واحدة . . وينزل فيهم الضابط توبيخاً وتسبيخاً وتأنيباً أمام كل الناس الواقفين على الخطة ، لمدة ١٠ دقائق ، وهم واقفون متخشبون كالأرانب المذعورة وقد أطرقوا برؤوسهم إلى الأرض وشبكوا أيديهم خلف ظهورهم . . حتى ينتهي من تأنيبهم فيخرج دفتره من جيبه ليكتب أسماءهم وعناوينهم وهم يهمسون بها بصوت لا يكاد يسمع . ويأمرهم بالإنصراف إلى بيوتهم فوراً . فينصرفون مهرولين في اضطراب . .

هكذا الإنجليز : يوفرون لشبابهم كل شيء : الرعاية الصحية والغذاء والتعليم والعمل والأمان . . فإذا انحرفوا أخذوهم بالقسوة على الفور ، حتى يرتدعوا . .

كلما رأيت شيئاً يعجبني في بلاد الفرنجة قلت في داخلي : عقبالنا يا رب ! ! . .

المانشتات

الرئيسية

في الصفحات الأولى في كل صحف الصباح اليوم تحكي قصة القبض على أميرة عربية صغيرة عمرها ١٥ سنة وهي تسرق ٣ قطع ملابس من محل كبير في « أوكسفورد ستريت » .. قالت الصحف إن الأميرة (اللصة) حين ضبطت (متلبسة) وفي حقيبتها المسروقات كان في حقيبتها أيضاً مبلغ ٤٠٠ جنيه إسترليني ! ! . . وقالت الصحف أن الأميرة ذكرت أنها لا تعرف كيف « وصلت » هذه الأشياء إلى حقيبتها . ولعل أحداً دسها فيها لكي يحدث فضيحة . . وقالت أيضاً أنه ليس من المعقول أن تكون خارجة لتشترى مشتريات وفي حقيبة يدها ٤٠٠ جنيه ليوم واحد ثم تسرق أشياء تافهة كهذه . . وقالت الصحف الإنجليزية أيضاً إن سكرتير والد الأميرة — الذي كان ينتظر في سيارتها خارج المحل — جاء على الفور وتفاهم مع مدير المحل الذي أخلى سبيل الأميرة ، لتخرج وتستقل سيارتها ال « رولز رويس » التي تحمل أرقاماً عربية . يعني جاءت بها معها من بلدها خصيصاً لتنقلاتها دفعت الشيء الفلاني في مقابل شحنها من وطنها إلى إنجلترا وبالعكس . ولم تشترها من لندن ! ! . .

أنا مع الأميرة الصغيرة في أن هذه المسروقات قد دست عليها لإحداث فضيحة وضجة وشوشرة في الصحف الأوروبية ضد العرب تظهرهم في صورة اللصوص أيضاً ! .

طول

عمري

وأنا أحب الأطفال وبيني وبينهم تجاذب كبير . . طفلة صغيرة كانت تقف مع والديها أمام مكتب الإستقبال المواجه لمكتبي في الفندق ؛

ينتظرون دورهم فى التسجيل . . رأتنى أنظر إليها فى ود فابتسمت لى . . إبتسمت لنا فلوحت لى بيدها الصغيرة .. لوحت لها بيدى فتركت والديها على الفور وجاءت إلى مكتبي لتتفتح دوغرى تحكى لى قصة حياتها : إسمها « چودى » وعمرها ٨ سنوات ولها شقيقان أكبر منها واحد عمره ١٨ سنة والآخر ١٦ ، ومسافرة مع والديها إلى إسبانيا غداً فى أجازة لمدة أسبوعين . . إنجليزية لبلب تتكلم بسرعة ١٠٠٠ كلمة فى الثانية ؛ كأنها راديو ضاع المفتاح الذى يقفله !

بحكم العادة والمران والخبرة المكتسبة تعلمت الإبتسامة المرسومة التى تظهر وتختفى بسرعة كشمس لندن . . إبتسامة على الشفتين فقط ولا علاقة لها بالقلب على الإطلاق . . إبتسامة تصعد على الشفتين وتختفى بشكل آلى ميكانيكي . والمفروض أن تبدو ابتسامة مرحبة سعيدة . . وتعلمت أيضاً الحركات التى تعجب الزباين . . النزلاء الأمريكان تعجبهم الحركات الإستعراضية والـ « ترولى » ذى العجل القلاب الذى تحمل عليه الحقائب . . يندهشون جداً حين يروننى أصعد به السلم بسهولة جداً وعجلاته يتغير وضعها مع كل سلمة . كأنهم يرون تحفة غير عادية أو كأننى اخترعت صاروخاً يتحنجل صاعداً السلالم سلمة سلمة . لذا يجزلون البقشيش ! ! . .

وبمناسبة البقشيش ، فإن الجنود الذين تراهم هنا فى الفندق لا يدفعون بقشيشاً على الإطلاق ؛ ومع ذلك فهم متغطرسون جداً ويتكلمون من أطراف أنوفهم وبتعال شديد كأن الواحد منهم قد اشترى الفندق وموظفيه بالجنيهات السبعة التى يدفعها فى الليلة . . وطلباتهم المجانية لا تنتهى ؛ كالشاى والزبد والمربى ، أما الطلبات التى بفلوس فهم لا يقتربون منها . . وناقص الواحد منهم يطالب منى أن ألمع له الجزمة أو يقول لى « تعالى طقطق لى صوابعى » ! ! . .

وبمناسبة البقشيش أيضاً : الآن وبعد مضى أكثر من شهر لى فى

العمل ، اعتدت البقشيش ولم أعد أخجل منه . بالعكس ، أصبحت في نهاية كل أسبوع أكتشف أن حصيلتي من البقشيش كانت أكبر من مرتبي نفسه ! ! . .

أتصور أنني بعد عودتي إلى عملي الصحفي في القاهرة . سوف أكتب مقالاتي وأقدمها إلى رئيس التحرير وأقف في انتظار البقشيش ! ! .

يبدو
أن

مشاكلي مع العمل سوف تبدأ الآن . ويبدو أن شكلي الجاد الرزين المحترم — حتى وأنا ألبس يونيفورم الـ « پورترز » — لايريح بعض الناس الهلس الذين يعملون هنا . . فأغلبهم يتعاملون معي بتحفظ شديد جداً ، إلا زملائي الـ « پورترز » وقلة من فتيات وشبان الإستقبال مثل « چوانا » و « لورين » و « كارول » و « بوب » و « كريس » والتونسي « منصور » . .

دخلت الليلة في الرابعة صباحاً إلى الكافيتيريا لأتناول عشائي ، وأنا أتناوله في هذا الموعد عادة ، فكادت أن تحدث أزمة بيني وبين الخيزبون « باتريشيا » الطباخة ، وهي شابة ربع حسناء تقترب من الأربعين ، لكنها ذات دلال على الجميع هنا والكل يسعى إلى كسب رضاها وودها وقبلاتها التي لا تمنعها عن أحد . إلا أنا لأنني لا علاقة لي بالمطبخ ولا بالطباخات . . ويبدو أنها تصورت ذلك كبرياءً مني أو ترفعاً ، فاصطادتني الليلة : حين دخلت لأتناول عشائي ، كانت هي في فترة راحة ، فلما ذهبت « سناء » لتقول لها إنني أطلب العشاء شخطت فيها وقالت أن تقديم العشاء ينتهي في الثالثة صباحاً والساعة الآن الرابعة !! . . أثارني أنها تصرفت هكذا وبصوت عال وبدون مناسبة على الإطلاق إلا أنني أنا وهي نتبادل الجفاء منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها ولم أكلمها

على الإطلاق منذ بدأت عملى هنا . . فقمت منطوياً غاضباً وغادرت الكافيتيريا على الفور وأنا أغلى غيظاً فى داخلى . . كان ممكناً أن أثير أزمة ومشكلة لكن النتيجة ستكون معروفة مقدماً من الآن : سأطرد من العمل فى الفندق أنا والبنات الثلاث « بيسة » و « سوسن » و « سناء » لأن الجميع هنا يتصورون أنى خاطئ . . لكن « سناء » جاءت تلحق بى لتقول لى إن « بيجى » مديرة الكافيتيريا تطلب منى العودة إلى الكافيتيريا وهى ستعد لى العشاء بنفسها . فرفضت . . فذهبت « سناء » وعادت مرة أخرى لتقول لى إن المديرة قد أعدت لى العشاء فعلاً . . فاكتفيت بذلك وعدت لتناول العشاء بعد أن أظهرت لهم تواجدى وأنيابى التى لن تفيد بشىء وقت اللزوم . .

نموذج من قلة الأدب الإنجليزى اللى من غير مناسبة . .

وفى الليلة التالية أصدرت صاحبة الجلالة الطباخة « باتريشيا الرابعة والسبعين » فرماناً مطبخياً بأن على جميع العاملين فى واردية الليل أن يتناولوا عشاءهم قبل الثالثة صباحاً . . وضحكت وهى سعيدة جداً حين رأتنى آخذ مكانى فى الكافيتيريا لتناول العشاء — بالعند فيها — قبل الثالثة صباحاً . . قاعد لهم ٤ شهور وماشى ، ويهمنى جداً ألا أصطدم بهم ، لكى أبقى لأرى وأتفرج على سخافات الإمبراطورية البريطانية الغاربة ممثلة فى أشخاصهم الإنجليزية العبيطة . .

الست

الـ « هاوس

كبيرة العجوز « ميوريل Muriel » التى تعمل بالليل فقط : والتى تدللنى كلما رأتنى بـ : « نوتى بوى » أو « يا واد إنت يا شقى » ! ! . . أطلقت عليها إسم « ريا » لأن من شكلها كده أتوقع أنهم سوف يضبطونها يوماً ما وهى واخدة واحد من نزلاء الفندق بالليل وبتاكل فيه على

جنب ، أو عاملاه شاورمة و بشاكله فى أوضتها بالليل .. شكلها عفاريتى جداً !

أمس وأنا أقوم بجولة الأمن الليلية للتفتيش على الفندق فى الثالثة صباحاً : رأتنى الست « ريتا » فى أحد ممرات الفندق ، فطلعت تجرى — آل يعنى مذعورة وخايفة منى — وهى تخوف باله . ولو طلعت لحد بالليل سيصاب بانهيار عصبى و يطب ساكت . وإدارة الفندق قطعاً مشغلاها بالليل فقط مخصوص لكى تخوف النزلاء فلا يخرجون من حجراتهم ليلا ! ! . .

الشابة

الپاكستانية

الحسناء « حفيظة » صاحبة الڤيللا التى أسكن فيها فى « كرانفورد » ، أصدرت اليوم فرماناً پاكستانياً عالياً فى شكل تعليمات مشددة مصحوبة بابتسامة مهذبة : بأننى يجب أن أمسح الحمام بعد انتهائى من استعماله! ! لأن الڤيللا مصنوعة من الخشب وممكن أن « تبوش » وتقع فجأة لو أن كل واحد خرج من الحمام وتركه وراءه غارقاً فى الماء هكذا بعد انتهائه منه . . . وقالت لى « حفيظة » إن كل شىء فى هذا البلد يجب أن يراعى فيه الحرص والدقة . . ومن باب التخفيف عنى قالت إنها كانت غير حريصة مثلى هكذا حين جاءت إلى لندن لأول مرة منذ ٧ سنوات . .

وبالمناسبة : حدث اليوم صباحاً أيضاً حادث غريب فى البيت : جارى الهندى فى الغرفة المجاورة لى — ولست أدرى أيهما ، فعلى يمينى هندى وعلى يسارى هندى — فتح باب غرفتى بهدوء وتسلل إليها وأنا نائم ، لكنه فوجئ بى أستيقظ فجأة وأفتح عينىّ فهرب على الفور وترك الباب وراءه مفتوحاً قبل أن أتبين شكله تماماً . . كنت لم أستيقظ تماماً من النوم فظننت نفسى أحلم وعدت إلى النوم من جديد ،

لكنني حين قمت من النـوم عصراً اكتشفت أن الباب مفتـوح فعلاً ! ! . .

حركة غريبة جداً وغير مطمئنة . . معنى ذلك أن جيرانى من الممكن أن يسرقونى وأنا غير موجود ، خصوصاً أننى أكون خارج غرفتى طول الليل . . لذا سأستأذن أختنا « حفيظة » فى أن أضع قفل و « رزة » على باب غرفتى من الخارج . . فلن يفيدنى بشىء أن أبلغ البوليس هنا أننى سرقت ، لأن المفروض أن أتوارى عن أعين البوليس الإنجليزى تماماً ولا أضع نفسى فى طريقه على الإطلاق حتى لا يكتشف أننى أعمل بدون « تصريح عمل » فيطردنى إلى خارج إنجلترا على الفور ! .

شىء
غريب

جداً فعلاً : إشمعنى الحمام الإنجليزى الشهير موجود فى ميدان الـ « ترافلجار » وفى حديقة الـ « هايد بارك » فقط ، ولا يوجد فى باقى لندن؟!

رأيت اليوم حمامة تايهة تتمشى على الرصيف فى شارع « أوكسفورد ستريت » فوقفت أتفرج عليها باستغراب . . كان واضحاً عليها أنها مسكينة وغلبانة ووحدانية وغريبة وغير مطمئنة . . تصورت أننى لو دققت النظر فى « يدها » لوجدت فيها ورقة صغيرة مكتوب عليها عنوانها فى الـ « ترافلجارسكوير » . وكان الود ودى أن أقطع لها تذكرة فى المترو الـ « أندرجراوند » وأوصف لها الطريق إلى ميدان الـ « ترافلجار » ! ! . .

تسليتنا
الكبيرة

هنا هى كتابة الخطابات المطولة إلى الأهل والأصدقاء والحبايب والمعارف ، وانتظار خطاباتهم والفرحة الكبيرة بها والرد عليها فوراً :

بعشم أن يردوا هم أيضاً على « الرد » فوراً . . ومحاولة العثور على صوت مصر في الراديوهات الترانزستور والإسماع إلى الأغاني المصرية المسجلة على أشرطة الكاسيت في ريكوردوات الأصدقاء . و « خايفة تلاقي وردة تحلو في عينيك » . . و « خليك هنا خليك وبلاش تفارق . بتقول يومين وتغيب سنة بلاش تفارق . شوف كام سنة من عمرنا ضاعوا مننا وبلاش تفارق » . . و « اللي كان هو اللي كان ، لا الزمان ولا المكان قدروا يخلوا حبنا ده يبقى كان ، قد اللي فات من عمري باحبك وقد اللي جاي من عمري باحبك » . . و « آه لو بايدنا ما كناش بعدنا ولا ليلة واحدة ، وكنا فضلنا سوا للنهارده وبعد النهارده ، حبايب ما يقدر علينا الزمان ، غريب غريب يا زمان » . .

آآآآآ خ . . . . . يا زمان ! !

مكتبي

يقع

مباشرة أمام مكتب « الإستقبال » وفتياته الحسناوات . . « كالح » جرسون الكافيتيريا المصري الذي أطلقت عليه « سوسن » إسم « فسدان » : جاء اليوم صباحاً ليتلكأ عند مكتبي وهو يدردش معي دردشة عادية ، ثم فاجأني بسؤال غريب : سألني عن رأيي في زميلتنا الإنجليزية فتاة « الإستقبال » الحسناء « لورين » . . فقلت له — صادقاً — ما اعرفشي عنها حاجة أكثر من إن إسمها « لورين » وأنها حمراء الشعر وسيمة الشكل وبنت ظريفة وحسناء ، وبتعجبني أنا شخصياً . . فعاد ليسألني عن « سلوكها » ! ! . . فأيضاً قلت له — صادقاً برضه — ما اعرفشي ، لكن عموماً كل البنات الإنجليزيات كما هو واضح « واخدين راحتهم على الآخر » ومن زمان ، وأن ١٠١ ٪ منهن لسن عذراوات . . فسألني ببساطة : « مش مهم تكون عذراء أو لأ ، لكن تفتكر تكون حامل ؟ ! »

.. سؤال غبي طبعاً : فنظرت إليه في دهشة شديدة وقلت : « لغاية كده وقطعاً ما عنديش معلومات . ويمكن لو سألت « لورين » نفسها شخصياً تلاقيها برضه ما تعرفشي . لكن ليه الأسئلة دي كلها عن « لورين » بالذات ؟ » . فقال « كالح » إنه يفكر .. يتجوزها ! ! .

« كالح » هذا قزم ضئيل بشكله عبيط ومضحك بشعره الطويل بلون الصدأ الذي يطلقه على كتفيه . ويقول إنه طالب في معهد بني سويف التجاري .. وهو معهد ليس موجوداً — على كلامه — على خريطة وزارة التعليم العالي .. أدهشني هذا التفكير من « كالح » . وتصوره أن هذه الوردة الحمراء المتفتحة التي لاترضى بأقل من « روك هدسون » أو « روجر مور » عريساً يتناسب مع بهائها وطعامتها . قد ترضى بالأخ « كالح » . فضحكت وغيرت الموضوع ..

وفي نفس الليلة أعرف من « أمين القصاص » زميل « كالح » في الكافيتيريا أن « كالح » يريد الزواج من أي فتاة إنجليزية وبس . أي فتاة والسلام . ولن يأخذها معه إلى مصر إنما سيتركها هنا .. فكل ما يهمه هو أن « يعقد زواجه » على إنجليزية حتى لا يدخل الجيش في مصر ! ! .. هكذا التفكير .. ولو كنت أنا مسئولا في الجيش لعملت إلى جانب كشف الهيئة كشفاً آخر للتفكير . فيكفي أن يفكر واحد مثل الأخ « كالح » تفكيراً كهذا حتى يكون مجرد دخوله الجيش — حتى لو لم يتزوج إنجليزية — خطراً على الجيش نفسه ! .

سمعت

هذا

الموضوع من قبل ولم أصدقه .. قاله لي « يوسف عميرة » — وهو قد خبر العمل في لندن لمدة ٤ سنوات حتى الآن — ولم أصدقه حتى بحدث معي الليلة : منذ عدة ليال رن جرس التليفون في مكتبي فرفعت

الساعة لأجد فتاة تسأل عن « ريتشارد » . فقلت لها إنه موجود فى الواردية لكنه ليس فى المكتب فى هذه اللحظة . فقالت : « أنا « جولى » . . ممكن أحضر الآن ؟ » فقلت لها ببساطة : « أهلا وسهلا . إتفضلى فى أى وقت » ، فقالت : « يعنى فيه شغل الآن ؟ » قلت : « طبعاً . . الفندق مفتوح ٢٤ ساعة فى اليوم » . . وأدركت هى أننى مش فاهم ، وجاء « ريتشارد » فى هذه اللحظة فأعطيته السماعة ليكلمها هو . .

الليلة تكلمت « جولى » مرة أخرى وسألت عن « ريتشارد » فقلت لها إنه فى إجازة الليلة ، فسألتنى : « هل أنت تونى ؟ » قلت لها : « لأ . . تونى فى إجازة لمدة أسبوعين » فقالت : « من إذن رئيس واردية البورترز الليلة ؟ » قلت : « أنا . . قدرى » فسألتنى هل رأتنى من قبل ؟ فقلت لها إنها كلمتنى مرة فى التليفون منذ عدة ليال ، فقالت : « كويس . . هل هناك شغل لى الليلة ؟ » قلت بعبط : « شغل إيه ؟ » قالت : « شغل شغل » ! ! . . فلم أفهم وطلبت منها أن تزيدنى إيضاحاً . . ثم فى لحظة لمع فى ذهنى الكلام الذى كان « يوسف عميرة » قد قاله لى ، من أن الـ « بورترز » فى خدمة النزيل فى كل شىء حتى لو طلب منه أن يحضر له فتاة تقضى معه الليلة ! ! . .

تركت سماعة التليفون لـ « أنتونى » السائق الذى كان يقف إلى جوار مكتبى فى ذلك الوقت ليتفاهم هو معها ، وتركت المكتب كله ولم أعد إلا بعد أن أنهى « أنتونى » المكالمة وبراءة السائقين فى عينيه ! ! . .

نزيل

أو ساكن

الغرفة رقم ٦٧٠ يرفع سماعة التليفون ليطلبنى : « عايز بنت الليلة » !! . . ابن الـ . . . ثرت وكدت أشتمه وألعن أبو خاش جده ، لكننى عدت فمالكت أعصابى ، ومساهمة منى فى تبويظ أخلاق الشعب الإنجليزى —

آل يعني هي ناقصة — حولته على واحد إنجليزى مثله يلبى له رغبته .. حولته على « ريتشارد » ﻓ (تفاهما) ، وآهم إنجليز فى بعض وهم أحرار . .

والليلة .. الأخ « صالح هبيل الرمضان » عامل عربى فى مد خط أنابيب بترول فى البحر فى هولندا . . لا يقرأ ولا يكتب العربية ولا يعرف من الإنجليزية غير كلمة واحدة هي : « No » . . كانت عنده مشكلة بسيطة : لأنه لا يعرف اللغة الإنجليزية فإن شخصاً ما كان المفروض أن ينتظره فى الفندق هنا لكى يأخذه إلى مطار لندن غداً صباحاً ليسافر إلى بيروت . لكنه بعد أن وصل إلى الفندق هنا إتضح أن هذا الشخص شخصية وهمية لا وجود لها ! ! . . حكى الأخ « صالح هبيل » مشكلته ﻟ « بيسة » حين عرف أنها مصرية ، فلم تفهم « بيسة » شيئاً فأحضرته لى ليظل لازقاً بجوار مكتبي نحو ٤ ساعات حكى لى حكايته خلالها ١٠ مرات دون أن أفهم منها شيئاً أنا أيضاً . . وأخيراً ، وقرب الثانية صباحاً قال وهو يقدم لى سيجاراً فاخراً : « ممكن أطلب منك طلب : ولولا الأخوية ما كنت طلبته منك ؟ » قلت — وأنا أتوجس شراً عادة من هذه المقدمات « الأخوية » — : « تحت أمرك » فقال بهدوء جداً : « عايز بنت تقضى معايا الليلة » ! ! . . ووضعت أعصابى فى ثلاجة ١٧٢ قدم حتى لا أفقعه قلم أجيبه الأرض قدام الناس الخواجات الواقفين والرايحين والجايين ، وقلت له : « والله يا أخ صالح ، الـ « بورترز » الإنجليز بيعملوا الحكاية دى ، لكن إنت عارف إننا كمصريين وكشرقيين مش بنعملها ، معلش ، تعالى على نفسك شوية واستحمل لغاية بكره ، وآديك بكرة رايح بيروت تعمل هناك زى ما أنت عايز » . . لكن يبدو أنه لم يفهمنى مع أننى كنت أكلمه بالعربى طبعاً ! ، أو يبدو أنه فى وقفته الطويلة إلى جانبي رأى البنات الأجنبيات شبه العاريات فاتلحس ، فقال لى فى رجاء وتوسل أنه يعمل فى وسط البحر منذ يونيو الماضى . . أردت أن أصعب له المسألة فقلت : « طيب إفرض إن واحد من الـ « بورترز »

الإنجليز تنفذ لك طلبك ، حاتتفاهم مع البنت إزاى وإنت مش بتعرف ولا كلمة إنجليزى » ؟ ! . فقال محتجاً : « مش مهم ، هو أنا جايبها علشان أتكلم وياها ؟ ! » وبعدين فى أخونا ده ؟ ! أصعبها له أكثر ، فقلت : « ماهو مش معقول ياأخ صالح إنك ترمى ٥٠ جنيه ، وإسترلينى كمان ، فى حاجة تافهة زى دى » ؟ ! . . فقال لى مثلاعربياً لست أذكر نصه الآن . لكن يقابله فى الأمثال المصرية المحتاج مجنون » أو شىء من هذا القبيل . . فلم أرد أبداً — حتى أوزعه بصنعة لطافة — من أن أدعى أنى سأخبر « ريتشارد » بطلبه ، وقلت لـ « ريتشارد » بالإنجليزية التى لا يفهمها الأخ صالح : « ريتشارد . . هذا النزيل يريد أن يتعشى الآن فى غرفته ، ممكن ؟ » فأجاب « ريتشارد » على الفور : « Oh,no . . . . أنت تعرف أن الإفطار فقط هو الذى يقدم فى الغرف » . . وكنت أريد من الأخ « صالح » أن يستمع فقط من « ريتشارد » إلى : « Oh,no » هذه ؛ أما الباقى فمش مهم لأنه لن يفهمه ، وعدت أقول لـ « ريتشارد » : « إذن فهو يريد الإفطار فى غرفته » فرد : « فى أى وقت ؟ » قلت : « ٧و٣٠ صباحاً » فسحب « ريتشارد » الكشف الذى يسجل فيه رغبات الزبائن الذين يريدون الإفطار فى غرفهم وسجل فيه رقم غرفة صاحبنا وكتب أمامه الموعد . . وسألنى الأخ « صالح » ماذا قال ريتشارد ؟ فقلت له : « آديك سمعت بنفسك لما قال Oh, no . . يعنى ماعندوش بنات فاضيين فى الوقت الحالى . . لكنه وعد — زى ماشفت — بأن يحجز لك واحدة فى أول فرصة ؛ وده حيكون يوم ٢٨ نوفمبر بإذن الله وعليك خير — وكنا يوم ٢٩ أغسطس — يعنى إن شاء الله وانت راجع لندن المرة الجاية حا يعمل حسابك » ! ! . .

آل واسمه « صالح » . . الله يخيبه ! ! .

(١٠)

□ القاهرة تغزو لندن ! ! □

صديقتى

الصحفية

الكندية الشابة « سوزانا روبنسون » ، المراسلة المتجولة بجريدتها فى أوروبا . . فى لندن الآن لعدة أيام فى طريقها إلى « فرانكفورت » بألمانيا لحضور معرض دولى هناك . . كنا على موعد لنلتقى اليوم . . اتفقنا على أن يكون مكان لقائنا قاعة الإستقبال فى فندق « كمبرلاند » من أفخم وأشيك وأكبر فنادق إنجلترا ، ليس — لا سمح الله — لأن واحداً منا ينزل فى هذا الفندق المهول ، فـ « سوزانا » تسكن فى فندق درجة عاشرة أقرب إلى البنسيونات فى حوارى لندن ، وأنا أسكن فى غرفة مفروشة فى ضواحى لندن . . وليس — لا سمح الله برضه — لأن هذا المكان هو مكانى المفضل ، فهذه هى أول مرة أدخل فيها فندق « كمبرلاند » . وإن كنت كثيراً ما حصلت على شرف المرور أمام بابه أيام أن كنت أسكن فى « ماربل آرش » وفى « ساسكس جاردنز » . . إنما اتفقنا أن نلتقى فى هذا المكان لأن أى واحد فى لندن يستطيع أن يعطى مواعيده فى صالونات الشيراتون أو الهيلتون أو كمبرلاند أو فندق بريطانيا أو فندق تشرشل . . لأن أحداً لن يمنعه من الدخول أولاً ، وثانياً لأن الحابل مختلط جداً بالنابل فى هذه الفنادق الكبيرة ، ولا أحد يعرف النزلاء من غير النزلاء من المتسكعين المتصعلكين المتطفلين على صالونات الفندق زى حالاتنا . . وأى واحد أو أى واحدة ممكن أن يدخل أى فندق

كبير وتجلس فى الـ « هول » أو المدخل الكبير أو صالوناته أو حتى يصعد إلى أى دور ويدخل أى غرفة دون أن يعترضه أحد . . وكلما كان الفندق كبيراً وعدد النزلاء كثيراً كلما كانت المهمة أسهل أمام أى حد ليدخل الفندق ويقابل أصدقاءه هناك كأنه من أهل الدار . لذا فقد قررت أن أعطى مواعيدى كلها بعد ذلك لمقابلة أصدقائى فى بهو فندق شيراتون أو الهيلتون فى القاهرة ، علشان يفتكروا إنى مهم ! ! .

ويهذه

المناسبة :

أختنا الظريفة « سوسن » طالبة تجارة القاهرة التى تعمل جرسونة و « تشمبرميد » فى فندق « سنتر إيربورت هوتيل » وتقيم فى بيت الـ « تشمبرميدز » فى نفس الفندق . كثيراً ما ينتابها الزهق والملل من العمل والقعدة فى الفندق نفسه ٢٤ ساعة فى اليوم . فتلبس بالطوها الشيك الذى اشترته من سوق اليهود بستة جنيهات ، وتتمشى لغاية فندق شيراتون القريب من فندقها . لتدخل وتجلس فى الصالون بـ « ألاطة » شديدة جداً واضعة ساقاً فوق ساق كأى نزيلة ترتدى بالطو بألف جنيه ، وتتسلى بمراقبة والتفرج على نزيلات الشيراتون اللائى يتعاملن مع محلات « هارودز » و « سلفريدج » : وآهى كلها محلات أصحابها يهود أيضاً ، والمسألة محصلة بعضها ، يعنى حيفرق قد إيه ثمن البالطو بتاعها عن ثمن البلاطى بتاعتهم ؟ مش غايته ٩٩٤ جنيه بس ؟ .. بسيطة ! ! ..

ماكينة

المشروبات

الساخنة والمثلجة ، التى تضع قطعة العملة فى ثقب فيها وتضغط على زر صغير مكتوب عليه إسم المشروب الذى تريده ، فتخرج لك كوباً من

البلاستك ملىء بالشاى أو القهوة أو الكاكاو أو الكوكاكولا . . الماكينة الموضوعة فى الـ « كانتين » الخاص بالعاملين فى الفندق تعمل مجاناً : تضغط على الزر الذى تريده دون أن تضع قطعة نقود . فتحصل على ما تريد ببلاش . .

تدخل الـ « كانتين » فى أى لحظة فتجد إلى جوار الماكينة عشرات الأكواب مليئة بمختلف أنواع المشروبات لم يشربها الذين ملأوها ! ! . . لو كانوا قد دفعوا فيها نقوداً لشربوها ولحسوها كمان . لكنه البطر على النعمة التى فى اليد . ومن باب « البلاش كتر منه » ! ! .

« سوسن » قالت لى مثلا شعبياً تعليقاً منها على حكاية « البطر » هذه . قالت : « قال له من مالك ؟ قال له لأه . . قال له طيب بدل ما تاخد حَبّه . خد حَبّه وارمى حَبّه » ! ! . . قلت لـ « سوسن » مندهشاً : « ظريف جداً المثل ده . أول مرة أسمعه » فقالت وهى تعود إلى شغلها : « طبعاً . وأنا كمان . لأنى لسه مألفاه دلوقتى حالا » ! ! .

سوسن

وسناء

وبيسة و « منى » و « يسرية » و « سهير » و « عقيلة » و « سعاد » و « ثريا » و « نورا » و « منى » أخرى و « سامية » و « إسراء » و « ناجية » و « أمين » و « شحاتة » و « كالح » و « ماجد » و « هانى » و « سمير » « محيى » و « ممدوح » و « على » و « عماد » و « علاء » و « أبو زيد » و « فهمى » وغيرهم وغيرهم . . عشرات من الأسماء المصرية تحيط بى من كل جانب منتشرين يعملون فى كل مكان هنا . . وفى منطقة مطار « هيثرو » بالذات لن تجد فى أى فندق من فنادقها أقل من ١٥ من المصريين يعملون فيه . . فكيف إذن نستطيع أن نقول أن فرص العمل محدودة أمام الشبان المصريين فى لندن فى الوقت الذى يعمل فيه كل هؤلاء الشبان وعشرات ومئات غيرهم فى كل مكان فى لندن ؟ ! .

قال لى السفير المصرى فى لندن « كمال الدين رفعت » ، ونفس الكلام قاله أيضاً « مصطفى كمال عبد الفتاح » قنصلنا فى لندن ، أن ٣٠ ألف طالب وطالبة مصريين قد جاءوا إلى لندن هذا الصيف للعمل فيها . وإن هذا الرقم رقم مهول لا يمكن أن يستوعبه سوق العمالة فى لندن . . لكننى أقول إن سوق العمالة فى « إنجلترا » يستطيع أن يستوعب ضعف هذا الرقم ، لكن بشروط ينبغى أن تكون واضحة ومفهومة جداً :

ما هى – أولا – نوعية الأعمال الممكن أن يشتغل فيها الطلبة المصريون والطالبات المصريات فى إنجلترا ؟ ! .

القانون الإنجليزى أساساً لا يسمح لغير الإنجليز بالعمل إلا فى المجال الذى يسمونه هنا (كاترنج) أو أعمال (الخدمة فى الفنادق) . . وهى الأعمال التى يرفض العمال الإنجليز أن يشتغلوها . . الفتاة المصرية – غالباً – ليس أمامها إلا وظيفتان : إذا كان شكلها أنيقاً وسيماً ومهندماً وذكياً – وهذه نقطة مهمة – وتعرف من اللغة الإنجليزية القدر الذى يجعلها قادرة على التفاهم ، فهذه تعمل « ويترس Waiteress أو جرسونة فى الكافيتيريات ، ويصل مرتبها إلى متوسط ٢٠ جنيهاً فى الأسبوع + بين ٣ و٦ جنيهات بقشيش . . أما إذا كانت تنقصها كل أو بعض الصفات المتقدمة فأهلا وسهلا بها برضه لكنها تعمل فى مجال بعيد عن التعامل مع الزبائن ، فى وظائف الـ « تشمبرميدز Chambermaids » أو ما يمكن أن نعتبره – مع الأدب الشديد جداً وربنا يجعل كلامنا خفيفاً عليهن – : « خادمات غرف » فى الفنادق : لتنظيف الغرف وكنسها وتلميعها وتغيير السراير ومسح وتنظيف الحمامات ، وكل الأعمال عموماً التى تدخل تحت بند خدمة الغرف فى الفنادق . . وهذه الوظيفة مرتبها نحو ١٣ جنيهاً فى الأسبوع واحتمالات البقشيش فيها نادرة جداً . .

ولا أذكر أننى قابلت فى لندن أى بنت مصرية تعمل فى وظائف أخرى غير هاتين الوظيفتين : جرسونة أو خادمة غرف . .

الصبيان ،
أو الطلبة

الجامعيون مجال الوظائف بالنسبة إليهم أكثر تنوعاً : إذا توافرت فيهم نفس المواصفات والشروط المطلوبة فى الفتاة التى تعمل جرسونة . وإذا لم يكن هناك عدد كاف من البنات للعمل كجرسونات : فالولد إذن ممكن أن يعمل جرسوناً أيضاً . على افتراض أنه يعرف من اللغة الإنجليزية قدراً كافياً . . أما إذا كان من التتار الذين يهجمون على لندن وهم مجردون من إمكانيات العمل فيها . خصوصاً معرفة اللغة الإنجليزية ، على اعتبار أن « إحنا وحظنا ، وربنا مش بيسيب حد بيات جعان » ، فهؤلاء — إذا كان حظهم طيباً وأمهم داعية لهم ووجدوا فرصة العمل — فهى تكون فى عمل من هذه الأعمال : أعمال النظافة وكل ما يندرج تحتها من كنس ومسح وخلافه . . غسيل الأطباق ، وهى أشهر وظيفة يعمل بها أغلب الطلبة المصريين الذين لا يجيدون من « اللغة » الإنجليزية إلا غسيل الأطباق !! . . مرمطونات لنقل لوازم الفندق بين الأدوار وبعضها . . مساعدى طباخين لتقشير البطاطس والبصل والخضراوات وما أشبه . يعنى تجهيز الخامات للطباخ . . جمع الملايات من غرف النوم فى الفنادق عند إخراجها أمام أبواب الغرف للغسيل . . الا « روم سيرفيس Room-serviece » أو الخدمة على الغرف وتوصيل طلبات الزبائن التى يطلبونها فى حجراتهم . .

وأيضاً لا أذكر أنى قابلت شاباً مصرياً واحداً يعمل فى غير هذه الأعمال . .

إذا
كانت

الأعمال متنوعة ومتوفرة بهذا الشكل : فما هى مشكلة الطلبة المصريين إذن ؟ ! .

مشكلة عمل الطلبة المصريين — وعندما أقول « الطلبة » فأنا طبعاً أعني « الطلبة والطالبات » — تتلخص فى عدة نقط أساسية وهامة :

● الموسم السياحي فى لندن يبدأ من شهر أبريل ويستمر حتى نهاية شهر سبتمبر . . معنى ذلك أن سوق العمالة يكون مستعداً لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الأيدى العاملة الأجنبية إبتداء من شهر إبريل ، أو حتى من منتصف مارس . . لكن الطلبة المصريين لا يصلون إلى لندن فى ذلك الوقت لأن الإمتحانات فى الجامعات عندنا لا تنتهى قبل منتصف يونيو أو أوائل يوليو . . وبعدها « يبدأ » الطلبة فى ترتيب إجراءات سفرهم . فيصلون إلى لندن — غالباً — فى أواخر يوليو أو بعد ذلك فى كثير من الأحيان . . وإذا ذاك يكون قد مضى من الموسم السياحي أغلبه — أربعة شهور — ولم يبق منه إلا القليل — شهران — ويكون كل صاحب عمل قد استوعب كل احتياجاته من الأيدى العاملة من الجنسيات الأخرى التى سبقت فى الوصول إلى لندن فى وقت مبكر . .

● إبتداء من أواخر يوليو يهجم على لندن جيش جرار من الطلبة المصريين يتزايد عاماً بعد عام . . وصل فى هذا الصيف — ١٩٧٣ — إلى نحو ٣٠ ألف طالب وطالبة مصريين . . يبدأون جميعهم فى وقت واحد — وبإلحاح شديد — فى البحث عن أعمال . . وتبعاً لنظرية « إذا كثر العرض قل الطلب » يصبح أمام أصحاب الأعمال الفرصة لاختيار الأفضل ، وبشروطهم ، وبالأجر الذى يحدده صاحب العمل لا الذى يحدده القانون . . ولدرجة أننا فى الفترة التى كنا نبحث فيها عن عمل فى لندن عند بداية وصولنا كنا ندخل مكاتب أو وكالات التشغيل فيسألوننا من على الباب : « مصريين ؟ » ، فنقول : « أيوه » فيقولون : « متأسفين . . ما عندناش شغل علشانكم » !! . . حتى قررت أن أجرب مرة حين سألونا : « مصريين ؟ » فقلت : « لأ . . أسبان » فاستقبلونا ورحبوا بنا ، وكتبنا الإستمارات فعلا ، فلما سألتنا الموظفة عن جوازات سفرنا لم يكن

أمامى إلا أن أقول لها أننا قد نسيناها فى البيت ، فأصرت على ضرورة الإطلاع عليها . فخرجنا على إننا سنذهب لإحضارها ، ولم نعد طبعاً . .

● إنجلترا فى نظر المصريين الذين يصلون إلى هنا هى « لندن » فقط لا غير . . « مدينة لندن » وحدها . . ولازم منطقة وسط المدينة . . وكل الطلبة الذين يصلون إلى لندن يتجهون فوراً إلى « أوكسفورد ستريت » — وهو ما يعادل شارع سليمان باشا أو شارع فؤاد فى القاهرة ، أو شارع سعد زغلول وصفية زغلول فى الإسكندرية — ليبحثوا عن أعمال هناك . . وقد تتوفر الأعمال فى المدن الأخرى فى إنجلترا أو سكوتلندا أو ويلز أو أيرلندا — وكل هذه تعتبر إنجلترا أيضاً — لكنهم لا يريدون العمل إلا فى لندن نفسها . . بل الأكثر من ذلك أن الأعمال تكون متوفرة فى مناطق الشواطئ القريبة من لندن مثل « دوفر » و « بورتسماوث » وغيرها ، مع تسهيلات أكثر فى الإقامة والسكن ، ولكن الطلبة المصريين يرفضون . . أكثر وأكثر من ذلك : ضاحية « ميدلسكس » فى لندن نفسها : التى يقع فيها مطار لندن الشهير « هيثرو » ، وهى لا تبعد عن وسط لندن بأكثر من ٣٠ أو ٣٥ دقيقة فى المترو الـ « أندرجراوند » : لا يقبل المصريون كثيراً على العمل فيها برغم وفرة فرص العمل فى فنادقها ، وبرغم أن فى كل فندق من فنادقها — وكلها فنادق كبيرة ودرجة أولى — ما لا يقل عن ١٥ أو ٢٠ من المصريين يعملون فيها . فإنه يمكن أن يستوعب أكثر من ذلك ، على الرغم من أن :

● أصحاب الأعمال الإنجليز لا يرحبون كثيراً بعمل موعة كبيرة من الشبان أو البنات من جنسية واحدة ، خوفاً من التجمعات الشللية والعصبيات أحياناً ، وخوفاً من الخلافات الممكن أن تحدث بين أفراد مجموعة من جنسية واحدة ، وخوفاً من التكتل والإتحاد والتهديد بترك العمل جميعاً مرة واحدة . . وقد أصبحت لدى أصحاب الأعمال الإنجليز معلومات وخبرة كافية عن مواعيد بدء الدراسة فى مصر ،

لدرجة أنهم قرب نهاية الموسم فى شهر سبتمبر يرفضون تشغيل الطلبة المصريين على اعتبار أنهم « فاضل لهم أسبوعين ثلاثة وراجعين إلى مصر علشان الجامعة » ! !

وفى

الوقت

نفسه فإن ٩٩٫٩٪ من المصريين الذين يصلون إلى لندن لا يكون معهم « تصاريح عمل » من وزارة العمل الإنجليزية . . لذا فإن أصحاب الأعمال — خصوصاً فى منطقة وسط لندن بالذات — يخشون تشغيل الطلبة الذين ليس معهم تصاريح عمل . خوفاً من البوليس الإنجليزى الذى له حق التفتيش وحق ضبط أى واحد يعمل بدون تصريح عمل ، وفى هذه الحالة فإنه يقوم بترحيله فوراً إلى خارج إنجلترا كلها بعد توقيع مواد القانون الإنجليزى الصارم عليه ، وهى تقضى باسترداد كل الأجور التى حصل عليها نتيجة عمله ، بالإضافة إلى الغرامات الأخرى . . وليس ذلك طبعاً هو الذى يخيف أصحاب الأعمال ، وإنما الذى يخيفهم هو الجانب الآخر من العقوبات التى توقع أيضاً على كل صاحب عمل يستخدم عمالا لا يحملون تصاريح عمل . . وإذا كان القانون الإنجليزى يكتفى بـ « طرد » الطالب المصرى من إنجلترا ووضع إسمه فى القائمة السوداء وعدم السماح له بدخول إنجلترا مرة أخرى بعد ذلك ، فإن هذا القانون نفسه يقضى بـ « سجن » أصحاب الأعمال . . وطبعاً أصحاب الأعمال ليس لديهم الإستعداد لأن يدخلوا السجن من أجل سواد عيون الطلبة المصريين الذين لا يحملون تصاريح عمل . .

● ومع ذلك ، فإن القانون الإنجليزى يغمض عيناً واحدة ويدير وجهه قليلا إلى الناحية الأخرى فى أثناء الموسم السياحى . . لأنه يعلم تماماً أن إنجلترا فى حاجة فعلا إلى عدد كبير من الأيدى العاملة خلال

الموسم . . لذا فهو « يطنش » إلى حد ما ويسمح بالعمل للأيدى العاملة التى تعمل بدون تصاريح عمل ، على شرط أن يكون ذلك من وراء ظهره .. يعنى على أن يتصرف الطلبة المصريون فى لندن طول الوقت أمام الجهات الرسمية كأنهم سياح فى إجازة . . وهذه النقطة سيأتى شرحها بشكل مفسر جداً فى فصل قادم . .

● ومن هنا فإن أصحاب الأعمال لا يرفضون تشغيل « عدد من المصريين » خلال الموسم السياحى الإنجليزى ، لكن ذلك يكون على مسئولية أصحاب الأعمال أنفسهم . وفى مقابل ذلك فإنهم يحددون لهم الأجر الذى يريدونه هم وليس الذى يحدده القانون . . ليس ذلك فقط ، إنما أيضاً إذا كانوا يعملون فى مكان كبير — فندق كبير ومحترم مثلا — فإن رؤساءهم المباشرين يسرقون من مرتبات المصريين لحساب أنفسهم . . كما حدث أكثر من مرة مع « سوسن » ومع « سناء » ومع « منى » ومعى أنا شخصياً ، حين كان كل منا يفاجأ — مرة أو أكثر — بأن مرتبه الأسبوعى ناقص عن المفروض ، فإذا اشتكى قيل له إن ذلك قد حدث خطأ ، وأن هذا الخطأ ما دام قد سجل فى دفاتر الأجور فإنه لا يمكن تصحيحه إلا إذا تقدم العامل بشكوى إلى مكتب العمل . . وطبعاً الطالب المصرى الذى لا يحمل تصريحاً بالعمل لا يجرؤ على أن « يهوّب » ناحية الشارع الذى يقع فيه مكتب العمل وإلا فقشوه ورحلوه . . لذا فهو يسكت مضطراً . . وليس مصادفة أن تحدث كل حالات الـ « خطأ » هذه فى مكان عمل واحد . . وليس مصادفة أن تكون « حالات الخطأ » هذه قد حدثت مع أغلب المصريين الذين يعملون بدون تصاريح فى لندن ، إبتداء من الذين يعملون فى « شيراتون لندن » إلى الذين يعملون فى حانات وبارات « بيكرستريت » و« إدچواررود » . .

ومع

كل

ذلك فإن أصحاب الأعمال الإنجليز لا يقبلون تشغيل المصريين إلا إذا لم يجدوا أمامهم غيرهم . وإذا شغلوهم فهم يرفدونهم على الفور ويستغنون عن خدماتهم إذا جاءهم أى طالب عمل من جنسية أخرى : هندى أو باكستانى أو فلبينى . . فى الفندق الذى أعمل فيه : « سنتر إيربورت هوتيل » . رفدوا من الكافيتيريا «بيسة» و «سوسن» و «سناء» و «سمير» و «أمين» لكى يعينوا مكانهم بنات أيرلنديات . ثم عادت مديرة الكافيتيريا فاستبقت « سوسن » و « سناء » فقط حين لم يحضر عدد كاف من البنات الأيرلنديات لتسلم العمل . . وفى الوقت نفسه حين قبض البوليس الإنجليزى ذات ليلة على « ووشر » الهندى — غسال الأطباق — لم تجد مديرة الكافيتيريا أمامها من يقبل عمله غير الطالبة المصرية « بيسة » . فوافقت عليها على مضض . ثم ما لبثت أن رفدتها مرة أخرى بعد ثلاثة أيام عمل فقط حين جاء شاب هندى آخر ليغسل الأطباق . .

لماذا

لا يحب

أصحاب الأعمال الإنجليز الطلبة المصريين ؟ ! .

لأربعة أسباب رئيسية . . أولها : أن الإنجليز بشكل عام لا يحبون المصريين بشكل عام أيضاً . . ليه ؟ ما اعرفشى . . فهذه تحتاج إلى دراسة فى نفسية الشعب الإنجليزى لا أنا قادر عليها الآن ولا هذا المجال مجالها . .

ثانياً : أن صاحب العمل الإنجليزى إذا دفع لك بنساً واحداً مرتباً فهو يتوقع أن يأخذ منك فى مقابله عملا يساوى ١٠ بنسات . . فى الوقت الذى مهما أعطيت فيه المصرى من أجر فهو لا يريد أن يعمل . ويردد

دائماً القول الذى اعتاد أن يقوله فى مصر : « على قد فلوسهم » ! ! .. برغم أنه مهما قل شأنه أو أجره هنا فهو يتقاضى أجراً لن يصل إليه فى مصر كموظف حكومى حتى يصل إلى سن المعاش بإذن الله . .

والسبب الثالث والرئيسى هو أنه — بناء على السبب الثانى — فإن المصريين هنا . والحق يقال . هم أسوأ الناس الذين يعملون فى لندن سمعة من ناحية العمل : مهملين ومستهترين . وواخدين المسألة هزار وتهريج كأنها رحلة مدرسية أو جامعية . وأحياناً فتاكة وتشبيح . . طبعاً هناك نماذج ممتازة جداً ومشرفة جداً . لكننى أتكلم عن الغالبية العظمى من المصريين الموجودين فى لندن . وقد شاهدت بنفسي ورأيت عدداً منهم كان قريباً منى . وسمعت عن عدد آخر أسعدنى الحظ بأننى لم أتشرف بمعرفتهم ولا بلقائهم . وسمعت من القنصل المصرى « مصطفى كمال عبد الفتاح » ومن السفير « كمال الدين رفعت » عن نماذج مصرية مثيرة للأسى وللأسف فعلا . مثل حادثة ذلك « الطالب » المصرى الذى سرق خزينة المحل الذى يعمل فيه فى ميدان البيكاديللى . وهرب ، فكانت نتيجة ذلك أن أصحاب الأعمال فى منطقة البيكاديللى كلها فصلوا كل المصريين الذين يعملون عندهم فى اليوم التالى !!.

السبب

الرابع

والأخير — على الأقل على قدر علمى ، وأرجو أن يكون الأخير فعلا — هو الجهل الفاضح باللغة الإنجليزية عند معظم الطلبة المصريين القادمين إلى بلاد الإنجليز ليعملوا فيها .. أمثال « عليوة » و « ممدوح » و« إسراء » ، وغيرهم كثيرون ، الذين لا يعرفون كلمة إنجليزية واحدة ويريدون مرافقاً أو مترجماً لهم فى كل خطواتهم لكى يتكلم بالنيابة عنهم ويكون الناطق بلسانهم . . والذى لم أستطع أن أفهمه حقيقة : هؤلاء

الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية جايين لندن يبيء إيه ؟ ! . . والذى أتصوره أنه ينبغى بدلا من « الدراسات الترشيدية » هذه التى تكون عبارة عن محاضرة واحدة يتيمة يحضرها الطلبة من باب سد الخانة وتحصيل الحاصل فقط لكى يستطيعوا بعدها الحصول على الموافقة على استخراج جوازات السفر لهم . ينبغى أن تكون هناك دورة أخرى جادة تضمن فى نهايتها حداً أدنى من المعلومات العامة والقدرة على التفاهم باللغة الإنجليزية .. فإذا كان طالب الجامعة يمتحن فى ١٢ أو ١٥ مادة — وأحياناً أكثر — لكى ينتقل من سنة دراسية إلى سنة أعلى وهو بداخل كليته الجامعية لن يبتعد عنها خطوة واحدة ؛ فإن من حق البلد عليه أن تمتحنه فى مادة واحدة فقط إذا أراد أن يسافر ليكون جزءاً من صورة مصر فى الخارج وسفيراً شعبياً لها . . لكن أن يكون سفيراً خيبان بالشكل اللى يفضح هكذا . فذلك شىء غير معقول وغير منطقى طبعاً .. الواحد أو الواحدة منهم لا يعرف حتى مجرد الجمل البسيطة باللغة الإنجليزية التى يقول بها أنه يبحث عن عمل أو أنه يريد أن يعمل ، فكيف يشتغل أصلا ؟ لا يعرف كيف يطلب لنفسه كوب ماء . فإذا سأل عن عنوان فهو يحمل ورقة فى يده بها العنوان الذى يريده ويقدمها إلى المارة أو إلى عسكرى البوليس الإنجليزى ويقف أمامهم كالأبكم الأخرس الذى لا ينطق ، فإذا شرحوا له ما يريد — بإنجليزيتهم — فهو لن يفهم شيئاً بطبيعة الحال . . وحتى الذين يعرفون قدراً قليلا جداً من اللغة الإنجليزية فهم ينطقونها خطأ لدرجة أنهم لا يعرفون كيف ينطقون أسماء الشوارع بشكل صحيح رغم أن أغلبهم طلبة فى السنوات النهائية بالجامعات — وهذا هو الكلام الذى كتبته قبل ذلك مراراً عن انهيار مستوى تعليم اللغات الأجنبية فى مدارسنا — مثل طالب كلية التجارة الذى ينطق اسم منطقة «ماربل آرش» فينطقها «مارجل آرش» حتى دون أن يفكر فى معناها . . وطالب التجارة أيضاً الذى حكيت له — وأنا أدعى أننى أقرأ ذلك فى صحيفة الـ « دايلى تلجراف » أمامه — أنه حدث فى الأمم المتحدة خلاف بين

الإنجليز والبريطانيين . وأن « المملكة المتحدة » تحاول التوسط بين الفريقين لإنهاء الخلاف . في الوقت الذي هددت فيه « إنجلترا » بالإنسحاب من الأمم المتحدة إذا لم ينته هذا الخلاف فوراً ! ! . وصدقني اليه المتعلم الذي سوف يتخرج بعد سنتين محاسباً من كلية التجارة . وبعد ١٠ ــ ١٥ سنة سوف يصبح رئيساً لمجلس إدارة شركة من الشركات .. وعليه العوض ومنه العوض !.

العريب
أن

الصحافة المصرية وأجهزة الإعلام عندنا تساهم إلى حد ما بجزء من الجهل الذي ينعم به شبابنا المسافرون إلى الخارج . حين تنشر وتذيع الأسماء الأجنبية محرفة تحريفاً مشوهاً لا معنى له ولا مبرر . .

لماذا حين نكتب باللغة العربية أو ننطق بها نقول «سنغافورة» وإسمها الأصلي « سنجابور » ؟ لماذا نكتب وننطق « يوغوسلافيا » وإسمها الأصلي « يوجوسلافيا » ؟ لماذا نكتب ونقول « اسكوتلاندا » أو « هولاندا » أو « أيرلندا » أو « فنلندا » أو « بريطانيا » ؟ ! ونضيف إلى كل إسم في نهايته حرف «ا» زيادة من عندنا بدون مناسبة ؟! . لماذا نقول «نيقوسيا» ونقول «قبرص» ونحن نعلم جيداً أنه ليس في اللغات الأوروبية حرف الـ « ق » وأن أسماءها الأوروبية بلغتها هي « نيكوسيا » و « سيبروس » ؟ . . لمـــاذا نقول إنجلترا والمجر وهما « إنجلند » و « هنجــــاري » . . لماذا نقول الملك « قسطنطين » والأسقف « نيقولا » وهما إسماهما « كونستنتين » و « نيكولا » ؟! .. لماذا عند النشر في الصحف المصرية أو العربية وعند الإذاعة في الراديو والتليفزيون ، نلخبط الأسماء ونحرفها بدون مناسبة وبدون سبب . ويذهب الطالب المصرى إلى أوروبا فينطق هذه الأسماء بالطريقة التي قرأها بها في الصحف المصرية وسمعها بها من راديو وتليفزيون مصر . فيضحك علينا الناس الأوروبيين كما نضحك نحن

على القرويين السذج البسطاء حين يتعوج لسانهم فينطقون (الفلتزيون) و(البوتوجاز) و(الكاكولا) .. لماذا لا نكتب الأسماء الأجنبية وننطقها بشكلها الصحيح كما ينطقها كل الناس في أوروبا - وليس هناك سبب واحد يدعونا لأن نكتبها وننطقها بهذه الطريقة المضحكة التي لا معنى لها ؟!..

لكن :

هل

ذلك معناه أن سفر الطلبة المصريين للعمل في لندن خلال الصيف كله أضرار وسيئات ومشاكل ومتاعب ، أو أن له أيضاً مزايا وفوائد ؟! .

وكما أن لكل تجربة في الدنيا مزاياها وحسناتها : وأضرارها وسوءاتها : فإن ذلك ينطبق أيضاً على تجربة سفر الطلبة المصريين إلى لندن .. ولنبدأ بالمزايا :

قطعاً الخروج في حد ذاته مفيد . . الإتصال بشباب الدول الأخرى والانفتاح على عوالم أخرى كانت مجهولة لهم .. ومشاهدة المعالم والأشياء والأماكن التي كانوا يسمعون عنها في الصحف ويشاهدون صورها في المجلات وفي التليفزيون.. أن يتاح للشاب وللفتاة فرصة أن يعبر البحر - وحيداً - ليلقى بنفسه في خضم بلد آخر ، معتمداً على نفسه وحده وعلى مجهوده وحده : بدون كرت توصية وبدون تليفونات وساطة و بدون «أونكل يسلم عليك ويقول لك».. فذلك كله في حد ذاته شيء كبير ..ومهما ذهب الشاب ماحياً وضعيفاً في اللغة الإنجليزية فسيعود من لندن قطعاً بحصيلة لا بأس بها من القدرة — ولو البسيطة — على التفاهم بها .. صحيح سيتكلمها بطريقة ترجمانات الهرم وأبو الهول : لكنها على أي حال «خطوة لقدام» ممكن مع التنمية ومع الصقل ومع ازدياد الخبرة والإحتكاك والممارسة في رحلات أخرى لاحقة أن يتمكن من لغة أجنبية واحدة على الأقل . .

أن يكسب الشاب أو الفتاة بعرق جبينيهما وبساعديهما فى بلد لا يعطي البنس إلا إذا أخذ فى مقابله عملا يساوى ١٠ بنسات ، واللى يبلطج أو يصيهين أو يتدلع يتفضل فوراً مع السلامة . . أن يعود الشاب أو الفتاة — فى أضعف الإيمان — وفى جيب كل منهما قدر من العملة الصعبة يدخل به مصر وينفقه على نفسه فى خلال فترة دراسته . فذلك شيء لا بأس به . . أن يعود الشاب أو الفتاة وفى حقائبهما كمية من الملابس الشيك لنفسه ولأسرته من عرقه ومن مجهوده . يلبسها فى وسط أصدقائه فيبدو بينهم « أكثر بياضاً » وأكثر أناقة وأحسن مظهراً . فذلك شيء لا بأس به . . أن تستريح النواصى والشوارع فى مصر من ٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠ ألف شاب مصرى يسافرون كل سنة إلى الخارج ، فتختفى من المدن الكبيرة فى مصر مظاهر التسكع والصعلكة والتلطع فى بلد لا يعرف شبابه ماذا يفعلون وأين يذهبون فى أجازات الجامعات والمدارس . فذلك شيء لا بأس به . . أن يخرج فيرى ويشاهد وينطبع ويتأثر ويكتسب أشياء جديدة . فذلك فى حد ذاته شيء لا بأس به . . أن يعود الأولاد المصريون من الخارج — الشبان بالذات — وقد انكسرت نفسهم قليلا بعد أن جربوا ذل الخدمة . ذل أن يخدموا الآخرين بعد أن كان الآخرون يخدمونهم فى بيوتهم فى مصر . . الشاب من هؤلاء يكون فى بيته وعلى أسرته وإخوته — خصوصاً على البنات — يتدلل ويتدلع ويتبغدد ويتمايص وعايز ده ومش عايز ده . . ثم يجد نفسه هنا فى لندن مضطراً لأن يحنى رأسه لكل الناس ويتحمل قلة أدب كل الناس ومد أيدى « بعض » الناس — ده بالنسبة للبنات بس طبعاً (! !) . . . . ورأسه ستات أو رجال يتعاملون معه بقلة أدب وغطرسة وجليطة وسفالة وغلاسة . . ويمسح الأرض أمام الناس أو من وراء الناس . . ويغسل الأطباق ويفرغ الزبالة وينظف دورات المياه وألف شغلة وشغلة كلها أعمال مهينة ومذلة لا يقبل الإنجليز على أنفسهم أن يعملوها لذا يتركونها

للأجانب ، أما باقى الأعمال الأخرى — الأكثر احتراماً — فغير مسموح للأجانب أن يحوموا ناحيتها إلا بعد ٤ سنوات كاملة يقضونها فى لندن بشكل منتظم — وبتصريح عمل — بحيث لا يتغيبون عن إنجلترا أكثر من شهر واحد فى السنة كإجازة . . أن يعود الشاب من لندن وقد صار أكثر تواضعاً وأكثر واقعية . فذلك فى حد ذاته شىء لا بأس به . .

أما الذى

« يئس »

به فعلا فهو أن يذهب الطلبة المصريون إلى أوروبا ويعودوا منها أسوأ مما ذهبوا إليها . . أن يكتسبوا عيوباً جديدة فوق عيوبهم القديمة . . أن ينقلوا معهم إلى مصر أسوأ ما يمكن أن يروه فى أوروبا . . أن يذهبوا وهم مجرد متسكعين متصعلكين ويعودوا وهم أيضاً « منحلين » . . كل ما جد عليهم شعر طويل كفرشة المسح أو مكنسة السقف ، ولبانة فى الفم وبنطلونات ممزقة حمراء أو شارلستون فضفاضة مهرولة وأحذية ذات كعب عالى كأحذية النساء ، وفجور وتحلل وتقليد أعمى لحياة الشبان الهيبيز الذين يرفضون أوروبا وترفضهم أوروبا . . لم يكن لدى أى واحد من الذين سافروا معى أو الذين قابلتهم هنا — صبياناً أو بنات — أى فكرة موضوعية وراء سفره إلى أوروبا . . ليس فى تخطيطه أو مشروعاته أن يرى شيئاً جديداً أو أن يتعلم شيئاً جديداً أو أن يستوعب شيئاً جديداً أو يتعلم لغة جديدة أو حتى يضيف إلى معلوماته فى اللغة الإنجليزية — القليلة جداً أصلاً — أى جديد . . وإنما هو يذهب إلى لندن ويعود كما ذهب . . كل ما يزيد عليه شوية اصطلاحات تعلمها من المطبخ أو التقطها من الشارع يستعرضها فى كلامه بين حين وآخر . . اصطلاحات لا تودى ولا تجيب وغالباً ينطقها خطأ . . لم أسمع أحداً منهم ينطق إسم شارع « هاى ستريت كنزنجتون » صح حتى الآن ، وبعضهم يعمل

ويسكن فى نفس الشارع ؛ وبعضهم له فى لندن سنتان الآن — أو لعلهم سوف يعرفون كيف ينطقونها الآن بعد أن يروها أمامهم فى هذا الكتاب مكتوبة بالعربى ، ويذاكروها جيداً ، أقول « لعلهم » — .. كل ما يشغلهم وكل ما فى أذهانهم هى الفلوس الإنجليزى التى سيقبضونها والأشياء الآخر موضة التى سيشترونها لأهاليهم ولصديقاتهم فى مصر عند عودتهم .. كل ما يشغلهم هو كيف يتعرفون بالبنات — أو بالشبان !! — الإنجليز فى لندن وإمكانيات « الشقاوة » معهن أو معهم .. كل ما يشغلهم هو كتابة عشرات الخطابات إلى الأهل والأصدقاء والمعارف والجيران وأصدقاء الأصدقاء ومعارف المعارف وجيران الجيران والناس اللى ماشيين فى الشوارع فى القاهرة . لكى يعرف من لم يكن يعرف أن فلان إبن فلان مستقر فى بلاد الإنجليز والحمد لله وأن الأشيا معدن وكل شىء على ما يرام وسلامنا ألف ألف سلام إلى فلان وفلان وفلان وكل من عندنا يهديكم أزكى السلام . وقد زرنا ميدان البيكاديللى ورأينا الحمام القطاع العام الذى تملكه الحكومة الإنجليزية حراً طليقاً لا يمسك به أحد ولا يصطاده أحد .. وبالمناسبة نحن نأكل الآن كل يوم حمام نطبخه فى البيت . والسلام ختام ليس بيننا ختام ! ! ..

أن

تعود

البنت المصرية من لندن وكل ما زاد عليها أن فساتينها قد ازدادت قصراً ؛ ويضع كلمات بإنجليزية سقيمة ركيكة ترددها فى كل مناسبة وبدون مناسبة ، فقط لكى يعلم من لم يكن يعلم أن « المزميل » كانت فى أوروبا . . أن تعود وقد ازدادت عطرسة وكبرياء وتأففاً من كل ما حولها هنا ، ولا يعود يعجبها العجب ولا الصيام فى نوفمبر ، وتتصرف كما لو كانت قد ولدت و « نشأت وترعرعت » وعاشت طول عمرها فى أوروبا

ثم جاءت إلى مصر فصدمت بكل ما تراه هنا !! .. أن تعود الفتاة المصرية من لندن وكل ما اكتسبته من خبرة جديدة هو ما رأته من الحرية الخطيرة التى تتمتع بها الفتاة الأوروبية فى حياتها الشخصية وإمكانياتها الكاملة فى « التصرف فى نفسها » . فيصبح كل هم الفتاة المصرية بعد عودتها إلى مصر — كما كان همها وهى هنا فى لندن — هو أن تتشبه بالفتاة الأوروبية فى ذلك . فتجرى وراء كل مغامرة بطريقة « كانت فى جرة وخرجت لبرة » . فتنتقل من شاب إلى شاب إلى ثالث إلى رابع وكله محصل بعضه . وأهى شوية شقاوات تنفع كذكريات وقت اللزوم .. أو يرتبطن هنا بعلاقات قطعاً لا يستطعن الارتباط بها فى مصر وإلا تعرضن للرجم . خصوصاً — والخطورة هنا أشد — بنات العائلات المتوسطة بتقاليدها المحافظة اللاتى يعانين بحكم ظروفهن من الكبت الشديد فى مصر ، ويأتين إلى هنا ليجدن العكس تماماً : الإنطلاق الشديد . فينطلقن و . . . . ينطلقن برضه . واللى يعرف خالى بروح يقول له ! ! . .

وتنتقل

وقفة

النواصى من ناصيتى أمريكين عماد الدين وسليمان باشا والتطلع على أبواب السينمات ساعة الدخول وساعة الخروج لمعاكسة البنات ، تنتقل هذه الوقفة إلى نواصى أحياء « إيرلزكورت » و « كوينزواى » .. ويجىء البوليس الإنجليزى النشيط كل ليلة إلى شوارع « إيرلزكورت » ليجمع الشبان المصريين الواقفين على النواصى يعاكسون البنات الإنجليزيات ويشدونهن من أذرعهن ومن سائرات فى الشوارع .. البنت الأجنبية عموماً والإنجليزية خصوصاً ، لا « تصادق » شاباً إلا بكامل رضاها واختيارها ، وهى ليست صيداً سهلا كما يتوقع أو كما يظن الشاب المصرى

الشرقاني الذي جاء إلى هنا ليغزو لندن وقلوب بنات لندن ، ويتوقع أن يرتمين في أحضانه بمجرد أن يعرفن أنه مصري : « أوه . . إيجيبشيان ؟ باى » ، ويروحوا طايبين في غرامه على طول !! ..

والمقهى الذي يطلق عليه هنا : « قهوة المصريين » في حي (كوينزواي) .. الضحك والكركعة والطرقعة والنكت والقفشات الطائرة هنا وهناك والصوت العالي إللي يجيب آخر الدنيا . . حتى الطاولة أحضروها معهم إلى لندن !! . .

وتشيع عن المصريين سمعة أخرى معينة : ذهبت مع الطالب المصري « سميح » لأزور بيت الشباب في حي (هاى ستريت كنزنجتون) الذي ينزل فيه شبان وشابات من كل جنسيات العالم . . . البيت عبارة عن مجموعة عنابر كبيرة ذات فناء واسع جداً ، كأنه كان سجناً أو ثكنة من ثكنات الجيش ؛ مبني بالطوب الأحمر على الطراز الإنجليزي ذي السقف المخروطي .. السرير فيه بـ ١٢٠ بنساً الليلة الواحدة .. الطلبة المصريون يستأجرون غرفة فيها ٤ سرائر وينامون فيها ١٥ فرداً : ٨ على السرائر و ٧ على الأرض ــ طبعاً من وراء ظهر المسئولين عن بيت الشباب ــ والذين يطلقون على غرفة المصريين إسم : « المقبرة » ، لأنك وأنت على باب البيت تستطيع أن « تستدل » على مكان غرفة المصريين من : رائحتها . . غير العطرة طبعاً !! ..

ولم تكن هذه حالة شاذة قطعاً : ففي نفس المكان الذي أعمل فيه تعمل فتاة مصرية طالبة جامعية ، تعمل ورديتين : ١٦ ساعة متواصلة في اليوم الواحد ، كجرسونة وخادمة غرف ، من ٣ بعد الظهر إلى ٧ صباح اليوم التالي . ومن فرط التعب تنام بـ «مريلة الشغل» لا تخلعها ، ولا تستحم ــ إذا حصل يعني ــ إلا في يوم عطلتها الأسبوعية . . وبرغم أن عملها هو تنظيف غرف الفندق وترتيب السرائر فيها ، فإن سريرها الشخصي في غرفتها لم ترتبه مرة واحدة طيلة الشهور الثلاثة التي قضتها تعمل في الفندق ! ! . .

وهذه أيضاً عينة من البنات اللاتى جئن إلى لندن فوجدن العمل متاحاً وفرصة العمل واردتين فى مكان واحد ، أو فى مكانين . موجودة ، فأصبحن يعملن كالماكينات ١٦ ساعة متصلة فى اليوم لكى يقبضن أكبر قدر من الفلوس . وبذا انتفى أصلا الغرض من خروجهن إلى أوروبا للزيارة والمشاهدة واكتساب معرفة جديدة وخبرة جديدة . ليصبحن « جامعات فلوس » فقط قادمات إلى لندن للتحصيل !! ..

وفى

هذا

المناخ « التحصيلى » والنفسى يستطيع عملاء إسرائيل أن يتدخلوا ليلتقطوا عينات ونوعيات من الطلبة المصريين لتجنيدهم . أو على الأقل لإغرائهم ببيع جوازات سفرهم ، كما سأشرح فى فصل قادم .. ويكون أى طالب مصرى معرضاً لمثل الموقف الذى تعرض له «على عبد العزيز» الطالب فى تجارة أسيوط : كان واقفاً عند مدخل محطة المترو « أندرجراوند » فى (إيرلزكورت) حين أقبل عليه واحد يتكلم اللغةالعربية بلكنة أجنبية قليلا . ليكلمه مدعياً أنه يعرفه : « إزيك يا راجل ؟ إزى صحتك ؟ أمال فين صلاح ؟ » . . فلما قال له « على» مندهشاً إنه لا يعرف أحداً إسمه « صلاح » ولايعرفه هو شخصياً . قال له صاحبنا ما معناه أنه يخلق من الشبه أربعين ، ثم يواصل كلامه معه ليقول له إنه كان يعيش فى الإسكندرية ويعمل مدلكاً فى أنديتها الرياضية . . فيسأله « على » عن أسماء لاعبين معينين صادف أنه يعرفهم فى أندية الإسكندرية ، فلم يعرفهم صديقنا الذريب ، ومع ذلك فقد أصر على أن يدعو « على » للعشاء معه والإقامة عنده ، ووعده بأن يجد له عملا حين عرف منه أنه لم يجد عملا بعد !! .. وحين حكى لنا « على » هذه القصة نصحناه جميعاً بألا يذهب خوفاً من أن يقع فى براثن عملاء إسرائيل بصورة أو بأخرى ! .

في

ختام

هذا العرض لفرص العمل المتاحة للمصريين في لندن : طلبة وطالبات ، والصورة الغالبة الواضحة عن شكل الطلبة المصريين هنا . . أحب أن أضيف فقرتين أخيرتين : الفقرة الأولى أن البنت المصرية تستطيع بسهولة جداً وفي أي وقت الحصول على عمل في لندن دون حاجة إلى أن تذهب عن طريق المكاتب « إياها » في القاهرة التي تتقاضى ٥٠ جنيهاً وأحياناً أكثر . . البنت المصرية تستطيع أن تعمل — حتى لو لم تكن تحمل تصريح عمل — بعد ربع ساعة من وصولها إلى لندن ، وتستطيع أن تعمل في وظيفتين في اليوم الواحد لو اتسع وقتها ولو احتملت صحتها . .

أما الولد المصري — بعد الظروف التي شرحتها — فإن فرصته في العمل في لندن ضيقة جداً . والشاب المصري الذي يجد عملا هنا — بدون تصريح عمل — يكون مسعداً ومحظوظاً وأمه داعية له . فالإنجليز يرحبون جدا بالأيدي العاملة من الفتيات ، من الناحية الجمالية فقط لا غير . ودون النظر إليها كأنثى كما قد يتبادر إلى الذهن . . لكن على العموم فإنه من الأفضل جداً أن تذهب الفتاة ويذهب الشاب إلى لندن وهما مسلحان بتصاريح عمل من وزارة العمل البريطانية . حتى لا يتهددهما انكشاف أمرهما أمام البوليس الإنجليزي في أي لحظة . .

إذن فتصريح العمل في إنجلترا لازم لازم لازم وضروري ضروري ضروري ولابد أن تكون عندنا في مصر جهة ما ، حكومية ، مختصة باستخراج تصاريح العمل لشبابنا من إنجلترا بشكل رسمي وقانوني . . إدارة حكومية لا مجال فيها للتعصب وليست من عينة « ذلك المكتب إياه » . . قد يكون فيها كأي إدارة حكومية — ورحم الله إمرىء عرف قدر نفسه — مجال الوساطة ، وفي أسوأ الظروف قد يكون فيها مجال للإكراميات والمجاملات والمحسوبيات بل

والرشاوى أيضاً . لكن الطالب أو الطالبة سوف يخرجان من مصر عن طريقهما وفي أيديهما تصاريح عمل حقيقية من الحكومة الإنجليزية، وليست تصاريح عمل وهمية مثل تلك التي يقدمها مكتب « الدكتور » إياه ! ! . .

ويجب أيضاً أن تنظم هذه العملية بحيث لا يخرج إلا عدد قليل نسبياً من الطلبة والطالبات المصريين لا يزيد على ٥٠٠٠ طالب وطالبة مثلا . . لكن أن نترك كل هذه الأعداد المهولة من الطلبة المصريين تزحم الدنيا هنا بهذه الصورة بدون مناسبة وبدون تخطيط . فذلك خطأ كبير جداً طبعاً ينبغي تلافيه وإيقافه على الفور . .

الفقرة

الثانية

التي أحب أن أضيفها هي أن السفارة الإنجليزية في القاهرة تدقق جداً في دخول الطلبة المصريين إلى إنجلترا . وتفحصهم بدقة واحداً واحداً وتعقد لهم ما يشبه الإختبار الشخصي . حين يجتمع مسئول في السفارة بكل طالب على حدة . وبعد هذه المقابلة قد يعطيه التأشيرة وقد لا يعطيه إذا لم يعجبه شكله . . وقد يعطيه التأشيرة لشهر كامل وقد يعطيها له لأسبوع واحد فقط لا غير .

فإذا كانت سفارة إنجلترا في مصر تفعل ذلك وإنجلترا . يمين أو شمال ، مستفيدة قطعاً من المصريين الذاهبين إليها لينفقوا فيها نقودهم من العملة الصعبة التي تحتاجها إنجلترا . .وبرغم ذلك كله يفلت من هذه المصفاة الدقيقة بعض « الشوائب » المصرية : أفلم يكن من المفروض أن تفعل الدولة عندنا شيئاً مماثلا حرصاً على سمعة مصر وسمعة المصريين في البلاد الأوروبية ، حيث يكفي أن يرتكب مصري خطأ ما لكي يصبح « المصريون » عموماً شكلهم وحش جداً أمام الإنجليز ؟ . . أفلم يكن من المفروض أن تقوم جهة ما - قبل السماح بالجوازات - بغربلة

كل هذا العدد المهول من الطلبة المصريين .. وإذا كنا صرحاء وجادين فى معالجة هذه المشكلة حرصاً على إسم مصر وسمعة مصر ، خصوصاً فى الظروف الحالية — فلنقل إذن بصراحة : : غربلة « الفاشلين » المصريين والـ « صُيَّعْ » المصريين . المتقدمين للسفر إلى أوروبا لكي ينصبوا هناك ويسرقوا هناك ويبلطجوا هناك . ويعملوا فتوات وفبضايات هناك . خصوصاً على المصريين اللى زيهم . فيسيئوا إلى سمعتنا هناك واحنا مش ناقصين . ويمرمطوا إسمنا ويمرمغوا سمعتنا على تراب لندن وغير لندن مثل العواصم الأوروبية !!

ينبغى ألا يسمح بتقدم أى طالب أو أى شخص غير معلوم العمل أو الوظيفة لإدارة الجوازات طالباً تأشيرة خروج أوجواز سفر . إلا إذا كان يحمل موافقة جهة ماقبل ذلك . ثم تعقد له مقابلة شخصية ولو لعشر دقائق فقط . وهى ليست مدة كبيرة ، يفحص فيها بدقة جداً ، فإذا لم « يسترح » الموظف الذى يقابله إلى شخصيته — وهم يظهرون على الفور من شكلهم وحركاتهم وطريقتهم فى الكلام وفى التعامل — رفض أن يعطيه التوصية المطلوبة إلى إدارة الجوازات . . أما إذا أعطاها له فيذهب إلى إدارة الجوازات ليحصل على تأشيرة الخروج على الفور . .

وهذا الكلام الذى أقوله ينطبق على الشبان وينطبق على البنات أيضاً . . فبعض البنات المصريات اللاتى قابلتهن هنا أخطأن الطريق وجئن إلى لندن وكان المفروض أن يذهبن إلى بيروت . والحدق يفهم ! ! !

(١١)

□ حكاية الغرفة رقم ١١٨ . ! □

هذه

هي

المرة السادسة التي أزور فيها لندن ، لكنها تبدو لي وكأنها المرة الأولى التي « أراها » فيها على حقيقتها . . أرى لندن من القاع . . . كنت في المرات السابقة أنزل ضيفاً معززاً مكرماً في غرفة محجوزة لي مقدماً في أرقى الفنادق . ولا أحمل هم أي شيء على الإطلاق : أكلي في مطعم الفندق أو في دعوات للغداء أو العشاء أو السهر . . غسيلي أتركه في غرفتي في الفندق عند خروجي في الصباح وأعود فأجده مغسولا ومكويًا دون أن أحاول أن أتعب نفسي في معرفة كيف غسل ولا كيف تم كيه . . مواصلاتي ميسرة ومرتبة ، ولم أركب المترو الـ « أندرجراوند » من قبل إلا لمجرد مشاهدته ، حتى خريطته لم أرها إلا هذه المرة حين أصبحت زبوناً مستديماً له .. ولم أركب أوتوبيسات لندن لا الخضراء ولا الحمراء إلا هذه المرة .. هذه المرة كانت تبدو لي وكأنها المرة الأولى : دخت في « الأنبوبة » وضاعت فلوسي في المواصلات — « الأنبوبة » هي الـ « أندرجراوند » كما يسميه الإنجليز تدليلا — واحتست بغسيلي حتى تشرفت بالتعرف إلى ماكينة غسيل الملابس وتجفيفها أوتوماتيكيًا ، وما زلت محتاساً بمكوتي لولا أن — الله يخليه — « أمين القصاص » يتكرم بأخذها كل أسبوع ليكويها عنده في البيت إشفاقاً منه على عدم خبرتي بالأعمال المنزلية التي يجيدها هو . . . ست بيت هايل « أمين » ده ! ! . . الأكل أيضاً

الذى لم أكن أحمل همه من قبل . . الآن تعودت أن أنزل إلى الـ (سوبرماركت) مرة كل أسبوع لأشترى احتياجاتى من العلب المحفوظة ، وتعلمت ألا أشترى من محلات الهنود أو الباكستانيين لأنهم أغلى ولأنهم يغالطون فى الحساب . . وكلما كان المحل الذى أشترى منه كبيراً كان أضمن وأرخص . . تعلمت أشياء كثيرة كان ينبغى أن أبدأ بها لا أن أنتهى بها . لكن يبدو أن الإنسان كلما كبر عمره احتاج إلى أن يعوض التجارب التى فاتته أو التى كان يجب أن يمر بها وهو صغير ولم يفعل لسبب أو لآخر . . اليوم نجد حولى بنات مصريات فى الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من عمرهن وحدهن فى لندن ، وصبيان مصريين فى السادسة عشرة وفى الخامسة عشرة ، وأنا لم أمر بتجربة السفر إلى الإسكندرية وحدى إلا وأنا فى العشرين بعد أن تخرجت وأنهيت دراستى . وذهب وفد من الأسرة ليوصلنى إلى محطة السكة الحديد كأنى مسافر إلى الحج ، ولولا الملامة كانوا وصوا على سواق القطار . . ويوم نقلت وأنا موظف إلى أسوان بعد ١٠ شهور من تعيينى ، خبطت أمى على صدرها وبكت وناحت وقالت من بين دموعها : « يا حبيبى يا ابنى ، حا تعمل إزاى لوحدك فى « الغربة » دى ؟ » . . كانت أسوان « غربة » بالنسبة لجيلى والإسكندرية مشواراً كبيراً . أما الآن فلندن خطوتين وفركة كعب بالنسبة لجيل السبعينات ، وربما يستمر فى جيل الثمانينات والتسعينات . . . قطعاً حا يروحوا القمر « خميس وجمعة » ! !

مدة

إقامة

صديقتنا « سوسن » فى لندن أوشكت أن تنتهى . . . عند دخولها لندن حصلت فى المطار على تأشيرة تسمح لها بالبقاء فى إنجلترا لمدة شهر واحد . . والمفروض أن تذهب قبل أن تنتهى هذه المدة إلى الـ « هوم أوفس

Home Office » — وهو ما يشبه إدارة الجوازات عندنا في مصر — لتطلب مد المدة أو تجديدها لفترة أخرى .. قامت « سوسن » بما يشبه « الإكتتاب » . . جمعت من كل الأصدقاء المحيطين بها كل ما معهم من نقود إنجليزية لكي تذهب الى الـ « هوم أوفس » ومعها مبلغ معقول .. أعطيتها ٣٥ جنيهاً كانت هي كل ما معي في ذلك الوقت . . وفي مساء اليوم نفسه — بعد أن حصلت « سوسن » على التأشيرة المطلوبة — أعادت لكل واحد نقوده مرة أخرى ! !

كل الطلبة المصريين يفعلون ذلك . . عند دخولهم لندن يسألهم موظف مكتب الهجرة الإنجليزي : « عايز تقعد قد إيه في لندن ؟ » وعلى قدر المبلغ الذي يكون مع كل منهم يعطيه تأشيرة بالمدة التي صرح له بها والتي لا تزيد عادة عن شهر على الأكثر ، وأحياناً تكون أسبوعاً أو أسبوعين فقط .. وقبل أن تنتهي هذه المدة المحددة يجمع الطالب كل النقود التي معه ومع زملائه وأصدقائه ومعارفه هناء ليذهب إلى الـ « هوم أوفس » ومعه ١٥٠ جنيهاً إنجليزياً أو أكثر ، ويقول للموظف أو الموظفة الإنجليزية التي تقابله إنه يريد تجديد المدة لأي حجة يختارها : «يريد أن يشاهد باقي إنجلترا» .. «ما زال أمامه وقت طويل في أجازته يريد أن يقضيه هنا».. «لم يكن يتوقع أن تكون إنجلترا — متملقاً ومداهناً — ظريفة بهذا الشكل . لذا فهو يريد أن يقضي فيها مدة أطول » . . . وحين تراجع موظفة الجوازات أوراقه ثم تسأله : « من أين جاء بهذا المبلغ الذي معه الآن في حين أنه لم يكن معه غير ٣٠ جنيهاً فقط حين وصل إلى لندن ؟ » يقول أن أسرته أو أهله في مصر قد أرسلوا إليه هذا المبلغ مع صديق للأسرة جاء إلى إنجلترا منذ عدة أيام . . ولكي يهرب من ذكر إسم « صديق الأسرة » هذا حتى لا يبحثوا عنه في سجلاتهم ويكتشفوا أن الطالب كذاب ، يقول إنه — أي الطالب — لم يكن موجوداً في البيت أو في الفندق الذي يقيم فيه حين جاء هذا الصديق وترك له المبلغ مع رسالة من الأسرة

دون أن يترك إسمه ولا عنوانه ! ! . . الظريف أنهم فى الـ « هوم أوفس » يسمعون نفس هذه الحجج من الطلبة المصريين مئات المرات كل يوم . ومع ذلك فيهم — بظرف شديد أو باستعباط شديد — يدعون أنهم يصدقونها ويجددون لهم مدة الإقامة بالقدر الذى يطلبونه : « ناس جايين يصرفوا فلوسهم فى إنجلترا . حانقول لهم لأ ليه ؟ » . . ويكونوا يعرفون جيداً أن هؤلاء الطلبة يعملون : « طيب وماله . . ما دام فيه مكان فى لندن بيشغلهم يبقى محتاج لهم . نحرمه منهم ليه ؟ . . ما يضرش . . خليهم قاعدين . . آهم بيقبضوا فلوس إنجليزى من هنا وبيصرفوها تانى فى شراء بضائع إنجليزية من المحلات فى لندن من هنا ، وفلوسنا فضلت جوا البلد وآهم رجعوا مصر بشوية بضاعة إنجليزية كنا عايزين نوزعها على أى حال » ! ! . . تفكير إنجليزى سليم ١٠٠٪ قطعا . .

الأظرف من ذلك تلك الحجج التى تتقدم بها أحيانا بعض البنات المصريات من باب التجديد والإبتكار ، وحتى لا تكون حججهن روتينية مكررة ومعادة : « منى » ذهبت لتقول لهم فى الـ « هوم أوفس » إنها عروسة ويتجهز بيتها الجديد فى مصر ، فتشترى لوازمها من لندن . . وأن أهلها أرسلوا لها مبلغا آخرا لكى تستكمل شراء باقى احتياجاتها ، كما أن « دادى » بتاعها اللى بيشتغل فى الكويت بعت لها قال لها خليكى فى لندن وأنا جاى لك نقعد مع بعض شهر كمان وبعدين نرجع مصر سوا » ! ! . . أما « سوسن » فقد ذهبت إلى الـ « هوم أوفس » بحجة ظريفة جدا : كنا فى أغسطس ، ومع ذلك قالت لهم « سوسن » إنها تريد أن تبقى فى لندن لكى تشاهد احتفالات أعياد الميلاد وليلة رأس السنة التى سوف تحدث بعد خمسة شهور ! !

هبْلة البت دى . . والأهبل منها موظف الجوازات الإنجليزى اللى وافقها على كده وأعطاها التأشيرة ! !

القنصل

المصرى

فى لندن « مصطفى كمال عبد الفتاح » ، شاب مهذب جداً ومتعاون جداً . . حين عرف أنى أريد أن أتكلم معه فى موضوع الطلبة المصريين الذين يعملون فى لندن فى إجازة الصيف ، رحب بشدة . . وحين اختلفت مواعيدنا أنا وهو اتصل بى تليفونيا فى البيت ٤ مرات — حتى الساعة ١٢.٣٠ ليلا — حتى استطعنا التوفيق بين وقتى ووقته ومواعيدى ومواعيده . .

عصر اليوم كنت معه فى بيته فى « ريتشموند » ، ليضع أمامى صورة واضحة جداً عن شكل وجود وحياة الطلبة المصريين فى لندن . . وسوف أنشر كلام القنصل كما هو دون تدخل منى بأسئلة وأجوبة بالطريقة الصحفية الروتينية ، حتى لا أقطع تسلسل كلامه . .

قال القنصل « مصطفى كمال عبد الفتاح » :

— وزارة الداخلية فى القاهرة أرسلت تسألنا عن إمكانية توفير عقود عمل هنا فى لندن للأيدى العاملة المصرية بواسطة اتفاقيات تعقد بيننا وبين إنجلترا . . وفعلا اتصلنا بوزارة العمل الإنجليزية وناقشنا معها الكلام ده فقالوا لنا : « متأسفين . . ماعندناش إتفاقيات بالشكل ده ، لأننا أصلا عندنا نسبة بطالة فى إنجلترا ؛ وحتى لو كانت فيه فرص عمل فإن الأسبقية عندنا للأيدى العاملة القادمة من دول السوق الأوروبية المشتركة ودول الكومنولث » . . وأرسلنا إلى وزارة الداخلية فى مصر قلنا لهم الكلام ده فى أواخر عام ١٩٧٢ . .

وأيضاً ليست هناك عقود عمل للطلبة فى الصيف فقط كما يتخيل الناس فى مصر . . ليس هناك غير معسكرات العمل لجمع الفواكه ، ودى برضه قليلة وليست كافية لاستيعاب أعداد كبيرة ؛ وهى على أى حال عن غير طريق القنصلية » . .

ومع ذلك ـ فالذى يحدث فعلا أن أعداد الطلبة المصريين فى لندن تتزايد كل سنة : فى الوقت الذى تقل فيه فرص العمل بنفس النسبة .. مع أنه من الخطر جداً أن يعمل أحد هنا دون أن يكون معه تصريح عمل . . بيجى الطالب من دول يترمى فى الشوارع ويتعرض لمطاردة البوليس الإنجليزى .. ونجد أن منطقة أو حى زى (إيرلزكورت) قد أصبح زى حى السيدة زينب أوسيدنا الحسين فى القاهرة فى رمضان أو فى المولد ، من زحام الطلبة المصريين فيه بشكل غير مشرف على الإطلاق : اللى شايل شنطه خشب برزة وقفل ومدهونة سنقون أحمر ومكتوب عليها إسمه بالبوية ، وقاعد على الرصيف لأنه مش لاقى حتة يروح فيها .. واللى متجمعين ٧-٨ وعايشين فى أوضة واحدة ضيقة لا تتسع إلا لواحد أو لاثنين على الأكثر ــ وطبعا ذلك يحدث دون علم أصحاب البيوت ــ فبالإضافة إلى أن الأمراض بتنتشر بينهم لأن الجو فى حجرة بهذا الإزدحام والقذارة بيبقى غير صحى على الإطلاق طبعاً . فأيضاً تحدث المشاكل والسرقات بينهم وبين بعض . ويتخانقوا مع بعض من ناحية ، ومع أصحاب البيوت من ناحية أخرى . . لأنهم بيبهدلوا المكان اللى بيسكنوا فيه ويهربوا من غير ما يدفعوا الإيجار ويشطبوه قبل ما يمشوا . . والحكاية دى للأسف أصبحت تمثل ظاهرة الآن ـ خصوصا السنة دى : الولد المصرى اللى سرق خزينة المحل اللى بيشتغل فيه فى البيكاديللى وطفش ، فطردوا كل المصريين اللى كانوا بيشتغلوا فى نفس المحل وفى المحلات المجاورة له . وساءت سمعة المصريين جداً فى المنطقة .. وولد تانى سرق ٢٠٠ مارك ألمانى : يعنى مبلغ لا يساوى ٣٠ جنيه مصرى ، من غرفة نزيل ألمانى فى شيراتون مطار لندن ، ويتضح للأسف أن خال الولد ده شخصية كبيرة جدا فى مصر وكان وزيرا فى وقت من الأوقات .. الطالب المصرى بيدخل المحلات الكبيرة فيجد كل حاجة سايبة قدامه ومفيش بياعين فى المحل زى عندنا فى مصر ـ هنا الواحد ينقى الحاجة اللى هو عايزها

وياخدها فى إيده ويروح الخزينة يدفع تمنها ويمشى .. فيحس الولد المصرى حواليه يلاقى مفيش حد شايفه فيفتكر أن المسألة سايبة والمال السايب يعلم السرقة . فياخد قميصين أو بولوفرين ويجى خارج من غير ما يدفع تمنهم فيقفشوه ، لأن المحلات الكبيرة هنا مفيش فيها عمال وبياعين كتير صحيح لكن فيها شبكات تليفزيون داخلية بيشوف فيها رجال الأمن كل ركن فى المحل !

وللأسف

الشديد ،

الصحافة فى مصر كان لها دور غريب جداً فى الحكاية دى – القنصل ، مصطفى كمال عبد الفتاح ، يستطرد – مثلا : صحيفة مصرية صباحية كبيرة ، فى أبريل أو فى مايو اللى فات . نشرت إن حايكون فيه مندوب من القنصلية المصرية أو السفارة المصرية حاينتظر الطلبة المصريين فى مطار لندن وييسر لهم أماكن لإقامتهم ومعاه كشف بالوظائف اللى منتظراهم (! !) .. يعنى كل طالب حاينزل من الطيارة فى مطار لندن يلاقى السكن ويلاقى الوظيفة ، بس هو يتفضل يشرف وهو يجد ما يسره !! .. ده تهريج وكلام فاضى وخرافى طبعا ومش ممكن حد عاقل يصدقه ، ومع ذلك فالكلام ده جعل عدد كبير جداً من الطلبة المصريين هجموا على لندن السنة دى أكتر من أى سنة .. ودى مش إشاعة ، أنا كنت فى مصر وقتها وشفت الصحيفة دى بعينى وقريت الكلام ده بنفسى . .

وبيجوا الطلبة المصريين إلى لندن فيتعرضوا لمضايقات فى المطار بشكل وحش جداً ومهين جداً . . بيتفتشوا تفتيش ذاتى وتتفتح شنطهم وتتفتش حتة حتة علشان رجال المطار يشوفوا الطالب مخبى معاه عناوين عمل أم لأ ، فإذا وجدوا معاه أى عنوان يشتبهوا فى أنه عنوان عمل يبقى جاى يشتغل ، فيرجعوه من برة برة ويمنعوه من دخول لندن أصلا .. وتفاجأ فى القنصلية

بتليفونات جاية من مطار لندن : «أنا الطالب فلان الفلانى . إلحقونى إعملوا معروف .. حايشيني فى المطار ومش راضيين يدخلونى لندن ، وأنا مسلف تمن التذكرة علشان أقدر آجى لندن» !! .. ولما بنحاول أن نتدخل عند السلطات الإنجليزية بترفض تدخلنا لأن القانون الإنجليزى واضح وصريح فى الحكاية دى ..

وإذا سألتنى عن رأيى الرسمى كقنصل ، فسأقول لك نفس الكلام اللى قلناه وكتبناه قبل كده فى تقاريرنا الرسمية أكثر من مرة : هذه المسألة لازم تتنظم بصورة أو بأخرى ، لأن الطلبة بييجوا هنا يحتاروا ويتبهدلوا من ناحية ، واحنا بنحتار معاهم وبنلاقى المتاعب معاهم وبسببهم ومن تحت راسهم من ناحية تانية .. والسنة دى بالذات أكثر من أى سنة فاتت الطلبة لاقوا متاعب كثيرة حاتخليهم يفكروا السنة الجاية قبل ما ييجوا لندن تانى .. ده إذا مكانوش حايرجعوا مصر يكذبوا ويحكوا حواديت عن بطولاتهم وأمجادهم اللى ما حصلتش طبعا ، فغيرهم ييجى ويتعب ويقاسى وهم ما يجوش مرة ثانية !

وأيضاً

ظاهرة

ضياع جوازات السفر من الطلبة المصريين بتزيد جداً فى فترة الصيف . والأسباب معروفة طبعا : بييجى الطالب يتحجج لنا بأى حجة ، ولا نملك إلا إننا نصدقه طبعا : نسى الباسبور بتاعه فى محل ولما رجع يدور عليه لم يجده .. ركب الـ « أندرجراوند » ونعس نام وماخدش باله لما الباسبور بتاعه وقع منه .. دى الأسباب اللى بيتعللوا بيها قدامنا ، لكن اللى بيوصلنا — كإشاعات (!!) — هو أن الطلبة لما بيفلسوا ويتزنقوا ويحتاجوا لفلوس بيبيعوا جوازات السفر بتاعتهم .. وطبعا هم عارفين كويس أوى بيبيعوها لمين وليه ؟ ! .. عارفين إن اللى يرضى يدفع ٥٠ أو ١٠٠ جنيه

إسترليني علشان يشتري جواز سفر مصري مش بيشتريه لأنه بيحب اللون الأخضر أو لأنه غاوي جمع تذكارات وتحف : لكن بيشتريه لأنه من عملاء إسرائيل .. أمال يعني حايشتريه ليه ؟ حايهديه لخطيبته ؟ ! .. ومهما كان الطالب المصري اللي بيبيع جواز السفر بتاعه لعملاء إسرائيل إنسان ضعيف النفس . إلا أنه برضه بيكون مضطر لأن مفيش معاه فلوس . وهنا الخطورة ..

كمان

بعض

الطلبة المصريين بيلجأوا إلى وسيلة غريبة جداً علشان يحلوا مشكلة إستمرار إقامتهم فى لندن برغم أنف الـ « هوم أوفس » وبرغم المدة المحدودة اللي بتسمح لهم بيها السلطات الإنجليزية فى المطار وهم داخلين لندن ، وبالرغم من باسبور الطلبة اللي معاهم اللي مدته ٦ شهور فقط تنتهي فى ٣١ أكتوبر وغير قابلة للتجديد أو المد : بيروح الطالب المصري يتزوج أي واحدة إنجليزية .. أي واحدة مهما كان شكلها ونوعها وبتشتغل إيه !! — وضع ١٠ خطوط من فضلك و ١٠٠ علامة تعجب تحت عبارة «بتشتغل إيه»!! — وما دام الطالب المصري قد تزوج من واحدة إنجليزية يبقى يرمي الباسبور المصري بتاعه فى الشارع لأن حايبقى من حقه الإقامة الدائمة فى إنجلترا بحكم القانون الإنجليزي نظراً لزواجه من إنجليزية .. . وفى هذه الحالة طبعا لايستطيع العودة إلى مصر لأنه حايعرض نفسه لطائلة القانون المصري لأنه مارجعشي مصر فى الموعد المحدد له فى الباسبور! !

وفى الحقيقة أن الموقفين متعارضين تماما فى حكاية « باسبور الطلبة » اللي بنعطيه لهم فى القاهرة : إزاي أعطيه باسبور لمدة ٦ شهور وفى الوقت نفسه باسمح له ب ٣٠ جنيه إسترليني فقط وهو خارج من مصر ؟ ! . . يبقى معنى كده إني أنا عارف ومتأكد أنه رايح أوروبا أو رايح لندن

علشان يشتغل ، لأن الـ٣٠ جنيه إسترليني دول لو إنهم كفوه ١٠ أيام في لندن يبقى فضل من عند ربنا .. وفي الوقت نفسه فالسفارة الإنجليزية في القاهرة والسلطات الإنجليزية هنا في لندن ، سواء في المطار أو في الـ « هوم أوفس » - بتعارض جداً في اشتغال الطلبة المصريين . ويبقى مفيش قدام الطلبة غير التحايل على الشغل لغاية ما يشتغلوا فعلا من وراء ظهر القانون الإنجليزي وضد رغبته .. وده يبقى كلام مش تمام : إزاي أسمح لأولادي إنهم يروحوا بلد علشان يخالفوا القانون فيه ؟ ويعلمي ورضائي ! ! .. إزاي أبعتهم لندن وأنا عارف إنهم رايحين يخالفوا القانون فيها ويعرضوا نفسهم لطائلته ومواد عقوباته إذا انكشفوا ؟ ! .. هل لو خالفوا القانون المصري عندي في مصر سأتساهل معهم ؟ ! قطعا لأ .. أمال إزاي أسيبهم يروحوا يخالفوا القانون — بعلمي — في بلاد تانية ؟! .. قطعا بالشكل ده مش ممكن أكون باعلمهم لا الأمانة ولا الصدق ولا الأخلاق ولا المبادئ مطلقا !

☐ ☐ إنتهى كلام القنصل « مصطفى كمال عبد الفتاح » قنصل مصر في لندن .. وأنا أؤيده إلى أقصى حد في كل كلمة قالها وفي كل حرف جاء على لسانه .

لكن
الذى

لم يقله القنصل – لسبب بسيط جداً . هو أنه لا يعرفه ولم يره – هو شكل « الذل » الذى يلاقيه الطلبة المصريون والطالبات المصريات اللاتى يعملن هنا فى لندن .. الذل أتصور أنه موجه إلى المصريين وحدهم فقط لا غير ! ... فى الفندق الذى أعمل فيه . وفى كل الفنادق الكبيرة المماثلة ، تجد العاملين فيها يشكلون « عصبة أمم » كاملة .. كل جنسيات العالم تقابلك : الطباخ هندى ، غسال الصحون پاكستانى ، السفرجيات مصريات وأيرلنديات وإيطاليات ، عاملة التليفون من جامايكا .. بنات الاستقبال إنجليزيات ومن ويلز ، خادمات الغرف « التشامبر ميدز » فلبينيات وأسپانيات ، بنات الحسابات برتغاليات . ووووو .. كل الجنسيات .. الغريب أنى لم أجد هنا أحداً من العرب على الإطلاق غير المصريين وغير شاب تونسى واحد .. لكن السمة المشتركة الواضحة بين الجميع هنا هو أنهم جميعاً من دول فقيرة أو نامية .. إنما الغريب حقيقة هو أن المصريين – دون كل الجنسيات الأخرى – هم الوحيدون المضروبين على دماغهم ويلاقون من الذل وسوء المعاملة فى كل مكان ، حتى أنهم يهربون من فندق إلى فندق ونادراً ما تجد مصرياً أو مصرية قضيا مدة طويلة فى فندق واحد . وإذا صادف أن وجدت واحدة لها سنة أو سنتين فى نفس الفندق فستجد أنها فى حالها ومنزوية ولا تكاد تسمع لها صوتاً : فى حين أن الفلبينيات والفلبينيين ، على سبيل المثال ، قاعدين مستريحين ومبسوطين على الآخر ٢٤ قيراط ويعاملهم الإنجليز أحسن معاملة ، وهم من ناحيتهم يتصرفون بعنجهية وألاطة كأن إنجلترا بيت جدهم ، وكأن لهم فيها أكثر مما للإنجليز أنفسهم ، فى الوقت الذى يقال فيه إن إنجلترا لا ترحب بالآسيويين !

الإنجليز هنا يذلوننا فى بلادهم ونحن عبط وهبل نحترمهم ونكرمهم فى بلادنا آخر كرم . لأننا بطبعنا سمحاء وكرماء . وقد نسينا لهم إستعمارهم لنا لمدة ٧٠ سنة . أما هم فلم ينسوا . . وسر غطرسة الإنجليز رغم عباطة ظروفهم الآن ووضعهم الآن بعد أن أصبحوا لأول مرة دولة من الدرجة الثانية . بعد الماضى الإستعمارى التليد وإمبراطوريتهم التى كانت لا تغيب عنها الشمس فأصبحت لا تشرق عليها الشمس . . ذلك نفسه هو ما جعلهم ينتبهون للداخل بعد أن تركوا أحلامهم الإستعمارية . فتحسنت الأحوال والأوضاع فى الداخل جدا : ترف غذائى متناد بعد بيضة واحدة للفرد فى الأسبوع أيام الحرب ، فأصبحوا الآن متنعنغين وكل شىء متوفر وموجود بكثرة بعد أن كان أطفالهم يموتون جوعاً أيام الحرب . . صرفوا النظر عن أحلامهم الإستعمارية فى الخارج وركزوا كل انتباههم على الداخل .. لكن الغطرسة الإنجليزية — وهى فيهم طبع أصيل — وجدت فى ذلك الرخاء الإقتصادى والمعيشى المهول الآن ما ينفخ تحت الرماد المنطفىء فيشعل نار الغطرسة من جديد . . وعاد العم « جون بول » يطل من جديد من داخل كل إنجليزى ، كل إنجليزى غير مثقف على الأقل . . إلى جانب نظرتهم إلينا أصلاً نحن المصريين كشعب إستعمروه طويلاً وأذلوا أعزة سادته وداسوا رقابهم وكرامتهم بالأقدام وكانوا يشنقون رجاله كالدجاج فى دنشواى وغير دنشواى : فاستكثروا أن يشعر شبابه الآن بالعزة والكرامة : لذا فهم يحاولون بشتى الطرق أن يدوسوا هذه الكرامة كلما أتيح لهم ذلك بحصرى سيىء الحظ يقع تحت أيديهم . . ومن هنا تبدأ أغنية « أيذل » فى لندن كل صيف . ومن هنا يلاقى الطلبة المصريون والطالبات المصريات اللاتى يعملن فى لندن فى الصيف ألواناً من الذل الإنجليزى لا يلاقيها غيرهم من الجنسيات الأخرى !

« أمين

القصاص »

.. طالب تجارة القاهرة الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا الفندق ، يبدو وكأنه ولد ليكون جرسونا بالرغم من أن هذه هى أول مرة يخرج فيها من مصر ليعمل فى الصيف ، فهو يبدو لفرط حيويته ونشاطه وسرعته فى العمل . وكأن هذه الكافيتيريا ملكه شخصيا : وكان « شايلها على أكتافه » . كما يقولون ...

كنت الليلة فى أجازة وسهران أكتب فى البيت . حين جاء « أمين » فى ساعة متأخرة يدق جرس الباب ، وكان المفروض أن يكون فى عمله فى ذلك الوقت ، لكنه جاء ليحمل إلىّ خبراً مثيراً : رفدوه !! .. إصطدم بـ« بيجى » مديرة واردية الليل فى الكافيتيريا . بعد أن رأى الغدر فى عينيها وشعر أنها « بتتلكك » لكى تجد حجة ترفده بها .. وتحرشت به وأهانته بشكل جارح أمام رواد الكافيتيريا . فلعن أبو خاشها علناً وشتمها وهزأها وترك هو العمل وأخذ حسابه ومشي .. وكانت وجهة نظره أنه « إتغدى بها قبل ما تتعشى به » لأنه شعر أنه مرفود مرفود ، فقرر أن يخرج بكرامته ويترك هو العمل قبل أن يرفدوه !!

أيدت « أمين » فى وجهة نظره . على الأقل لكى يفهم هؤلاء الناس أننا ، كمصريين ، عندنا كرامة ، وأننا لا نقبل الذل ولا الإهانة من أحد ، ولو كان فيها قطع عيشنا ..

وفى الليلة التالية مباشرة لحق « شحاتة عبد الستار » طالب زراعة القاهرة الذى يعمل غسالا للصحون فى الكافيتيريا ، لحق بزميله « أمين » : رفدته « دورا » الحسناء مساعدة المديرة ، لمجرد أن تقدم إليها شاب هندى يطلب عملا ، فيطردون مصريا ليحلوا أى جنسية أخرى محله ! ..

بعد ذلك بليلتين طار « سمير » الجرسون المصرى أيضاً .. رفدوه لكى

تحل محله فتاتان أيرلنديتان .. ثم جاء الدور بعد ذلك على البنات المصريات ، فقررت « بيجي » الإستغناء عن اثنتين منهن : « بيسة » و « سناء » . والإكتفاء بواحدة فقط هي « سوسن » !! .. « بيسة » لم تنتظر حتى تنتهي الليلة فخلعت « مريلتها » وانصرفت على الفور . أما « سناء » فقد أمهلتها المديرة أسبوعا واحداً تبحث لنفسها خلاله عن عمل فى مكان آخر .. لكنها بعد هذا الأسبوع تركتها تبقى فى العمل حين وجدت أن « سوسن » أيضاً سوف تترك العمل متضامنة مع توأمتها « سناء » : وكانت المديرة ملحة فى حب « سوسن » لأدبها ورقتها ووداعتها ، ولم تشأ أن تفقدها ، فاستبقت « سناء » من أجل خاطر عسلية عيون « سوسن » !!

فى فندق « سان جيمس » القريب من قصر الملكة فى باكنجهام . فى الأسبوع الماضى حصلت الفتاة المصرية « حياة السيد عمر » على جائزة أحسن « تشامبر ميد » فى الفندق كله . متفوقة على جميع البنات المصريات والأجنبيات .... فى هذا الأسبوع أصدرت مسز « مور » رئيسة الـ تشامبر ميدز « قراراً بفصل كل البنات المصريات اللاتى يعملن فى الفندق وعلى رأسهن « حياة » نفسها ، ومعها « حورية سعيد رضوان » و « نفيسة قاسم الدجوى » و « روحية عبد الرحيم » و « نجيبة » ، لأن واحدة منهن — واحدة فقط — أخطأت خطأ صغيراً كان يمكن أن تكون عقوبته « لفت نظر » لها هى وحدها طبعا .. لكن عملية التنكيل والإذلال جاءت لتشمل « المصريات » جميعهن !!

« روحية » لم تحتمل أعصابها قرار الفصل فانهارت تماما وبكت فى الشارع وهى تشعر بالضياع ولا تعرف حتى أين تذهب لتبيت ليلتها .. مسكينة « روحية » ، تلقت صدمتين فى أسبوع واحد : « روحية » تعمل فى فترة المساء عملا إضافيا فى فندق بريطانيا . أحد نزلاء الفندق ضاع من غرفته ٤٠٠ جنيه إسترليني .. دون كل البنات اللاتى يعملن فى الفندق « رشحت » إدارته « روحية » لتلقى عليها التهمة .. وجاء رجال

(سكوتلنديارد) الرهيبة ليقبضوا على « روحية » الصغيرة ويفتشوها تفتيشا ذاتيا ويأخذوا بصماتها ويحققوا معها ويسألوها مئات الأسئلة — وهى أصلا لا تجيد الإنجليزية — كأنها أرسين لوبين قد وقع فى قبضتهم .. ولم ينقذ المسكينة « روحية » من بين أيديهم إلا أن النزيل صاحب المبلغ المسروق تقدم ليعلن أنه : عثر على المبلغ المفقود فى حقيبته « بس هو مكانش بحث كويس فى الأول » !! ..

وأطلقت سكوتلنديارد سراح « روحية » دون كلمة اعتذار واحدة !! ..

على

مائدة

الإفطار صباح اليوم فى مطعم العاملين بالفندق . حضرت أنا و«سوسن» و « سناء » حواراً غريبا جداً : الفتى المصرى « فسدان » — أقصد « كالح » . لكن « فسدان » هو إسمه المشهور بيننا الذى أطلقته عليه « سوسن » — .. « كالح » واقف فى وسط مجموعة من البنات الجرسونات الإنجليزيات يتكلم معهن بلغته الإنجليزية « المشلشلة » .. طريقته فى الكلام أثارت ضحكهن فسألته واحدة منهن عن جنسيته فقال إنه : « إنجلند » !! — يقصد أنه « إنجليزى » لكنه قال إن جنسيته «إنجلترا»!! — فلما استنكرت البنات أن يكون إنجليزياً قال إنه على جنسية زوجته (! !) وإنه لا يحب أن يكون مصريا لأن المصريين ناس وحشين !! .. ووجدت نفسى دون أن أشعر أتدخل فى الحوار الدائر وأقاطع « كالح » وأنهره وأعنفه بغلظة — بالإنجليزية — أمام البنات الإنجليزيات حتى يفهمن أننا نحن أيضاً نرفض مصريته لأنه عينة رديئة من المصريين ولا يشرفنا ولا يسعدنا أن يكون مثله مصريا .. فقال للبنات الإنجليزيات ليداري « كبسته » وهو يشير إلينا : « أصل دول بيحبوا مصر أوى » !! .. وبعد انصراف البنات الجرسونات الإنجليزيات هزأته بما فيه الكفاية وهددته

بأن أبلغ أمره إلى السفارة المصرية فى لندن إذا عاد مرة أخرى إلى هذه التصرفات التى لا تسىء إليه وحده وإنما تسىء إلى المصريين جميعهم . .

الفتاة

الأمريكية

الصغيرة التى جاءت مع أسرتها الليلة إلى الفندق . . منذ لحظة دخولها وهى تحوم حولى وتشاكسنى وتقيسنى بنظراتها الجريئة . . جاءت إلى مكتبى لتأخذ مفاتيح الغرف التى سينامون فيها ، لتقول لى بدون مناسبة أنها ستنام هى وأختها الأكبر منها فى غرفة واحدة ، وأن أختها نومها تقيل وتنام بمجرد أن تضع رأسها على المخدة ولا تستيقظ حتى لو ضربوا بجوارها قنبلة ذرية !! . . « طيب وأنا مالى ومال الحدوتة دى كلها ؟ » . . لم أقل لها ذلك طبعا . قلته فى داخلى ، لكننى ابتسمت لها الإبتسامة الرسمية التى تفيد أن القصة التى تحكيها ظريفة جداً . . وذهبت الفتاة الصغيرة إلى غرفتها ثم عادت مع أمها وأبيها وأختها ليتناولوا العشاء فى الكافيتيريا ، لكنها جاءت إلىّ مرة أخرى تسألنى : «هل من الممكن أن تأخذ عشاءها معها إلى غرفتها لتتعشى هناك ؟ » قلت لها : « ليه لأ ؟ . . إتفضلى » فقالت : « طيب ممكن تيجى معايا علشان تاخد الصينية تانى ؟ » قلت لها : « لا داعى للإستعجال فى إعادتها الليلة ، خليها للصبح » فقالت وهى تثبت عينيها فى عينىّ وفيهما دعوة واضحة صريحة لا تحتاج إلى ترجمة : « معلش ، أصلى ما أحبش أنام فى الحجرة وفيها بواقى أكل » لكن عيناها تقولان : « صينية إيه ياغبى . . ماتفهموها بأه» . . قلت وقد بدأت أفهم ما تريده : « سأرسل معك واحدة من الجرسونات البنات لتأخذ الصينية » فقالت فى غضب : « لا داعى . . سأتعشى فى الكافيتيريا » !! . . ودخلت لتتعشى مع أسرتها وتعود إلىّ مرة أخرى بعد أقل من ١٠ دقائق وهى تقول فى جذل : « كويس . . يبدو أنهم يريدون أن يقضوا السهرة فى الكافيتيريا . . هل

من الممكن أن تحضر معى الآن إلى غرفتى لكى تأخذ المفتاح بعد أن أفتح. لأننى غالبا سأنام قبل عودتهم ولا أريد أن أستيقظ لأفتح الباب لأختى . لأننى لو استيقظت فلن أستطيع النوم مرة أخرى » !! .. وبعدين يأه فى الحسناء رشيقة القد طريقة القوام دى ؟ ! — قلت فى نفسى — خلاص يأه يا واد المسألة ما بقتشى تستاهل عصلجة أكتر من كده ، والمفروض أنى هنا فى « خدمة » النزيلات والنزلاء . . وتوكلت على الله وذهبت معها إلى غرفتها .. وفى الطريق قفز على لسانى — اللى يستاهل قطعه — سؤال سخيف لم يكن له لازمة أبداً : سألتها عن عمرها فقالت : « ١٤ سنة » !! .. فقطعت على الفور مشروع دعم العلاقات الإجتماعية بين مصر وأمريكا ، وتركتها فى منتصف الطريق واستدرت عائداً إلى مكتبى وأنا أقول لها : « نامى إنتى واطمئنى .. وسأفتح لأختك حين تأتى بالمفتاح الإحتياطى الذى عندى » !! ..

فى

الثانية

صباحاً دخلت إلى الفندق حسناء ثلاثينية فاخرة طويلة ذات جمال مهيب محترم جداً . كأنها أميرة رائعة الجمال من أميرات الأسر الملكية العريقة فى أوروبا ، ترتدى « تايير » حشمة بأكمام طويلة وعلى الركبة ، يعنى لا « مينى » ولا « ميكرو » .. كان أمام مكتبى لحظتها نزيل سكران يحكى لى قصة طويلة لا أفهم منها شيئاً .. قالت الحسناء له بكبرياء : « عن إذنك » ثم قالت لى : « أنت البورتر المسئول الليلة ؟ » قلت : « نعم باسيدتى .. تحت أمرك » قالت : « تسمح لحظة على جنب ؟ » .. إندهشت صحيح لكننى تصورت أنها تريد أن تبتعد عن أخينا السكران .. فذهبت معها عدة خطوات على مقربة من مكتبى ، لتسألنى : « من فضلك ممكن تقول لى الغرفة رقم ١١٨ منين لأنى مش عارفة الطريق إليها؟»

قلت بسذاجة : « هل أخذت المفتاح ؟ » قالت : « لأ .. مش مهم .. لأن فيه حد موجود فى الغرفة » .. فبدأت أشرح لها الطريق إلى الغرفة رقم ١١٨ . لكنها قاطعتنى : « ممكن تيجى معايا توريهالى ؟ » قلت : « طبعا .. تحت أمرك » .. وذهبت معها لأوصلها إلى الغرفة .. قلت فى نفسى : « مش غريب أن الست تنسى مكان غرفتها فى الفندق اللى عامل زى بيت جحا ده .. أو على الأقل لأنها لكى تذهب إلى الجناح « A » الذى فيه الغرفة رقم ١١٨ لابد أن تعبر منطقة واسعة مكشوفة مظلمة لانتظار السيارات . وممكن خايفة من الظلام » .. وفى الطريق بدأت الحسناء

الفاخرة ذات الجمال المهيب المحترم كأنها إحدى أميرات الأسر المالكة فى أوروبا . التى ترتدى « تاييراً » بكم طويل وعلى الركبة . يعنى لا « ميني » ولا « ميكرو » . بدأت تتكلم : « أنت جديد هنا . مش كده ؟ .. سوف أعطيك رقم تليفونى فى البيت لكى تتصل بى فى الوقت الذى تريدنى فيه فأحضر إليك على الفور » !! .. قلت فى نفسى وأنا أبتسم فى سعادة فى الظلام : « الله .... وأنا طول عمرى باقول إنى شبه عمر الشريف . الظاهر إن الست وقعت فى غرامى من أول نظرة لدرجة أنها تعرض علىّ أن تعطينى رقم تليفونها فى البيت لكى أطلبها وقت ما أنا عايز فتيجى لى لغاية عندى .. ده أنا ماكنتش عارف أنى ظريف وجذاب وساحر النساء زى أحمد مظهر . وأتاريني كنت مدفون فى مصر وما حدش حاسس بىّ » !! .. الحسناء الفاخرة تستطرد : « إسمى شيرلى .. إسم مضحك . مش كده ؟ ونمرة تليفونى آهه » ومدت يدها الأرستقراطية البضة الناعمة فى جيب قميصى لتأخذ منه ورقة وقلما لتكتب لى إسمها ورقم تليفونها وهى تستطرد : « وفى كل مرة ستطلبنى فيها سوف أعطيك خمسة جنيهات » !! .. غبى جداً أنا .. أصبحت مش فاهم حاجة أبداً .. قلت فى نفسى : « وكمان حاتدينى فلوس كل ما « نتقابل » ؟ ! طيب ليه ؟ ماهو كفاية أوى وكتر خيرها أنها حاتتعب نفسها وتيجى لى لغاية عندى هنا علشان تاخدنى » !! ..

وأخرجني الحسناء من غباوتي الشديدة وهي تستطرد . وكنا قد اقتربنا من باب الغرفة رقم ١١٨ : « إنت عارف إني أنا (بزنس جيرل Business-Girl) .. وفي المرة الواحدة بآخد ٣٠ جنيه . بيكون نصيبك أنت منهم خمسة جنيه . لكن المرة دي الخمسة جنيه مش لك إنت . إنما لمستر « . . . W. » — بورتر النهار — اللي طلبني العصر في التليفون وقال لي أن النزيل اللي في الغرفة رقم ١١٨ عايز فتاة تقضي معاه الليلة » !! ..

آه يابنت الـ . . . . . . وخليتني أوصلك بنفسي كمان لغاية الغرفة رقم ١١٨ ؟ ! وبإيدي ؟ ! على آخر الزمن حاشتغل . . . . .

وقبل أن أفتح فمي بكلمة واحدة كان باب الغرفة رقم ١١٨ قد انفتح . واختفت وراءه الحسناء الطويلة الفاخرة . الوقور . المحتشمة . التي ترتدي « تاييراً » بكم طويل وعلى الركبة . يعني لا « ميني » ولا « ميكرو » .. إلخ إلخ إلخ !!!! . . . . .

(١٢)

□ فقط : إمتلك عنواناً . ! □

ثلاثة

شهور

الآن مضت على في لندن .. حالة من الكآبة والملل والزهق تعتريني : أريد أن أرجع إلى مصر .. أريد أن أرى بيتي وأرى ابنتي وقرايبي وأصدقائي .. عايز أرجع أتمتع بدفء بيتي ودفء علاقاتي ودفء تليفوني الذى لم يكن يكف عن الرنين .. أريد أن أرجع إلى مكتبي فى المجلة وأرجع لحياتى الروتينية التي اعتدتها .. أريد أن أرى « مديحة نجيب » مرتين ثلاثة كل أسبوع وأحضر مونتاج برنامج « ألوان » كل يوم أربعاء وأناكف « سامية » المهندسة وأداعب « إيفون » سكرتيرة « مديحة » وألاغى « فايزة » و« سامية » و « عايدة » و« نفيسة » موظفات الحسابات في المجلة ، وأحتد على « شوقي البيومي » و « سيف » وأناقش « محمد الغريب » فى احتمالات سداد الخمسة جنيه اللى مستلفهم منى من سنة ١٩٧١ .. شبعت من الساعة المضبوطة الدقيقة جداً التي إسمها لندن وأريد أن أعود لساعتي القديمة اللي ماشية على كيفها : القاهرة .. زهقت من الغرفة الواحدة المفروشة اللي بالإيجار ، وزهقت من المشوار القصير رايح جاى بين محطة الأوتوبيس وبين البيت الذى أسكن فيه فى « كرانفورد » .. زهقت من الوحدة وانعدام الأصدقاء .. زهقت من « الآلية » التي أعيش فيها كالسمكة الملونة المحبوسة فى إناء زجاجي فاخر فى غرفة صالون رائعة ، لكنها مهما كانت : محبوسة ، ومهما كانت : وحيدة ، ومهما كانت : بعيدة عن الجو الذى اعتادته وأحبته .. بعيدة عن باقى السمكات !! ..

اليوم

مطير

جداً وشديد الرذالة .. المطر برخ بشدة بلا انقطاع طول النهار وطول الليل . . وبرغم البدلة الكاملة والشراب الصوف والبولوفر والبالطو الووتر بروف المبطن ذي القلنسوة التي تغطي الرأس كله فتجعلني أشبه بإسكيمو هارب من القطب الشمالي . إلا أن البرد والصقيع والثلج يتخلل جسمي كله ويشعل ظهري وساقيّ وعمودي الفقري ألماً ، ويجعلني أشعر كأنني مضروب ٣٠ علقة بكرباج مثلج .. في الوقت الذي أرى فيه الإنجليز هنا وهم خارجين بالقمصان النصف كم والبلوزات الخفيفة أو الله جوبات » القصيرة جداً .. مجرد الشمسية مفتوحة في أيديهم لكي ــ فقط ــ يحتموا بها من المطر وحده !! .. حين أراهم هكذا أسقع أنا وأبرد زيادة .. أسقع بالنيابة عنهم .. حتى استويت من البرد .. إشتقت إلى شمس مصر ودفء مصر ياعالم .. ولا يعرف قيمة مصر وجو مصر إلا الذي يبعد عن مصر فترة طويلة ويجرب الحياة الحقيقية في الخارج ! .

لكن

الشيء

المدهش حقيقة هو أن السماء قد تظل تمطر ٢٤ ساعة في اليوم هنا ومع ذلك لا تجد طيناً ولا زلقاً ولا زحلقة .. تجد أرض الشارع تلمع كأنها ــ فقط ــ مغسولة .. وذلك لأن البلاعات ــ السالكة ــ هنا تصرف مياه المطر أولا بأول وبسرعة وانتظام شديدين .. يعني كأن المطر يتنزل من السماء لكي ، فقط ، يغرق سعادتك ويبهدلك ويحدين على البلاعات دوغري .. وتندهش : المطر ده كله بيروح فين ؟ .. « سوسن » ــ

الذكية – قالت لى فى استغراب بعد أن لاحظت هذه الظاهرة : « الظاهر إن لندن مخرومة » !! ..

وتذكرت

وأنا

أجرى تحت المطر فى شوارع ضاحية « كرانفورد » الهادئة ، من محطة الأوتوبيس حتى بيتى فى الساعة الثانية صباحا .. تذكرت قصة حدثت لى منذ عدة سنوات فى ضاحية المعادى القريبة من القاهرة : كنت أسهر عند بعض الأصدقاء فى ثكنات المعادى ، وبينها وبين المعادى نحو ٤ كيلومترات .. وحين قاربت الساعة الثانية صباحاً تذكرت أن آخر قطار يقف على محطة ثكنات المعادى لم يبق على موعده إلا دقائق ، فنزلت مسرعاً ، وأنا فى الطريق إلى المحطة سمعت صوت القطار مقبلا ، فبدأت أجرى محاولا أن أصل إلى المحطة قبله ، وكنت وقتها من أبطال مصر فى الجرى لمسافة ١٠ آلاف متر .. وهنا خرجت علىّ كلاب المعادى السهرانة المطلقة السراح فى شوارع الضاحية الهادئة تحرس الفيللات أو يطلقها أصحابها خارج البيوت فى الليل حتى لا تزعجهم داخلها ، أو حتى تعطيها الفرصة للتكاثر والله أعلم .. وأنا أخوف ما أخافه فى الدنيا شيئان أكون أمامهما شديد الجبن : البحر ، والكلاب .. فلما رأيت الكلاب فى أعقابى تكاد تنهش كعبى أطلقت لساقىّ العنان كأننى أجرى فى أصعب بطولة خضتها فى حياتى .. وطبعا نسيت القطار ونسيت المحطة ونسيت كل شيء إلا أن أهرب من الكلاب وأنجو بجلدى من الوليمة التى تتمناها كلاب آخر الليل السهرانة .. وانطلقت لا ألوى على شيء أجرى فى شارع رقم ٩ الموصل بين ثكنات المعادى والمعادى نفسها .. وظللت أجرى دون أن أشعر بشيء إلا أنفاس الكلاب الساخنة تلفح ساقىّ .. ولم أتوقف إلا حين وصلت إلى محطة المعادى نفسها وكان القطار قد دخلها

قبلي بثوان . فقفزت إليه والكلاب تتواثب ورائى لكن ارتفاع القطار لا يسعفها .. والحمدلله أنه لم يكن تراماً ولا أوتوبيس . كان زمانى مت شهيد الكلاب !! ..

تذكرت

هذه

الصورة كلها وأنا أجرى فى الثانية صباحاً تحت المطر المنهمر كالسيل فى شوارع ضاحية « كرانفورد » الحادثة التى تشبه إلى حد كبير الجزء النظيف جداً من ضاحية المعادى .. وتذكرت أيضاً — وأنا أجرى — أننى لم أر هنا كلباً واحداً يمرح طليقاً فى الشوارع لا بالليل ولا بالنهار منذ سكنت هذه الضاحية .. كل كلب وفى يده صاحبه — آسف ، أقصد « فى يد صاحبه » — أو مقيداً بسلسلة أو بطوق جلدى .. مفيش كلب بيرمح فى الشوارع يعضعض فى الناس أو يتسلى بمطاردة الناس أو يقطع الطريق على الناس .. الكلاب هنا مهذبة جداً كأصحابها .. تدوس على قدم الكلب فيكاد ينطق ليقول لك : « Sorry متأسف » .ويقابلك الكلب من دول قادما فى طريقك فيفسح لك الطريق وتشعر أنه يكاد يبتسم لك فى أدب جم . . وأتصور أنك لو نظرت فى عينى كلب هنا لكاد من فرط حيائه أن يغض الطرف وتكاد تلمح حمرة الخجل على « وجنتيه » .. وترى الكلب الإنجليزى مفحل وزى العجل ومع ذلك تجده مؤدبا ومتربيا ويكاد يذوب رقة ، حتى ليجعلك تتصور أنه يخشى أن تنبح عليه أنت !! ..

« مى » ..

صديقة

مصرية كانت قادمة إلى لندن فى أجازة ، فاتصلت ببيتى فى القاهرة لتسأل ما إذا كانوا يريدون أن يرسلوا لى شيئاً معها إلى لندن .. لم يجد

أهل بيتى العامر ما يرسلونه لى معها غير : مجموعة الشهر الأخير من الصحف المصرية + الأعداد التى صدرت من مجلة « الإذاعة والتليفزيون » بعدسفرى من القاهرة !! .. كتر خيرهم وشكر الله سعيهم .. فالحقيقة أن هذه هى أجمل هدية يمكن أن ترسل إلى مصرى فى أوروبا : أن يرى صحف بلده ويقرأ أخبار بلده مطبوعة باللغة العربية فى صحف بلده .. فتجعله يشعر وكأنه موجود هناك الآن فعلا ، فى بلده ..

أما « منى » نفسها فقد جاءت محملة بما لذ وطاب من رقاق وحمام محشى بالفريك وبسطرمة ومالجوولب وسودانى ، وكان ناقص تجيب معاها صاندوتشات حواوشى وفول وطعمية من عند التابعى .. وكأنه « واجب قومى » علينا : فقد تكاتفت البنات : «سوسن» و«سناء» و « بسمة » و « سهير » — بدأ واحدة — على التشطيب على ذلك كله فى ليلة واحدة .. متأسف : أقصد فى قعدة واحدة .. ولم يقمن من « فوق » هذه الوليمة المصرية إلا بعد أن أصبحت أطلالاً .. لكن « ذكراها » ظلت عالقة بفمنا شهراً كاملا بعد ذلك !! ..

من

بين

المجلات التى جاءت بها « منى » معها عدد من مجلة « صباح الخير » بتاريخ ٣ أغسطس .. العدد كله عن الحر الحر الحر ، ونحن هنا فى لندن فى ذلك التاريخ كنا بنشمشم على ٥ دقائق يتوقف فيها المطر ومش طايلين .. يا عالم يا بطرانين ، تعطوناش شوية حر من عندكم وتاخدوا بدالهم برد ومطر من العرض المستمر هنا فى لندن ، ولو طلعت الشمس ٥ دقائق يخلع الناس ملابسهم ويجرون إلى الحدائق ينامون فيها بالمايوهات البيكينى — آل يعنى بيتشمسوا — واحنا المصريين نظل لابسين البلاطى لأن البرد — برغم الشمس — بيلسوع عظامنا من تحت الهدوم !.

السبب

الرئيسى

الذى يجعل عدداً كبيراً من الطلبة المصريين الذين يحضرون إلى لندن للعمل فى الصيف يضحون بمستقبلهم الدراسى ويصرفون النظر عن العودة إلى القاهرة ، هو : الفلوس . . المرتبات . . الأجور الإنجليزى . . الشاب المصرى وهو فى وسط أسرته فى مصر يأخذ مصروفا – بالكثير – ١٠ قروش فى اليوم لا تكفى قطعا لمواصلاته واحتياجاته وسجائره ، لزوم الشباب وإثبات الرجولة ! . . أتصور أن هذه هى أقصى ما تستطيعه إمكانيات الأب المصرى المتوسط . .

لكن الشاب المصرى يأتى إلى هنا لتسيل وتجرى بين يديه العملة الصعبة كل أسبوع مبلغا مهولا – بالنسبة إليه كطالب وبالنسبة لحياته السابقة فى القاهرة – فيحسبها فى ذهنه وبالورقة والقلم : كم سأتقاضى مرتباً فى مصر بعد الحصول على الليسانس أو البكالوريوس ؟ ١٧ جنيهاً – مصريا – وبضعة قروش ؟ . . كيف أعيش بهذا المبلغ فى مصر بعد أن اعتدت شكل الحياة هنا بمرتبى الحالى ودخلى الحالى ومستواى الحالى ، ودون أن يكون معى ليسانس ولا بكالوريوس ؟ . . ويؤجل العودة إلى مصر سنة ، وسنة تجر سنة ، ويبقى الشاب المصرى فى لندن على طول ، ليظل طول عمره يخدم فى المطابخ والمطاعم والرستورانات والبارات فى لندن ، ويضيع مستقبله الدراسى فى القاهرة . .

مثلا : إذا حسبنا مجموع مرتبى الشهرى هنا فى لندن + البقاشيش = مرتبى الأسبوعى ١٩ جنيهاً وإسترلينيا طبعاً × ٤ أسابيع ونصف = ٨٥,٥ جنيهاً + البقشيش بمتوسط جنيهين فى اليوم × ٣٠ يوماً = ٦٠ جنيهاً + حصيلة البقشيش المتجمعة فى الصندوق بمتوسط ٦ جنيهات كل أسبوع × ٤ أسابيع ونصف = ٢٧ جنيهاً . . إذن المجموع الكلى يصل إلى

نحو ١٧٢ جنيهاً إسترلينيا × ١٧٠ قرشاً مصرياً = نحو ٢٩٠ جنيهاً مصرياً في الشهر الواحد. لم أصل إليهم حتى الآن بعد ١٦ سنة صحافة .. صحيح فاضل حاجة بسيطة أوى وأوصل لهم : نحو ٢٠٠ جنيه بس ! ! ..
يا نقابة الصحفيين في القاهرة : وداعا للسلاح !! ..

ولو
فكرت

يوماً في أن أستقر في لندن حقيقة فإن كل ما سوف أحتاج إليه هو : بيت أسكن فيه ولايكون مفروشا .. مجرد شقة فاضية . وبعد ذلك فكل شيء سهل إلى أقصى حد .. يكفي أن يكون لك « عنوان » لكن تستطيع أن تشترى لندن كلها بالتقسيط المريح وتفرش بيتك كأنه قصر الملكة في باكنجهام بأرخص أسعار تتخيلها . وفي خلال أسبوع واحد تجد نفسك تعيش في بيت كيوت نجوم السينما إذا كنت تستطيع أن تدفع الأقساط الأسبوعية التي تبدأ من ١٠ بنسات إذا اشتريت ساعة حائط – مثلا – إلى جنيه واحد على الأكثر إذا اشتريت غرفة صالون أو نوم فاخرة ..

نظام التقسيط هنا مهول جداً : تستطيع أن تشترى مبنى مجلس اللوردات بالتقسيط إذا شئت .. وبأقساط صعبة التصديق : غرفة مكتب رائعة خطيرة ، طقم جلد ومكتب يصلح لرئيس وزراء ومكتبة فاخرة : كل ذلك قسطه الأسبوعي ٩٥ بنسا ، يعني أقل من جنيه واحد .. فيللا فاخرة من دورين تسليم المفتاح ، يعني ما عليك إلا أن تحضر عفشك وتشرف : قسطها الأسبوعي خمسة جنيهات ، يعني أقل من الإيجار الأسبوعي الذي أدفعه لغرفتي الواحدة .. التليفزيون الملون تستطيع أن « تستأجره » بجنيه واحد في الأسبوع ، ولو ظللت تستأجره مدة معينة متصلة فإن حصيلة المبلغ الذي دفعته كـ« إيجار » يحتسب لك كجزء من الثمن إذا أردت في أي وقت أن تشتريه !! .. كل شيء يتخيله عقلك هنا بالتقسيط المريح إلى أقصى

حدود الراحة .. فقط إملأ الاستمارة وروح بيتك فتجد الأشياء التي طلبتها وقد سبقتك .. وحتى ذلك أيضاً ممكن أن يوفروه عليك : في إعلانات الصحف هنا : « إطلب ما تريد وأرسل لنا الثمن ونحن نرسل إليك طلبك بالبريد » ، ابتداء من دستة كوبايات إلى السيارة الآخر موديل .. كل شيء ممكن أن تشتريه بالبوستة .. ترسل الثمن — أو حتى جزءاً من الثمن — وبعد أيام قليلة يصل إليك طلبك بالبريد ، مهما كان حجمه ووزنه .. ويذكرون في الإعلان تكاليف البريد والتغليف التي تتحملها أنت . وهي على أي حال ضئيلة جداً إذا قيست بأنك ستوفر الوقت والنفقات في مشوار الذهاب إلى المحل والعودة منه .. وهناك محلات كبرى تقول في إعلاناتها إن تكاليف التغليف والبريد تتحملها هي . كنوع من المنافسة والإغراء الأكثر والتسهيل الأكثر .. ليس ذلك فقط ، بل أن هناك محلات — كثيرة جداً — تقول لك في إعلاناتها : « لا ترسل ثمن البضاعة الآن .. بعد أن تصل إليك البضاعة فعلا وتجربها وتستعملها لمدة ٦ أسابيع . إذا أعجبتك فأرسل لنا الثمن وكثر خيرك ، أما إذا لم تعجبك فأعد إلينا البضاعة — بالبريد — أيضاً — على نفقة المحل ، وكثر خيرك برضه ، ولن نسألك عن السبب الذى أعدتها من أجله » ! ! ..

والإعلانات

عن

البيع والشراء تطالعك في كل مكان تذهب إليه ، بشكل ظريف جداً وأنيق جداً ومغرى جداً ، في الشوارع وفي محطات المترو والأندرجراوند وفي الصحف .. إبتداء من أقلام الحبر الجاف المحفور عليها إسم سعادتك ، إلى جاراج السيارة واليخت والكارافان و ... حمامات السباحة ! ! ..

فقط إمتلك بيتا ، أو امتلك شقة ، وتستطيع بعد ذلك أن تفرشه وتؤثثه برخص التراب .. أسعار السجاد والأثاثات التي يعلن عنها كل يوم في

الصحف مذهلة .. رخيصة بشكل غير معقول .. بخمسة جنيهات فقط تستطيع أن تفرش غرفة كبيرة ٤ أمتار × ٣٫٥ بسجادة من الحائط للحائط .. البطانية الصوف الإنجليزي الرائعة بجنيه وربع .. ملاءتان للسرير بـ٩٩ بنسا .. غرفة نوم رائعة بـ١٠٩ جنيهات .. سرير تنام عليه تستخسر تقوم ، بـ١٤ جنيها .. مكتبة مهولة تشغل جداراً بأكمله وفيها بار ومكان للتليفزيون وآخر للراديو وثالث للريكوردر وباقى الأجهزة الأخرى ، بـ٢٤ جنيها .. فقط كل ما عليك هو أن تجد شقة فاضية غير مؤثثة لتسكن فيها ..

اللافتات التي تحمل كلمة « البيع » منتشرة جداً هنا على بيوت كثيرة معروضة للبيع .. الناس هنا غالبا يمتلكون البيوت ولا يستأجرونها .. شقق العمارات فقط هي التي تؤجر ، وغالبا تكون مفروشة .. ومع ذلك فإن صحف يوم الأحد تصدر وبكل صحيفة منها ٦ صفحات كاملة عن الشقق والبيوت المفروشة والخالية المعروضة للإيجار .. بعض البيوت تنشر صورة واجهتها من الخارج .. وفى الإعلان كل التفاصيل الممكنة : عدد غرف النوم والطعام والجلوس .. المياه الساخنة والباردة .. التكييف والتدفئة .. قرب البيت أو بعده عن المواصلات .. حديقة .. جاراج .. مؤثث أو غير مؤثث .. به تليفون وتليفزيون وراديو أم لا .. شكل الأثاث الذى فيه .. قيمة الإيجار المطلوب .. وما عليك إلا أن تختار البيت أو الشقة أو الغرفة التي تتوافر فيها المواصفات التي تريدها وترفع سماعة التليفون وتحجزها ، وتذهب لتسكن ..

وقد كنت أتوقع أن تكون أزمة المساكن هنا فى لندن خانقة ، لكن اتضح أن الأزمة أزمة جهل : جهلنا نحن بكيفية العثور على مسكن على الطريقة الإنجليزية !

وصلني

اليوم

بالبريد على عنوان البيت كتاب كنت قد طلبته ـ بالبريد أيضاً ـ .. الكتاب إسمه « چون مايرز John Mayers » في ١١١٤ صفحة غير الملاحق ، مطبوع ـ كله ـ على ورق كوشيه فاخر ـ كله ـ بالألوان المهولة الرائعة الطباعة و : يرسل لمن يطلبه .. مجانا ! !

والخواجة « چون مايرز » هذا ليس هو الذى اكتشف الجزر البريطانية وليس هو الذى حررها من الإستعمار ، إنما « چون مايرز » هذا الذى يصدر عنه هذا الكتاب ذو الألف صفحة وشوية ليس إلا واحداً من محلات إنجلترا الشهيرة التى تبيع كل شيء . . وهو حتى ليس محلا بالمعنى المفهوم ، إنما هو مجرد « مخازن » تبيع لك كل شيء : بالبريد فقط .. يعنى غير مطلوب منك أن تذهب إلى هذا المحل ، إنما فقط ـ بعد أن تقلب صفحات هذا « الكتالوج » المهول ـ « تكتب إليه » بيانا بالأصناف التى تريدها لتكون عندك بعد أسبوع واحد بالضبط .. وهذا الكتاب المهول ذو الألف ومائة صفحة يضم كل شيء يباع فى مخازن الخواجة « چون مايرز » إبتداء من إبر الخياطة وبنس الشعر والبونبون ولعب الأطفال ، إلى السيارات واللنشات واليخوت ـ وناقص كمان يبيعوا دبابات وطائرات وغواصات ـ بالصور الملونة وبيان الأسعار والمقاسات والأحجام والألوان وكيفية التقسيط : « ٦ بنس كل أسبوع تستطيع أن تشترى .....

ويبدو

أن

الإنجليز قد استغنوا تماماً الآن عن استعمال الزيت فى دهان الحوائط والجدران .. أغلب البيوت والفنادق والمحلات والمطاعم والكافيتريات التى

دخلتها يلصقون على جدرانها الورق المنقوش الملون بكل الألوان والنقوش التي تخطر والتي لا تخطر على البال .. ويكون شكلها أجمل وأحسن وأرق وأنظف من الدهان بالزيت ألف مرة : لا يقشر ولا يبقع ولا يتخدش ولا يبقع ولا حاجة أبداً . وسهل جداً في التركيب .. يعني شقة بأكملها أو محل كبير يتم لصق الورق على جدرانه في عدة ساعات قليلة وبأسعار رخيصة جداً لا تتجاوز ثلاثة جنيهات للغرفة الواحدة .. الظريف جداً في الموضوع أيضاً أنك إذا اشتريت عدداً من « رولات » أو لفات ورق اللصق هذا ، ثم لم تستعملها كلها وتبقت منها عدة لفات مقفولة لم تفض : فإنك تستطيع أن تردها للمحل الذي اشتريتها منه وتسترد ثمنها فوراً ! ! .. ناس سهلين جداً وبسطاء جداً في تعاملهم دون عقد ولا فيونكات ولا كلاكيع ..

كما

أنك

لست محتاجا إلى أن تزحم منزلك بأدوات وأشياء وأجهزة لن تستخدمها كثيراً ولن تحتاج إليها كثيراً . . لم أر بيتا واحداً فيه « غسالة بالكهرباء » — الموضة البورجوازية المنتشرة في بيوتنا في مصر الآن . . . لكن هنا في كل شارع كبير أو في كل ضاحية صغيرة محل أو أكثر « ماكينات الغسيل » .. محل كبير ليس فيه أي عمال إنما فيه مجموعة ماكينات غسيل متجاورة . . تفتح غطاء الماكينة لتضع غسيلك بداخلها وفوقه كمية من الصابون المبشور ، وتضع ١٥ بنسا في ثقب خاص ثم تضغط على زر صغير فتدور الماكينة لتقوم بغسل الغسيل بمعرفتها ، بينما تجلس سعادتك على كرسي في انتظار أن يتم الغسيل .. وحين تنتهي الماكينة من عملها تتوقف وحدها لتأخذ منها غسيلك المغسول المبلول لتنقله إلى ماكينة أخرى في نفس المحل لتقوم هي الأخرى بتجفيفه : تضع في ثقبها قطعة من ذات البنسين

وتضغط على الزر فتعمل الماكينة وتقوم بتجفيف غسيلك بواسطة الهواء الساخن .. وبعد حوالى نصف ساعة تخرج من المحل وغسيلك نظيفا ومجففا ، وما عليك بعد ذلك إلا أن تكويه بنفسك فى البيت ، لأنه ليس فى لندن كلها محلات مكوجية . .

حتى الأكل

أنت لست محتاجا إلى أن تطبخه فى البيت . ففى أغلب المحلات الكبيرة التى تبيع كل شىء تجد ركنا مخصصا للأكل الطازج الذى تستطيع أن تأخذه معك إلى البيت لتقوم — فقط — بتسخينه قبل أكله : قطعة السمك المقلية المثلجة بـ٢ بنس أو ٣ بنس .. قطعة كبيرة ممكن أن تأكلها فى المحل مثلجة وأنت واقف . أو تأخذها معك إلى البيت لتسخنها وتأكلها والعة ! ! . .

« الكولونيل كنتوكى » هو صاحب أشهر وأرخص سلسلة مطاعم منتشرة فى أنحاء إنجلترا كلها .. مطاعم تأكل فيها على الواقف أو تأخذ الأكل منها معك إلى البيت ساخنا مايليا . . ومطاعم « الكولونيل كنتوكى » — الضابط الإنجليزى السابق الذى تقول الإعلانات عن محلاته أنه قضى مدة خدمته العسكرية فى الهند — لا يبيع لك إلا صنفا واحداً فقط لا غير : الفراخ المحمرة « كنتوكى فرايد تشيكن » فى علبة صغيرة من الورق المقوى بـ٣٢ بنسا بها قطعتان كبيرتان لا تقلان عن نصف فرخة محمرة بطريقة شهية جداً ، دعايتها أنها مطهوة بالطريقة البيتى ، وإلى جانبهما كمية من البطاطس المحمرة .. يعنى وجبة كاملة مهولة بـ٣٢ بنسا فقط .. مفيد جداً « الكولونيل كنتوكى » هذا للعزاب وللأزواج الذين طفشت منهم زوجاتهم نتيجة حسن المعاملة ! ! . .

الإنجليز

ألغوا

الحساب من تعاملهم الذهني بعد الدخول الرهيب للآلات الحاسبة في حياتهم .. فألغوا تماماً عمليات الضرب والطرح والقسمة والجمع من أذهانهم .. وابتداء من العامل أو الموظف الصغير لغاية المدير العام أصبح الجميع — ما لم تكن أمامهم آلة حاسبة — يعدون على أصابعهم إذا أرادوا حتى حساب رقم مكرر : تدخل مكتب البريد لتشترى ٥ طوابع فئة ٣ بنسات .. عندنا نحسبها — في سرنا — هكذا : ٥×٣= ١٥ .. لكن هنا يشيرون على كل طابع بأصبعهم وهم يحسبون بصوت عال : ٣، ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ (!!) .. تدخل للمدير لتقول له إن مرتبك ٤ جنيهات في اليوم وأنك اشتغلت هذا الأسبوع خمسة أيام، فيعد المدير على أصابعه : ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ .. وهكذا ! ! ..

حاجة غريبة جداً . سيطرت الآلة على حياة الناس هنا تماماً ! ! . .

أختنا

« بيسة »

والدها رجل فاضل من رجال الدين وأستاذ في جامعة الأزهر ، لذا فهي تعتبر نفسها « أرشدنا » وولية أمرنا فيما يتعلق بأمور الدين .. ظلت « بيسة » شهرين كاملين تبحث وتدقق وتمحص وتستشير الفلك والنجوم والكواكب والأقمار الصناعية ، وكادت أن تضرب الرمل وتوشوش الودع وتفتح المندل حتى توصلت أخيراً إلى العثور على الـ « قبلة » في لندن — بكسرة تحت القاف طبعاً (! !) — فبدأت تصلى . .

الشغل الشاغل لـ « بيسة » منذ فترة هو شهر رمضان الذى سيأتي علينا ونحن في لندن : متى يبدأ وكيف سوف نصوم فيه وكيف نفطر وكيف

نسحر ؟ وهل نتبع مواعيد الإفطار والسحور والإمساك فى القاهرة — وفرق التوقيت بيننا وبينها ساعتان — أو نصوم على مواقيت ساعة !! « بجبن » الشهيرة فى لندن ، وهى ساعة مسيحية والله أعلم ؟ ! .. وكيف نحتفل بشهر رمضان ونحن لا نعرف الترجمة الإنجليزية المعتمدة ! (حالاو ياحاللو رمضان كريم يا حالاو) . . . ومنين نجيب فول مدمس وطرشى بلدى بالدقة على مائدة الإفطار كل يوم ؟ ! . .

وحين توصلت « بيسة » النشيطة إلى الوصول إلى حل فى هذه المسائل العويصة كان رمضان قد جاء وانتهى ، وكل سنة وهى طيبة ! ! .

أول

مرة

أتعامل مع البرود الإنجليزى الشهير كانت صباح اليوم ... غلطت غلطة صغيرة أشعرتنى بالمدى الممكن أن يصل إليه فعلا البرود الإنجليزى !

نزيلة حسناء جاءت إلى مكتبى وأعطتنى مفاتيح غرفتها لكى أحضر لها حقائبها لتغادر الفندق إلى المطار .. كنت مشغولا بتليفون هام خاص بالعمل ، ولما انتهيت من التليفون ضعت الساعة ونسيت تماماً موضوع حقائب النزيلة الحسناء ؛ وهى — بالبرود الإنجليزى الشهير الذى يظهر وقت اللزوم — لم تحاول أن تذكرنى أو تكرر الطلب منى ، إنما جلست فى صالون مدخل الفندق ووضعت ساقا فوق ساق وأشعلت سيجارة وتركت — ببساطة جداً — موعد طائرتها يمر ويضيع ! ! : فلما تذكرت أنا وأسرعت أحضر لها حقائبها كان أوتوبيس الفندق قد انطلق إلى المطار فعلا وتركها !! . . واكتشفت أنا إذ ذاك أن المفروض أن أطلب لها تاكسى — على حسابى الشخصى — لكى يذهب بها إلى المطار ، فإذا لحقت بطائرتها كان بها ، أما إذا لم تلحق بها فتعود إلى الفندق لتبيت فيه الليلة إقامة كاملة على حساب الفندق خصما من مرتبى ، لأن الغلطة غلطتى وأنا

الذى أتحمل نتائجها ! ! . .

لكن ربنا ستر ولحقت بطائرتها . فلم يخصم منى غير جنيه ونصف فقط : أجرة التاكسى ! ! .

آخر

أخبار

مغامرات أخونا « كالح » جرسون الكافيتيريا الذى يريد أن يتزوج من إنجليزية . أى إنجليزية : استفرد اليوم بـ« سوسن » طالبة كلية التجارة — الطيبة الساذجة التى تصدق أى شىء يقال لها — ليسرح بها سرحة كبيرة جداً ولا أفلام الجاسوسية والعصابات .. قال — فض فوه — إنه إذا كان خالها — اللى هو أنا يعنى — صحفى ، فإنه — اللى هو « كالح » — هو أيضاً فى « مهمة خاصة » هنا فى لندن . وبعد أن تنتهى « مهمته » هنا سوف ينتقل إلى جنيف فى مهمة مماثلة .. وهو لن يستطيع أن يصرح لها بنوع « مهمته » ، لأنها من النوع الـ« Top Secret » أو « السرى جداً » ، وعليها أن تفهمها كده لوحدها دون أن يقول هو شيئاً ! ! .

فرحت « سوسن » كطفلة صغيرة بهذه القصة السينمائية الظريفة التى تدور حوادثها بين لندن وجنيف والقاهرة . وجاءت مسرعة لتحكيها لى !! فلما ذهبت إلى الفندق فى المساء طلبت « كالح » وقلت له أن « الرسالة » التى أراد إبلاغها لى قد وصلتنى . لكننى لم أفهم بالضبط ما الذى يريدنى أن أفهمه ؟ ! .. فأنكر أنه قال ذلك بالتحديد لـ« سوسن » . إنما قال لها : « إفرضى يعنى إن أنا قلت كده : ماهو كل واحد يقدر يقول على كيفه » .. فلما حاصرته وضيقت عليه الخناق قال أخيراً : « شوف يأه : أنا حاقول لك على كل حاجة بصراحة ، وبعدين حاروح السفارة المصرية وأسألهم عنك إذا كنت انت صحفى بصحيح والا لأ .. فإذا كنت مش صحفى حاطلب منهم إنهم يحرسونى ويحموفى منك !! .. أصل فى الحقيقة ..... » ..

وقبل أن يصارحنى الأخ « كالح » بـ«الحقيقة » ، جاءت « بيجى » مديرة الكافيتيريا فى الوقت السينمائى المناسب تماماً لتشخط فيه وتسوقه أمامها إلى داخل الكافيتيريا ليعود إلى عمله .. ويتوقف الفيلم الجديد لـ« كالح » عند هذا الحد ، الليلة على الأقل ! ! .

الآلات

والماكينات

الإنجليزية يبدو أنها لا تحب الهزار أو لا تحب أن يستكردها أحد . . « سوسن » و« سناء » كانتا تتجولان اليوم فى الضاحية فشاهدتا ماكينة المشروبات المثلجة والساخنة التى تضع فيها ٣ بنسات وتضغط على زر فيخرج لك كوب من المشروب الذى طلبته ... لم تجد « سناء » معها فكة غير ٢ بنس فقط فأرادت أن « تخم » الماكينة ، فوضعت الـ٢ بنس وضغطت على زر الشاى الساخن ، لكن يبدو أن الماكينة كانت متوعكة المزاج الليلة وليس لديها استعداد للهزار ، فأعادت لها الـ٢ بنس من فتحة أخرى وشخطت فيهما باللغة العربية : « إجرى يابت انتى وهى العبوا بعيد » !! .

الحقيقة أنه نزل لهما فى الكوب ماء ساخن فقط دون شاى ، ومن باب « الأمانة الإلكترونية » أعادت إليهما الماكينة الـ٢ بنس بتوعهم !! .

برغم أن

مستر

« هوبكنز » المدير المساعد للفندق ــ الذى عينى هنا ــ لم يدخر وسعاً فى نشر «السر» الذى اتفقنا على أن نحتفظ به بيننا ، حتى علم كل الناس الذين يعملون فى الفندق أننى صحفى ، وأن عملى كـ « بورتر » فى الفندق ليس إلا مهمة صحفية من نوع خاص ، فإنه قد جاء الدور

عليّ أنا أيضاً — كمصري — منذ عدة ليال لكي أمر بتجربة وذالة بعض الإنجليز . .

الست الأيرلندية الشمطاء « بيجي » مديرة الكافيتيريا لاحظت أنني لا أطلب في العشاء كل ليلة إلا صنفاً واحداً لا يتغير هو : الفراخ .. لفت ذلك نظرها فسألت « سوسن » و « سناء » فقالتا لها إن ذلك لأنني مسلم ولا أستطيع أن أطمئن إلى اللحم الذي يقدم في الكافيتيريا خوفاً من أن يكون من لحم الخنزير الذي تحرمه ديانتنا . . ومن هنا قررت الست « بيجي » أن تضطرني إلى طلب لحم الخنزير غصباً عني . . فادعت منذ عدة ليال حين دخلت للعشاء أن الفراخ قد انتهت ، فطلبت سمك . . وفي الليلة التالية قالت لي على الفور وأنا داخل للعشاء : « لا يوجد الليلة لا فراخ ولا سمك » . فطلبت فطيرة ببيض مقلي بالجبنة .. فلم يكن منها في الليلة الثالثة — من غيظها مني — إلا أن ادعت أن الكافيتيريا مغلقة من الساعة ٢ إلى ٥ صباحاً لتنظيف المطبخ . وهي تعلم أنني لا أتناول عشائي قبل الثالثة صباحاً كل ليلة ! ! .

« سوسن » حين وجدت أنني لن أتعشى في تلك الليلة « هرّبت » لي ربع فرخة أكلتها في السر وأنا أتمشى في الظلام في حديقة الفندق ليلا . . وكنت أشعر أنها أشهى وأظرف وألذ وجبة عشاء أكلتها في حياتي . . بالعند في الست « بيجي » الشمطاء ! !

(١٣)

□ جاك ماشاش .. فى روكاباك !! □

أعمل

أربعة

أيام فقط فى الأسبوع .. المفروض أن عدد الساعات التى أعملها لا تزيد عن ٤٠ ساعة أسبوعياً ، ولما كانت مواعيد عملى من الساعة ١٠ مساء إلى ٨ صباح اليوم التالى ؛ يعنى ١٠ ساعات كل ليلة ، لذا فإننى أعمل ٤ أيام فقط فى الأسبوع ..

وبالرغم من أننى قد أصبحت « رئيس واردية » بعد ١٤ يوماً فقط من تعيينى كما ذكرت من قبل ، إلا أن ذلك يحدث ليلتين فقط كل أسبوع ، وذلك معناه أننى أكون « مرؤوسا » فى الليلتين الأخريين ، وحسب جدول الورديات فإننى أعمل كل ليلة من الليلتين مع رئيس مختلف : مرة مع « ريتشارد » والثانية مع « تونى » .. وكلاهما شاب صغير عمره ٢٤ سنة ، لكنهما يختلفان اختلافاً مهولا ..

« ريتشارد برايان Richard Brayn » و « تونى مورجن Tony Morgan » ، كل منهما يمثل نوعية مختلفة من الشعب الإنجليزى : « ريتشارد » هو الإنجليزى الساذج الطيب الأهبل « الهليهلى » الذى تقترب به سذاجته وطيبته من حد العبط ، ولم يكن هذا هو رأيى أنا وحدى فيه ، إنما كان رأى زملائه ورؤسائنا أيضاً ، وبالرغم من ذلك فقد كان « ريتشارد » هو أكثر واحد أحببته فى الفندق كله ..

أما « تونى » فهو على العكس من ذلك تماماً : « جون بول » صغير ..

إنجليزى متعجرف ومتغطرس ومغرور . . مهم جداً ومرسوم على الآخر . . ويعتقد أنه إذا كانت ميزته الوحيدة فى الدنيا هى أنه إنجليزى فذلك يكفى . . متشبث بالوهم القديم الذى يصور له أن « الإنجليز هم سادة العالم » : وكل من عداهم فهم خدم وحشم وعبيد للسادة الإنجليز !! . . «توفى» كان يعمل كهربائياً . ثم ترك الأعمال الكهربائية « لأسباب صحية » — كما قال لى هو — وجاء ليعمل كـ « بورتر » فى هذا الفندق منذ نحو سنة ونصف . وسرعان ما تدرج فى الترقى سريعاً حتى أصبح رئيس واردية . ثم رئيساً لكل الـ « بورترز » العاملين فى كل ورديات الليل .. يعنى رئيساً على « ريتشارد » أيضاً . .

طوال الفترة التى قضيتها فى العمل فى هذا الفندق كانت أكره ليالى الأسبوع إلى قلبى هى تلك الليلة الوحيدة التى يكون « توفى » فيها هو رئيسى .. « ريتشارد » يقتسم معى كل الأعمال المهمة والبسيطة بالعدل والقسطاس . وبأدب شديد .. أما « توفى » فهو يقعد و « ينجعص » فى المكتب ويتولى هو كل الأعمال الإدارية المهمة ويترك لى عملا واحداً فقط ، هو توصيل حقائب النزلاء من وإلى غرفهم .. حتى أصبح جلد باطن يدىّ خشناً جافاً قريباً من ملمس «السنفرة» ! . وحتى تصورت أنى سوف أعود من هذه الرحلة « الصحفية » بانزلاق غضروفى أكيد .. وحتى إنى أحياناً — من فرط غلاسة « توفى » وغلاسة بعض الإنجليز — أكاد أنسى مهمتى وأصيح فيه وأنا أخلع جاكتة الـ « يونيفورم » وألقيها فى وجهه : « أنا صحفى يا أولاد الـ . . . . وبحترم عنكم كلكم » . ثم أعود فأتذكر المهمة التى أنا هنا من أجلها . وأنى لو عوملت كصحفى لما رأيت الصورة الحقيقية التى أريدها والتى أراها الآن فعلا . ولأننى كما قال لى مستر « هوبكنز» المدير المساعد يوماً ما : « قد تكون أشهر صحفى فى بلدك أو أشهر صحفى فى العالم ، لكنك تعمل عندنا هنا « بورتر » فقط » ! ! .

بما أن

« ريتشارد »

هو الإنجليزى الطيب الساذج الوحيد فى المحيط الذى تعمل فيه . فإنه كان « لقطة » وصيداً ثميناً بالنسبة لـ « سوسن » التى لا تترك أحداً فى حاله : إكتشفت « سوسن » أن « ريتشارد » (يجيد) من اللغة العربية كلمة واحدة فقط — لايعرف حتى معناها — هى كلمة « إمشى » التى التقطها من ترديد « أمين القصاص » لها أمامه . . ووقع « ريتشارد » مرة بلسانه فقال لـ « سوسن » : « إمشى » ، فلم يخلص منها : ظلت وراءه حتى جعلته يحفظ عبارة كاملة باللغة العربية مكونة من ٤ كلمات بحالها .. وأعجبت العبارة « ريتشارد » فظل يتذوقها ويستطعمها ويلوكها بلسانه المعوج حتى حفظها تماماً وأصبح « لبلب » ويقولها لكل الناس — حتى للمديرين — بمناسبة وبدون مناسبة ليجعلهم يعرفون أنه أصبح الآن « يجيد اللغة العربية » . . فينطقها بلكنته الخواجاتى على مقطعين ، وبوضوح شديد : « جاك ماشاش — فى روكاباك » . .

« جلك مشش فى ركبك » ! ! . .

كان

عندنا

الليلة فى الفندق زحمة شغل رهيبة : طائرة وصلت عند منتصف الليل وعليها نحو ٢٠٠ سائح من أصحاب الملايين الأمريكان العواجيز الكهنة المهكعين ، أكثرهم « شباباً » تعدى الستين بكثير .. أوصلت حقائبهم جميعاً إلى غرفهم فلم يعطنى ولا واحد منهم بقشيشاً أكثر من كلمة «Thank you» .. ورئيس الوفد العجوز يبتسم لى من بعيد كأنما يطمئننى إلى أن الحساب عنده فى الآخر ! .. وفى النهاية أوصلته هو وزوجته

إلى غرفتهما . فمد يده فى جيبه وأخرج محفظته وعبث فيها قليلا ثم مد يده إلىّ ب : بنس ونصف ! ! يعنى ثلاثة تعريفة ! ! . .
بمناسبة البقشيش : أظرف بقشيش تلقيته طوال مدة عملى بالفندق حتى الآن كان : طابع بريد يابانى جديد من فئة العشرة « ين » .. نزيلة يابانية حسناء قدمته لى بدلا من البقشيش ! ! . .

رجل
الأمن

الوسيم ذى الشعر الأحمر : « جوينفور إيڤانز Gwynfor Evans » الذى يعمل فى مطار « هيثرو » ويقيم فى الفندق عندنا ، عائد غداً إلى موطنه « ويلز » فى أجازة لمدة شهرين .. وكان طوال فترة وجوده معنا صديقاً لكل المصريين . . جاء « إيڤانز » الليلة ليودعنى قبل سفره ، وليقول لى إنه قرأ كثيراً عن الفدائيين العرب ويعرف الكثير عن مشكلة الشرق الأوسط ، وأنه يكره الإسرائيليين كما نكرههم نحن ، وكما يكره أهل « ويلز » وأهل أيرلندا الإنجليز .. وأنه سوف يأتى قريباً ذلك اليوم الذى يطرد فيه العرب اليهود من فلسطين كلها ، كما سيأتى أيضاً اليوم الذى يستطيع فيه الأيرلنديون أن يطردوا الإنجليز من بلادهم ، ويتحرر أهل « ويلز » و ينالوا استقلالهم عن إنجلترا . .
حقيقة ، من النادر أن يلتقى المصرى أو العربى فى أوروپا كلها ، وليس فى إنجلترا فقط ، بواحد أوروبى له آراء « إيڤانز » . .

زمان ،
وأنا

طفل ، كنت حين أتلكأ يومين أو ثلاثة عن موعدى « الأسبوعى » فى الذهاب إلى الحلاق ، تقول لى أمى : « راسك بقت عاملة زى (راس

العبد) ينفضوا بيها السقف وشكلك بقى يضحك . إجرى إحلق » . . . اليوم لى ثلاثة شهور فى لندن لم أذهب فيها للحلاق ، وأصبح رأسى مثل « راس العبد » فعلا ولا أحد يضحك علىّ ولاحاجة ، بالعكس ، الناس هنا يظنونى « ماشى مع الموضة » . لأن الموضة هنا أن الناس اللى شعرهم أكرت يتركون شعرهم هايشاً كالمنفضة فوق رؤوسهم . . الأغرب من ذلك — أو على الأصح : الأعبط من ذلك — أن الناس اللى شعرهم ناعم يذهبون إلى الحلاق لـ « يكركته » لهم لكي يبدوا أكرت . . ولله فى خلقه شئون ورزق الهبل على المجانين ! ! . .

وأنا لم أطلق شعرى تشبهاً بالـ « هيبيز» لا سمح الله ، ولا تأثراً بجو الحياة فى لندن ، لكن لعدم ثقتى فى أن الحلاقين هنا سوف يفهمون ما أريده بالضبط ، لأننى لا أعرف اصطلاحات الحلاقة باللغة الإنجليزية ، وحتى لو كنت فى أى بلد عربى فأيضاً لن أستطيع أن أجعل الحلاق الليبى أو اللبنانى أو اليمنى مثلا يفهم ما أريد ، لأن لكل بلد عربى اصطلاحاته الخاصة فى المهنة ، إلا إذا أريتهم صورة فوتوغرافية لى وأنا حالق .. فأنا أحلق حلاقة أقرب إلى العسكريين ،وقطعاً نسى الحلاقون هنا شكل الحلاقة التقليدية ، لأن الرجال جميعهم هنا — كباراً وصغاراً ، عواجيز وشباناً — قد أطلقوا شعورهم لتنهدل على أكتافهم كشعور النساء .. وحين ذهب « أمين القصاص » — مجازفاً — ليحلق شعره قصيراً ، جعلوه كالكتكوت الشركسى الأزعر أبو رقبة طويلة حين يقع فى الماء فيبتل ريشه ويتلباك . . حلقوا له حلاقة غريبة جداً جعلت شكله مضحكاً . . وأنا أفضل أن أعود إلى مصر بعد خمسة شهور وشعرى طويل وأقصه فى مصر ،من أن يبدو شكلى مضحكاً هنا أمام ولاد الـ . . . . إنجليز ! ! . .

بالمناسبة : سعر حلاقة الشعر هنا جنيه إسترلينى كامل ، ، وربنا يجعل كلامنا خفيفاً على الحلاقين فى مصر ! ! . .

وبالمناسبة أيضاً : سألت « بوب » فى الإستقبال الوسيم ذو الشعر .

الطويل المنهاف المتدلى ناعماً على كتفيه أطول من شعور البنات :

— بوب . . شعرك بقى طوله كده فى قد إيه ؟ . .

فأجاب :

— فى سنتين تقريباً . . .

قلت وأنا أتحسس شعرى :

— يعنى تفتكر شعرى ممكن يبقى « زى » شعرك بعد قد إيه ؟ .

فنظر «بوب» بدهشة شديدة إلى شعرى الأكرت المجعد المكرمش وقال باستنكار عظيم :

— ولا بعد ١٠٠ سنة طبعاً ! ! .

تعلمت

من

الإنجليز شيئاً هاماً : هو عدم الاحتفاظ بالأشياء التى ليس لها لزوم . . فإنك لن تجد فى البيت الإنجليزى أية كراكيب أو أى شىء يجعلك تشعر أنه زائد عن حاجة البيت أو زاحم الدنيا بدون مناسبة وبدون مبرر . . . .

أتصور الآن أننى لو استفدت — بعد عودتى إلى القاهرة — مما تعلمته من الإنجليز فرميت كل الأشياء التى ليس لها لزوم فى بيتى . فسأفاجأ بأن البيت قد أصبح على البلاط ! ! . .

« ليلى

سليمان »

. . الإذاعية المصرية التى تعيش وتعمل فى لندن منذ نحو سنتين ، اتصلت بى بالتليفون اليوم لتدعونى إلى الغداء فى أحد الكازينوهات

على نهر التيمس . دعوة على الطريقة الإنجليزية : نتغدى معاً . لكن كل واحد يدفع لنفسه ! ! . .

أنا و « ليلى » أصدقاء من زمان صحيح . لكنها صداقة « الزمالة » بين الشاب والفتاة على الطريقة المصرية .. يعني صديقين داخل نطاق العمل فقط . وعند الباب الخارجي للمبنى الذى نعمل فيه معاً تنتهى « صداقتنا » تماماً ونكاد لانتبادل التحية إذا التقينا مصادفة فى الشارع .. فما الذى غيّر « ليلى» وجعلها «سبور » إلى هذا الحد الذى تدعونى فيه هى لنخرج معاً ؟ ! . .

لم تتغير « ليلى » . . بالعكس . . إن مشكلتها هى مشكلة البنت المصرية التى تعيش وتعمل وحدها فى أوروبا . لكنها تظل « تفكر » و « تتعامل » بالعقلية المصرية كأنها ما زالت موجودة فى مصر .. الفتاة الأوروبية تخرج مع أى شاب يطلب منها أن تخرج معه : وطالما أنها ليست مرتبطة بمواعيد أخرى فهى لا ترفض موعداً لشاب للخروج معه ، بل وتتوقع — ببساطة جداً ، وتندهش إذا لم يحدث — أن تنتهى السهرة بأن تذهب معه إلى بيته أو يذهب معها إلى بيتها إذا كانت تعيش وحدها .. وممكن جداً أن تكون « ليلة وتعدى » ولا تتكرر ولاتحدث مرة أخرى ، بل وقد تكون تعرف جيداً أنها لن ترى هذا الشاب مرة أخرى .. لكن الفتاة المصرية التى «تعيش» فى أوروبا غالباً لا تفعل ذلك . . فهى تظل وفى ذهنها الفكرة الشرقية التقليدية من أنها لاتخرج مع شاب إلا إذا كانت ترتبط معه بعلاقة حب تؤدى فى نهاية الطريق إلى الزواج . . كون أن العلاقة تنتهى أو لا تنتهى بالزواج فعلا فذلك موضوع آخر .. المهم أنها لاتخرج مع شاب إلا إذا كان هناك حب يربط بينها وبينه .. ومن هنا تعيش « أغلب » الفتيات المصريات فى أوروبا متقوقعات على أنفسهن ، لاخروج ولادخول ، حتى يصادفهن الحب .. ومن هنا أيضاً فإن وجود « صديق » أو « زميل » عزيز من مصر فى زيارة محدودة للندن فرصة للتنفيس

عن الإنغلاق و « الحبسة » التي تعيش فيها الفتاة المصرية ، بحجة الترحيب به وإكرام وفادته وبحجة أن تكون مرشدته ودليله في مشاهدة لندن ، برغم أني أعرف عن لندن في ست زيارات ما لم تعرفه «ليلى» في سنتين متصلتين قضتهما فيها .. لكن الذي أعرفه أكثر ، وأقدره أكثر ، هو إحساسي بالضيق النفسي الذي تعانيه « ليلى » والذي جعل وزنها يزيد عشرة كيلو جرامات عن آخر مرة رأيتها فيها منذ سنة ونصف تقريباً.. نتيجة «القعدة» في البيت وقلة الحركة وعدم الخروج إلا إلى العمل . .

و « ليلى »

تعمل

كمقدمة برامج في مراقبة تعليم اللغة العربية بالراديو في البرامج الموجهة في إذاعة القاهرة .. ومهما كان العمل ظريفاً فإنه بعد فترة من الوقت يصبح روتينياً مملا غير متجدد ، ويصاب المرء بحالة من القرف والإكتئاب والملل والزهق تجعله يكاد يكره عمله ويكره كل ما يحيط به ، ومن هنا لعلها كانت الحكمة في وجود « الأجازة السنوية » . . وتمر هذه الحالة بـ «ليلى سليمان» إلى جانب مجموعة أخرى من الظروف النفسية والظروف الشخصية تجعلها تتصور أنها لاسبيل لها إلى الخلاص من هذه الحالة إلا بالإبتعاد عن عملها والإبتعاد عن البلد كلها لفترة من الزمن.. وهكذا حصلت « ليلى » على أجازة بدون مرتب وجاءت إلى لندن منذ نحو سنتين .. ويشغلها عملها الجديد في أحد فنادق لندن الكبيرة ، ويشغلها شكل الحياة في لندن عن حالتها بعض الوقت ، لكنها بمضي الوقت تعود إليها نفس الحالة وعلى أشد . . فتصبح أكثر عصبية وأكثر زهقاً ومللا ، وتكاد تكون « مش طايقة حد » ، ومش عارفة هي هنا في لندن بتعمل إيه ، ولا تجد مبرراً لاستمرار بقائها في لندن بعد أن أصبحت الحياة في لندن — أيضاً — روتينية هي الأخرى بالنسبة إليها .. وفي الوقت نفسه فإنها تخشى أن تعود

إلى عملها فى إذاعة القاهرة لأنها تعرف أنه لم يتغير ولن يتغير ، وأيضاً — بالرغم من إعجابها الشديد بشكل الحياة فى لندن — إلا أنها لم تستطع أن تحبه ولا أن تتواءم معه .

قلت لـ « ليلى » متفلسفاً :

— ليس المهم أن نغير عملنا ولا أن نغير المكان الذى نعيش فيه .. المهم أن نغير ما بداخل نفوسنا ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ألم تكن لديك الفرصة لترتبطى بصداقات مع الإنجليز ؟

قالت « ليلى » توضح لى شيئاً لم يكن غامضاً على :

— الشاب الإنجليزى ياعزيزى شاب عملى ، ليس لديه وقت الصداقة بين الشاب والفتاة كما أفهمها أنا وكما تفهمها أنت . . الشاب الإنجليزى ليس مرشداً سياحياً ولا فاعل خير ولا متطوعاً للخدمة العامة ولا عضواً فى جمعية الصداقة المصرية الإنجليزية . . الشاب الإنجليزى ، مثل أى شاب أوروبى ، يتعرف بالفتاة ويخرج معها وأمام عينيه مثل إنجليزى مشهور يقول :

«Find them - Feed them - Love them - Leave them.» !!

يعنى : « إعثر عليهن — إدعوهن للغداء أو العشاء — مارس معهن الجنس — ثم اهجرهن بعد ذلك فوراً ! . » .

□ مسكينة « ليلى » . . ستعود من لندن أكثر تعقيداً مما ذهبت ! ! . .

كان

معى

عنوانه حين جئت من القاهرة ، لكننى حين بحثت فى خريطة لندن عن إسم الشارع الذى يقيم فيه لأعرف فى أى حى من أحياء لندن يسكن زميلنا الإذاعى « إبراهيم عطية » ، لم أعثر على إسم هذا الشارع على

خريطة لندن كلها . فتصورت قطعاً أن الذى أعطانى العنوان قد أخطأ فى كتابة إسم الشارع .. لكننى لكى « أخلص ضميرى » لم أجد أمامى إلا طريقة واحدة يمكن تجيب نتيجة : كتبت العنوان كما هو على ظرف خطاب ووضعت عليه طابع بريد . وكتبت كلمتين أقول فيهما لـ « إبراهيم » أننى موجود فى لندن ورقم تليفونى هو كذا . وأرجوه أن يتصل بى هو إذا وصله هذا الخطاب . . وألقيت الخطاب فى صندوق البريد وريحت نفسى من هذه المشكلة . .

وفى الليلة التالية مباشرة دق جرس التليفون على مكتبى ليأتينى صوت « إبراهيم عطية » يرحب بى فى لندن . . ويشرح لى السبب فى عدم وجود الشارع الذى يسكن فيه على خريطة لندن . ذلك لأن المنطقة التى يسكن فيها « إبراهيم » منطقة جديدة ، تدخل ضمن التوسعات التى امتد إليها العمران حديثاً فى أطراف لندن . .

لم أر « إبراهيم عطية » منذ ٤ سنوات تقريباً . . « إبراهيم » كان موظفاً فى مراقبة عقود الإذاعة بشهادة متوسطة . وكانت مشكلته دائماً هى أن طموحه أكبر من الإمكانيات المتاحة له : يريد أن يدرس سينما . لكن معهد السينما فى مصر لم يقبله ، وحتى لو كان المعهد قد قبله لما استطاع «إبراهيم» الإنتظام فى الدراسة فيه بسبب مواعيد عمله فى الإذاعة .. وفى لحظة من لحظات « الإلهام » يقرر « إبراهيم » أن يترك عمله فى الإذاعة ويأتى إلى لندن ليدرس السينما فى معاهدها .. لكنه بمجرد وصوله يكتشف أن « ما ألعن من ستى إلا سيدى » .. وأنه إذا كانت مشكلته فى مصر أن معهد السينما فى القاهرة لم يقبله دارساً به ، فإن معهد السينما فى لندن يرحب به صحيح ، لكن على أن يدفع ٣٠٠ جنيه إسترلينى كل سنة كمصاريف دراسة ! ! . . ولم يكن ذلك سهلاً طبعاً بالنسبة إليه فى بداية حياته فى لندن . . فأجل مشروع دراسته للسينما مؤقتاً حتى يستقر ويعمل فى لندن ويعرف أوله من آخره .. لكن الواضح الآن أن « إبراهيم » قد استقر وعرف أوله من

آخره . وعرف أيضاً أن القصة تتكرر مرة أخرى . وأنه لن يستطيع دراسة السيما في لندن أيضاً . .

« إبراهيم »

بدأ

حياته في لندن كغسال أطباق . ثم مساعد جرسون . وهو الآن جرسون . . وكان ممكناً أن يصل إلى وظيفة رئيس جرسونات لو أراد — بحكم الخبرة والأقدمية — لكنه لا يريد . لأن دخل الجرسون أكبر : والجرسون في إنجلترا — لو تعلمون — شيء عظيم . .

كان آخر مرتب تقاضاه « إبراهيم » في مصر ١٣ جنيهاً ونصف جنيه بعد عمل ٧ سنوات في خدمة الحكومة ، والآن دخله الشهري ١٢٠ جنيهاً إسترلينياً . غير البقشيش . . وهو يشعر جداً بالفارق الرهيب في المرتب لأنه يحيا هنا حياة أحسن بكثير من المستوى الذي كان يحيا فيه وهو في مصر : يسكن بستة جنيهات في الأسبوع في شقة صغيرة في أطراف لندن : غرفة واحدة وصالة ومطبخ وحمام . استأجرها خالية وفرشها هو . . عنده الآن تليفزيون ملون وثلاجة وبوتاجاز وماء ساخن وماء بارد ودفاية وسيارة « هيلمان » صغيرة و . . زوجة ألمانية وطفل : « جيما رايلي » و « كريم » . .

وليست

قصة

وجود « إبراهيم عطية » في لندن قصة نجاح بقدر ما هي صورة صادقة بدون رتوش لشخصية مصرية تعيش في لندن . . ويقول « إبراهيم » إنه كسب كثيراً من مجيئه إلى لندن .. كسب المعرفة قبل كل شيء .. أجاد اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة وحديثاً . فتفتحت أمام عينيه كنوز معرفة

وكنوز ثقافة . . ورأى بعينيه أماكن كان يسمع عنها فى الكتب ويقرأ ما نكتبه نحن الصحفيين عنها .. و : « الناس فى مصر متصورة وفاهمة أننا بنيجي هنا لندن نلاقى الفلوس مرمية فى الأرض تحت رجلينا واحنا ما علينا إلا أننا « نتنازل » ونلمها . . . ما يعرفوش أننا بنشقى ونتعب ، وأن الشغل فى لندن مش حاجة بسيطة ولا حاجة سهلة » . .

« إبراهيم » ينوى أن يستقر هنا فى لندن على طول ، خصوصاً أنه فى شهر أكتوبر الماضى كان قد أتم ٤ سنوات فى إنجلترا وأصبح من حقه أن يعامل معاملة الإنجليز فى كل شيء من ناحية الوظائف . . فقبل هذه السنوات الأربع كان ممنوعاً أن يعمل — كأجنبي — إلا فى أعمال الخدمة فى الفنادق ، لكنه الآن يستطيع أن يعمل فى أى وظيفة تسمح بها إمكانياته وخبراته . . كما أنه يستطيع أن يبدأ بنفسه أى مشروع أو يفتح محلا .. وفى ذهنه الآن يدور مشروع محل فول وطعمية يبيع فيه الصاندوتش بـ ٤٠ بنساً ، يعنى حوالى ٧٠ قرشاً مصرياً — ربنا يجعل كلامنا خفيف على التابعى أبو قرشين صاغ — .. وحين تتحسن ظروف « إبراهيم » فإنه سوف ينعش من جديد فكرة دراسة السينما حتى لو كان عنده ٦٠ سنة ؛ لأنه فعلا غاوى سينما ويحبها فناً وليس مظهراً . .

« إبراهيم »

لديه

مشكلة صغيرة جداً ، لكنها ظريفة جداً : زوجته « جينا » مازالت حتى الآن غير مسلمة . . أرادت أن تكون مسلمة ، فذهب بها « إبراهيم » إلى المركز الإسلامى فى لندن ليشهر إسلامها ؛ لكن « الشيخ شلبى » أصر على أن تحفظ « جينا » — التى لا تتكلم العربية — (ربعاً) من القرآن « يسمعه لها » ، وأن تتوضأ وتصلى ٤ ركعات أمامه ، كامتحان لها قبل أن يوافق على إشهار إسلامها ! ! . . ولما كان ذلك مستحيلا طبعاً فقد

قرر « إبراهيم » أن يأخذ زوجته ويحضرا إلى القاهرة فى زيارة سريعة : فقد يكون إشهار إسلامها فى القاهرة أسهل ! ! . . ويقول « إبراهيم » إن « الشيخ شابى » لو امتحن « إبراهيم » نفسه — المسلم منذ ولادته — فى حفظ الـ « ربع قرآن » وكيف يتوضأ ويصلى ، لرفضه من الإسلام ، لأن « إبراهيم » لا يحفظ القرآن ولا يصلى . ومع ذلك فهو مسلم برغم أنف « الشيخ شابى » ! ! . .

عثرت

الليلة

بالصدفة على واحد آخر من أسرة الإذاعة والتليفزيون موجود فى لندن : « مهاب مرزوق » . . « مهاب » يعمل مخرجاً فى البرامج السينمائية فى تليفزيون القاهرة بعد تخرجه من معهد السينما منذ ٧ سنوات .. لكنه — هو أيضاً — شعر فجأة أن الأيام والشهور والسنوات تمضى وراء بعضها دون أن تحمل إليه الجديد الذى كان يتوقعه . . ويشعر أن فى داخله أشياء تتفاعل وتريد أن تخرج لكنه لا يعرف ما هى على وجه التحديد ، فأراد أن يعطى الفرصة لهذه التفاعلات لتخرج فى جو جديد وفى ظروف تجربة جديدة ، فخرج من مصر خروجاً بوهيمياً وجاء إلى لندن بلا خطة ولا مشروعات ولأى شىء على الإطلاق إلا أن يرى شيئاً جديداً ويتعامل مع جو جديد لمدة سنة واحدة . . ونلتقى هنا بالصدفة لنجد أنفسنا وكل منا جاء تقريباً لنفس الفكرة ونفس الغرض ، ولا يفصل بيننا إلا عرض شارع صغير إسمه « باث رود » : هو يعمل فى فندق الشيراتون ، وأنا أعمل فى فندق الـ « ستار إربورت هوتيل » .. وإن كنت بعد أنا أن تنتهى مهمتى هنا سوف أعود إلى مصر فوراً ، أما « مهاب » ففى ذهنه أن يتجه إلى أمريكا بمجرد أن يستطيع أن يدخر ثمن تذكرة الطائرة إليها . . لكى يستكمل هناك تجربته التى يريدها . .

شعرت

الليلة

تماماً بالأزمة الممكن أن يواجهها المفلس فى بلاد غريبة . . كنت مرتبطاً بموعد مع صديقتى الصحفية الكندية الشابة « سوزانا روبنسون » لنلتقى فى لندن . . لكننى إكتشفت فجأة أننا فى نهاية الأسبوع ، وأنى مفلس جداً وليس فى جيبى غير ٤٥ بنساً فقط . . نزولى إلى لندن سوف يكلفنى ذهاباً وعودة ٣٥ بنساً ، ولا أستطيع على الإطلاق أن أجازف بالذهاب إلى لندن وفى جيبى ١٠ بنسات . . لنفرض أن تذكرة العودة ضاعت من جيبى . . لنفرض أننى تهت ولم أعرف أين أنا وأردت ركوب المترو الـ « أندرجراوند » مرة زيادة . . لنفرض أنه صادفتنى أية ظروف مفاجئة لم تكن فى الحسبان جعلتنى أحتاج إلى أى مبلغ يزيد عن العشرة بنسات التى معى ، فماذا أفعل وأنا هنا فى لندن ؟.. فى القاهرة ممكن أن أمشى أى مسافة أو أمر على أى واحد من الأصدقاء المنتشرين فى أنحاء القاهرة لكى أطلب منه ما أريد . . أما هنا فلا أعرف أحداً ولا يعرفنى أحد .. وحتى لو كنت تعرف أحداً فإنك لكى تنتقل من مكان إلى مكان فى لندن سوف تنفق فى المواصلات مبلغاً وقدره . . وحتى لو عرفت أحداً وعرفت مكانه وعرفت كيف أصل إليه ، فشكلها وحش جداً — فى مبادئى — أن أمد يدى لأى إنسان لكى أقترض منه ..... إنها ، فعلا ، أزمة المفلس فى بلاد غريبة . .

ولم أذهب إلى موعدى مع « سوزانا » ، وأنا واثق من أنها — بأحاسيس الكاتبة — سوف تفهم وتقدر مشاعرى حين أحكيها لها عند ما نلتقى بعد ذلك .. لما أقبض ! ! .

أروبة
جداً

أختنا « بيسة » . . فبرغم أنه ما زال أمامنا أكثر من شهرين آخرين نقضيهما فى لندن ، إلا أنه كان من رأيها أنه من الأفضل أن نحجز للعودة على الطائرة من الآن ، قبل أن يبدأ موسم عودة الطلبة المصريين إلى القاهرة فتزدحم الطائرات ولا نجد مجموعتنا : « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و «منى» وأنا . أماكن على طائرة واحدة نعود عليها معاً . . وافقت « بيسة » على رأيها واتفقنا على أن نذهب معاً بعد انتهائى من العمل صباح اليوم إلى مطار « هيثرو » لنتفق مع مكتب شركة « سويس إير » على تاريخ عودتنا . .

إنتهت ورديتى ، واستبدلت الـ « يونيفورم » . وعدت إلى مكتبى مرة أخرى لأنتظر حتى تحضر « بيسة » .. لكننى قبل أن أصل إلى مكتبى تسمرت مندهشاً وقد تعلقت عيناى بحسناء تجلس فى صالون مدخل الفندق وبجوارها حقيبتها : غريبة جداً . . ما الذى تفعله صديقتى مذيعة التليفزيون الحسناء « نجوى إبراهيم» هنا فى لندن ؟! .. وكيف حدث أنها نزلت فى الفندق دون أن أعرف ذلك مع أن أسماء النزلاء جميعهم تأتينى كل ليلة وأقرؤها إسماً إسماً بحكم عملى ؟! .. ولماذا هى وحدها ولا أحد معها ؟!. ولماذا .. ولكن : «نجوى» سوداء الشعر وهذه الحسناء شقراء !! .. وضحكت لسذاجتى : ومنذ متى ثبت لون شعر النساء ؟! .. على أى حال لأقطعن ـ ظريفة جداً ! « لأقطعن » دى ، طلعت لوحدها كده ـ لأقطعن الشك باليقين : سأمر من أمامها وأجعلها ترانى ، فإذا عرفتنى كانت هى « نجوى إبراهيم » . أما إذا لم تعرفنى فيتى يخلق من الشبه أربعين ، وتكون هذه قطعاً هى النسخة الأولى من الأربعين ! ! .

وطلعت يخلق من الشبه أربعين فعلا ، لكنها الخالق الناطق

« نجوى إبراهيم » . إنما على شقراء .. وقبل أن تهدأ دهشتى فوجئت بـ « بيسة » تأتى من بعيد لتحيى الحسناء الشقراء وتقف معها وتكلمها : باللغة العربية !! .. ويعدين بأه ؟ . تكونشى هى « نجوى » فعلا بس ما أخدتشى بالها منى حين مررت من أمامها ؟! .. وقبل أن تبدأ تساؤلاتى مرة أخرى سحبت « بيسة » الحسناء الشقراء شبيهة « نجوى إبراهيم » من يدها وجاءت لتعرفها بى : « منتهى محمود حجار ، أردنية ، أمينة مكتبة فى عمان .. أونكل حسين .. يعمل معنا فى الفندق هنا» .. أمينة مكتبة ؟ ! .. لا بد أن نساء الأردن جميعهن باهرات الجمال إذن لكى تعمل حسناء زى القمر مثل « منتهى » أمينة مكتبة !! .. أمال ممثلات السينما ومذيعات التليفزيون هناك شكلهم إيه ؟ ! .

« منتهى محمود حجار » باتت ليلة واحدة فى لندن — ترانزيت — فى طريقها من عمان إلى « تورنتو »بكندا .. رحلة فى اتجاه واحد ..بلا عودة.. هجرة ..لكى تكون مع أشقائها الذين سبقوها إلى هناك بفترة استقرت فيها حياتهم وأحوال معيشتهم ،فأرسلوا يطلبون ذهاب « منتهى » لتنضم إليهم .. وتبدأ « منتهى » الحسناء ذات الثلاثة والعشرين عاماً رحلتها لتنضم كوجه عربى جديد إلى قافلة المهاجرين العرب الناجحين فى المهجر فى أى مكان . .

بسرعة أصبحنا أصدقاء : هى و « بيسة » وأنا .. وذهبنا إلى المطار معاً فى أوتوبيس الفندق .. باقى على طائرة « منتهى » ٤ ساعات ونصف .. قالت وهى تنظر فى وجهى ووجه « بيسة » فى تأمل شديد إنها تشعر كأنها تعرفنا من زمان ..كأنها رأتنا من قبل .. لكن فين فين فين ؟! مش عارفة .. ورجتنا أن نبقى معها حتى يحين موعد إقلاع طائرتها لتؤنس وحدتها . . وافقت أنا على الفور : حد يكون عنده فرصة أن يبقى عدة ساعات مع حسناء مثلها ويرفض ؟ ! يبقى عبيط قطعاً .. خلال الكلام والدردشة إنسحبت «بيسة» من لسانها وقالت لـ «منتهى» إننى صحفى،

فوجئت بـ «منّى» تقول على الفور وعلى وجهها كل أمارات الدهشة : « عرفت إذن أين رأيتك — أو على الأصح رأيت صورتك — من قبل.. أنت حسين قدرى الصحفى فى مجلة الإذاعة والتليفزيون القاهرية ؟ ! » . . قلت لها وأنا مندهش أنا أيضاً : « أيوه » .. قالت : «وكنت تكتب منذ عدة شهور فى المجلة رحلة صحفية لك بعنوان (رحلة إلى دولة ترانزستور) ؟ » . .

الحمد لله يارب . . أعظم شيء فى الدنيا يثلج صدر الكاتب ويسعده هو أن يجد أحداً يعرفه — ككاتب — ويقرأ له . . فما بالكم إذا كان هذا ال « أحد » حسناء من عينة « منّى » ؟ .

وطارت « منّى » إلى كندا . وتركت على شفتاى طعم السعادة والإمتنان ما زال باقيا حتى الآن ! ! .

« حفيظة » . .

الشابة

الباكستانية الحسناء صاحبة الفيللا التى أسكن فيها فى «كرانفورد» .. باكستانية مسلمة . . كانت تطلب منى دائماً أن أترك لها الصحف الإنجليزية التى أنتهى من قراءتها لكى تستخدمها فى تنظيف زجاج النوافذ — هنا لا يبيعون الجرائد بالكيلو للبقالين ! ! — .. فلما تركت لـ « حفيظة » بعض الصحف المصرية فوجئت بها فى اليوم التالى فى صفيحة الزبالة — بالصحف طبعاً وليس بالست حفيظة ! ! — . . ولم يكن ذلك تقديراً منها لدور الصحافة المصرية كما تصورت أنا فى البداية . لكن ، كما شرحت لى هى الأمر بعد أن استفسرت منها : لأن الصحف المصرية مطبوعة باللغة العربية : اللغة التى نزل بها القرآن . . ومحتمل أن يكون فى بعض هذه الصحف « كلام الله » . . لذا فالست « حفيظة » تستحرم أن تستخدم « كلام الله » فى تنظيف النوافذ ! ! .

عقبالنا يا رب لما نبقى مسلمين للدرجة دى ! ! .

عدوى
الصحافة

تنتقل إلى البنات المخيطات بى اللاتى يعملن حولى هنا : « سهير حمزة » الطالبة فى بكالوريوس تجارة عين شمس التى تعمل فى الصيف فى فندق شيراتون مطار لندن . . « سهير » قفشت قفشة صحفية ظريفة جاءتنى بها مع «المستندات» : فندق شيراتون لندن يضع فى كل غرفة من غرفه صورتين متجاورتين بالألوان لشيراتون القاهرة وشيراتون تل أبيب فى إسرائيل - على اعتبار أن هذين الفندقين — بالذات — هما أحسن فنادق شيراتون فى العالم كله ! !

وبمناسبة الشيراتون : لقطة أخرى تحمل مليون معنى : فى كل إعلانات سلسلة فنادق الشيراتون التى تنشرها فى صحف ومجلات العالم - تضع إسم شيراتون تل أبيب — جغرافياً — ضمن فنادق شيراتون الموجودة فى : أوروبا ! !

من
الأشياء

الظريفة التى تحدث هذه الصداقات الممكن أن يعود بها الطالب المصرى من رحلته الصيفية .. خطاب ظريف وصلنى صباح اليوم من جزر الكناريا الأسبانية . من رجل الأعمال الأمريكى العجوز الظريف مستر « دونالد كاميرون» الذى ينزل فى الفندق هنا كلما جاء إلى لندن .. رجل حبوب وعشرى وكل العاملين فى الفندق أصدقاؤه إبتداء من المديرين لغاية جرسونات الكافيتيريا .. مستر « كاميرون» حين تعرف على مجموعة المصريين والمصريات الذين يعملون فى الفندق فرح بنا جداً لأنه كان قد زار مصر لمدة ٤ أيام منذ ٣٠ سنة ، ويجيد اللغة العربية إجادة تامة :

« كوايس .. موس كوايس .. شوفني مأنون - يعني مجنون !! - » : ثم العد من واحد لعشرة بطريقة الخواجة بيجو .. ورايح جاي في الفندق يستعرض ثقافته العربية ويحي كل الناس كمستشرق : « ساهيدة آفيندي » يعني « سعيدة يا أفندي » !! .. على اعتبار أن هذه هي قمة البلاغة في اللغة العربية ! ! .

كانت « جوانا » فتاة الإستقبال الحسناء تقف معي عند مكتبي ذات ليلة تحكي لي حكاية ما . فجاء صديقنا العجوز « المستشرق » مستر « كاميرون » ليقف بيننا بدون مناسبة كالعزول ويستعرض لغته العربية المهشمة أمام « جوانا » فيقول وهو فطسان من الضحك كأنه يحكي نكتة بارعة : « شوفني بنت ، شوفني بنت ، شوفني » ! ! . وتظن « جوانا » أنه يقول لي شيئاً عنها فتسألني في ضيق : « هو بيقول إيه ؟ » .. ويطلب هو مني - بإلحاح - أن أترجم لها ما قاله . كأنه قد قال شيئاً يستحق الترجمة . لكنني حتى لا تغضب « جوانا » ترجمت لها ما قاله حرفياً : « شفت البنت ، شفت البنت ، شفت .. » ، فلا تجد « جوانا » في ذلك أي شيء يدعو للضحك والسخسخة بهذا الشكل ، فلا تضحك وإنما تسأل ببرود : « وهل في ذلك شيء يضحك ؟ » فيرد مستر « كاميرون » وهو ما زال مستغرقاً في الضحك : « إنه هو - يقصدني أنا - الذي لم يترجم جيداً » ! !

أردت
ألا

أكون متجنياً على الإنجليز في اتهامي لهم بأنهم يحاولون إذلال المصريين .. الست « بيجي » المديرة الليلية للكافيتريا ، التي تقف مني موقف العداء بدون مناسبة منذ أن جئت إلى هذا الفندق ، حتى إنها منعت تقديم الفراخ في الكافيتريا كلها على العشاء لأنها الصنف الوحيد الذي أطلبه : فلما طلبت سمكاً بدلا من الفراخ منعت السمك أيضاً في الليلة

التالية ، وظللنا نلعب المساكة هكذا عدة ليال : كلما طلبت أنا صنفاً ادعت هي أنه غير موجود .. كل ذلك لأنني أكبر المصريين هنا — سنا على الأقل — فإذا أذلتني فهي تذل في شخصي كل المصريين . .

قالت لى « سوسن » الليلة : « طيب ما تغير طريقتك معاها .. بدل ما انت كده كأنك واخد منها موقف وبتعاملها .. ما تجرب صداقتها بدل عداوتها » .. قررت أن أجرب وجهة نظر « سوسن » .. ذهبت إلى « بيجي » فى غرفتها الصغيرة فى الكافيتيريا وسألتها بود ومرح — لزوم تغيير الطريقة — : « هل يضايقها أن أتناول عشائى مبكراً الليلة ؟ » . فقالت على الفور ، وفى ود هى الأخرى : « أبداً أبداً . هل تحب أن تتعشى الآن ؟ » قلت : « ياريت » قالت بخبث : « وماذا تريد أن تأكل ؟ » قلت : « الذى تأمرين به أنت » قالت بكرم زائد : « أنت تحب الفراخ . . سأعد لك أنا عشاءك » ! ! . . شكرتها وذهبت إلى مكانى المفضل فى مطعم العاملين فى الفندق . لتأتى القرشانة ورائى بعد لحظات لتسألنى : « هل تحب أن أعطى للبنات سوسن وسناء فترة راحة الآن لكى تتعشيا معك ؟ » قلت — كاذباً — : « أنت كريمة دائماً » . . فذهبت وأرسلت لى « سوسن » و « سناء » وكل منهما تحمل عشاءها ، وبعدهما جاءت هى — المديرة شخصياً — تحمل لى عشائى بنفسها ! ! . .

ومنذ تلك الليلة وأنا والبنات نتناول عشاءنا معاً كل ليلة ، و « بيجى » تقدم لى بنفسها — بنت الأيرلندية — الفراخ كل ليلة ! ! .

كان

واقفاً

يسدد فاتورة حسابه عند الخزينة التى تواجه مكتبى ، فلمحنى على البعد . . الملامح المصرية والدم المصرى يتجاذبان جداً هنا فى الغربة ، ويكتشف المصريان بعضهما بسرعة جداً .. حيانى ، ولمحت نظرته لى من بعيد

فابتسمت له .. فجاء إلى ناحيتي لينظر بإمعان في إسمي المكتوب بالإنجليزية على الـ «بادج» المعلق على صدري، ثم سألني بالإنجليزية: «جود مورننج .. هل أنت عربي ؟ » . فأرد عليه بالعربية : « صباح الخير يا افندم .. مصري » . . وتقف لندردش فترة طويلة معاً ، يسألني عن أحوال المصريين الذين يعملون هنا وأسأله عن أخبار مصر . . وحين يحين موعد ذهابه هو وأسرته إلى المطار أنقل له حقائبه بنفسي إلى أوتوبيس الفندق : برغم أنني كنت رئيس الواردية الليلة والمفروض أن يقوم مساعدي بهذا العمل . . فيدس في يدي ٣٠ بنساً وهو يتمنى لي النجاح وأنا أتمنى له رحلة طيبة . .

لم يعرفني بنفسه ، لكنني لمحت إسمه المكتوب على حقائبه : المهندس « سعد. ح. العبد » رئيس مجلس إدارة شركة النحاس المصرية بالإسكندرية، الذي سوف يعرف الآن فقط وهو يقرأ هذه السطور ، أن الـ « بورتر » المصري الذي قابله فجر أحد أيام أكتوبر الماضي في فندق « سنترال بورت هوتيل » في مطار لندن ، وحمل له حقائبه من الفندق إلى الأوتوبيس ، هو نفسه الصحفي الذي يكتب هذا الكلام الآن في القاهرة . .

لك عندي ٣٠ بنس يا باشمهندس ! ! .

(١٤)

□ إنه عالم أهبل أهبل أهبل ! !.. □

أو

□ خطاب حب إلى واحدة ما أعرفهاش ! ! □

للمرة

الثانية

أتعرض لنفس الموقف : كنت سهراناً فى مكتبى فى الفندق حين جاءت فى الخامسة صباحاً سيارة سبور رياضية « چاجوار » فاخرة وركنت أمام الفندق ، لينزل منها رجل طويل القامة مهيب المنظر فاخر جداً وشيك جداً شكله كأساتذة الجامعة الإنجليز ، ببدلته الإسكوتش ونظارته الطبية البيضاء الأنيقة وشعره المشوب بالبياض والپايپ المعلق فى جانب فمه . . هببت واقفاً لتحيته ، لكنه تجاوزنى بعظمة ونفخة وكبرياء دون أن يرد تحيتى . .

بعد دقائق دخلت دورة المياه ، فوجدت أستاذ الجامعة الأنيق الشيك ذا البدلة الأسكوتش الفاخرة ، خالعاً جاكتته وممسكاً بخيشة المسح والجردل والفرشاة ينظف دورة المياه ، بنفس العظمة والنفخة والكبرياء !!.

فى السادسة صباحاً مر من أمامى مرة أخرى ، وركب سيارته الأسبور الرياضية الـ « چاجوار » . . وانطلق ! ! .

الإنجليز
قطعاً

ناس مجانين . . فيهم أشياء وتصرفات غير طبيعية . . وقد أتاح لي عملي في هذا الفندق أن أرى أكبر قدر ممكن من العبط ومن الهبل الإنجليزى ! . .

هؤلاء الشبان والبنات الـ « هيپيز » ، الذين يحمل كل واحد منهم وكل واحدة منهن « جرابندية » خلف ظهره ، ويرتدى ملابس ممزقة وأسمالا بالية وهلاهيل لا يرتديها الشحاتين عندنا في مصر . فتساورك الرغبة في أن تمد يدك إليه بشلن يفك به أزمته . . لكنك تفاجأ بالواحد منهم لا ينزل في بيوت الشباب ولا ينام على الدكك الخشبية في الـ «هايدپارك» شأن المفلسين . إنما يذهب إلى فنادق الدرجة الأولى مثل فندقنا ليدفع ٧ جنيهات إسترلينية وشوية لمجرد مبيته فقط في الليلة الواحدة . غير ما ينفقه في الكافيتريا وفي بار الفندق ! ! .

وبمناسبة الـ « هيپيز » إكتشفت هنا مؤخراً شيئاً ظريفاً جداً عن الهيپيز الزنوج : ذلك الشعر الأكرت الهايش العظيم الذى يعلو رؤوسهم يشبه منفضة السقف ، ليس إلا : باروكات ! ! . . آل يعنى هم ناقصين قبح في المنظر وفي الشكل لكي يزيدوا أنفسهم قبحاً . . لكن يبدو أن المسألة كما قلت : إنه عالم أهبل أهبل أهبل ! .

وبقدر
ما هو

مشهور ومعروف عن الإنجليز من الأدب في التعامل . فإنك أيضاً في الوقت نفسه معرض في أى لحظة إلى شطحة أو هفة من الشطحات والهفات الإنجليزى : ذلك الرجل المتدى الذى كان يبدو شخصاً هاماً . كان ينزل عندنا في الفندق ، وذهب في أوتوبيس الفندق إلى المطار[؟] عند

منتصف الليل لكى يستقبل زوجته القادمة من الهند ، وطلب أن يذهب الأوتوبيس إليه فى المطار مرة أخرى فى الثالثة والنصف صباحاً ليعود به هو وزوجته إلى الفندق . . لم أكن رئيس الواردية فى تلك الليلة ومع ذلك قمت بتذكير « ريتشارد » عدة مرات بموعد النزيل الهندى فى المطار ، ليوقظ « ريتشارد » السائق « چوك » لكى يذهب بالأوتوبيس لإحضار النزيل الهندى وزوجته ، لكن « ريتشارد » طنش ولم يوقظ « چوك » ، حتى استيقظ هذا وحده فى الخامسة والنصف صباحاً — بعد الموعد بساعتين كاملتين — وذهب إلى المطار . . لكن النزيل الهندى — بعد أن زهق من الإنتظار — عاد إلى الفندق بتاكسى على حسابه بمجرد ذهاب «چوك» . . ولم يعجب ذلك التصرف «چوك» السائق ، وزعل جداً واتحمق ، فرفع سماعة التليفون وطلب النزيل الهندى فى غرفته وشتمه وبهدله وقفل التليفون فى وشه : لماذا لم ينتظره فى المطار حتى لو ذهب إليه متأخراً عشرة أيام ؟ ! . .

آلمنى أننى كنت طرفاً فى هذا الموضوع — على الأقل رأيته — دون أن أستطيع أن أتدخل إلى جانب النزيل الهندى الذى كان على حق قطعاً . . لكن ، وأنا مالى ، ما يتفلقوا فى قلب بعض . . الراجل الهندى مش حايزعل منى أنا شخصياً لكن حايزعل من الإنجليز ومن إنجلترا نفسها . . ويمكن الهند تترك الـ « كومنولث » من تحت راس الحكاية دى ! ! .

وزميل العمل

الإنجليزى شخصية ظريفة جداً وغريبة جداً : يكون سهران معك فى الشغل طول الليل تمزحان وتضحكان وتتبادلان النكت ، وفى نهاية العمل تخرجان معاً ، فيذهب ليركب سيارته ويكون طريقه هو نفس طريقك فلا يعرض عليك أن يوصلك . . ولو وجدك واقفاً على محطة الأوتوبيس فلن يكلف خاطره حتى بالنظر إلى ناحيتك ، وغايته لو تكرم ونظر إليك

فسيلوح لك بيده وهو منطلق بأقصى سرعة ليقول لك : « إلى اللقاء بالليل » ! ! .

أخونا

التونسي

« محمد والى » صاحب بنسيون « كاوميل هاوس هوتيل » ، يبدو أنه أصيب بالعدوى من الإنجليز : لديه كلب إسمه « سام » لا يطيق أن يبتعد عنه ، لدرجة أنه يأخذه معه حين يسافر إلى الخارج . . لذا فـ « سام » — الكلب — له پاسپور وفيه صورة ملونة لسيادته وهو « يبتسم مُهَوْهِواً » . . وله حبيبة حين ينادي واحد منا على إسمها « جيني » يطرد أ « سام » ودانه ويهز ذيله ويجرى إلى ناحية الباب ليستقبلها ، ثم يغضب وينبح فى وجوهنا برقة وأدب ودماثة ووداعة — حين يكتشف أننا كنا نسخر منه ومن « عواطفه » ، وأن « جيني » لم تأت بعد ! !

والإنجليز — كان الله فى عونهم — مهتمون جداً بتربية الكلاب والقطط إلى حد الهوس والجنون . . لدرجة أنه فى كل محلات البقالة والـ « سوبر ماركت » تجد رفوفاً كاملة لأطعمة القطط والكلاب : علب محفوظة : أكل القطط مرسوم على كل علبة منه صورة قطة ظريفة حسناء ، وأكل الكلاب مرسوم على كل علبة صورة كلب وسيم . . ليس ذلك فقط ، بل إنك تجد فى المحلات الكبيرة قسماً خاصاً لـ « لعب » القطط والكلاب على شكل « عظام » مختلفة الأشكال والألوان والأنواع . . ليست عظاماً حقيقية طبعاً ، ولكنها مصنوعة من البلاستيك بلون العظام الحقيقية . .

أتصور أن المفروض فى هذه الحالة أن « البيه الكلب » يجىء مع الهانم الإنجليزية صاحبته لكى « ينتقى » العضمة التى تعجبه ! !

وفى

بعض

المحلات الكبيرة فى شارع « أوكسفورد ستريت » بالذات تجد ركناً خاصاً لهذه اللعبة « الصحفية » الطريفة : « كيف تنشر إسمك وخبراً عنك فى نسخة واحدة من أى صحيفة إنجليزية تعجبك » ! ! . . إكتب الخبر الذى تريده أن ينشر عنك على اعتبار أنك عملت كذا وكذا وسويت الهوايل . وأن المستر « هيث » رئيس وزراء إنجلترا قد استقبلك بنفسه فى مطار لندن . وأنك قد قابلت المرحوم المستر تشرشل فى « تربته » . وأنك قد سحرت الأميرة « آن » برمش عينيك وأنها سوف تترك خطيبها من أجلك .. إفشر ما شئت وخذ راحتك على الآخر وقل كل اللى فى نفسك . وادفع ثلاثة شلنات ليطبع لك هذا « الخبر » وأنت واقف فى نسخة واحدة من الجريدة الإنجليزية التى تختارها . لكى تأخذها معك وأنت عائد إلى بلادك لكى تفرح بيها العيال . عيالك يعنى ! ولكى تثبت للناس فى بلدك أنك مهم : وأنت ولا رحت ولا جيت ولا قابلت أحداً إلا كمسارية المترو ! !

الآن فقط عرفت كيف يفوز « عبد اللطيف التلبانى » و « شريفة فاضل » دائماً فى مهرجانات الأغنية فى أوروبا ! !

حين

رأيتهن

لأول مرة ظننت أن الحرب قد قامت فجأة وأن حالة التعبئة العامة قد أعلنت : فتيات يرتدين « أوفرول » قطعة واحدة من قماش يشبه الجلد .. ويضعن فوق رؤوسهن خوذات كخوذات سباقات السيارات . ويركبن موتوسيكلات متشابهة ينطلقن بها بسرعة هائلة فى شوارع لندن .. ظننتهن

ـ على الأقل ـ فريقاً رياضياً يتدربن على سباقات الموتوسيكلات في شوارع لندن . حتى فوجئت مرة بطابور الموتوسيكلات المتشابهة هذا « واكناً » عند الباب الخلفي لأحد المطاعم في شارع جانبي صغير متفرع من « أوكسفورد ستريت » . وكانت عندي الفرصة لكي أقرأ ما هو مكتوب على الموتوسيكلات .. فاكتشفت أنها تابعة لمطعم إسمه « شيش كباب تركي » لتقوم بتوصيل الطلبات إلى المنازل ! !

وبمناسبة هذه الـ « خوذات » : عرفت هنا أن قانون المرور الإنجليزى يلزم راكبي الموتوسيكلات ـ نساء أو رجال ... بلبس هذه الخوذة الخطيرة كأنهم ذاهبون إلى الحرب . . وذلك خوفاً على رؤوسهم من حوادث انقلاب الموتوسيكلات .. وأن الذى يخالف هذا القانون يستوقفه رجال المرور ويسحبون ترخيصه فوراً ويعاقب بعمرفشي إيه وإيه من مواد قانون العقوبات ! ! . . وتصبح المسألة شكلها ظريف جداً : شاب يأخذ صاحبته وراءه على الموتوسيكل خارجين يتفسحان ويشمان الهواء ويحبان بعضهما على الموتوسيكل . فتجد الحبيبين وقد لبس كل منهما في دماغه هذه الكسرولة الغير رومانسية على الإطلاق : فتجعلهما أشبه برجال الفضاء في طريقهما إلى القمر . .

أتصور
أن

أغلى شيء في لندن هو المواصلات . . ثمن التذكرة في الأوتوبيس أو في المترو الـ « أندرجراوند » لا يقل عن شلن ، يعني نحو ٨ قروش مصرية حتى لو ركبت محطة واحدة ، وتتدرج في الزيادة بزيادة عدد المحطات حتى تصل إلى ٧٥ بنساً أو ما يساوى ١٣٥ قرشاً مصرياً . وهى أغلى تذكرة أوتوبيس عرفتها أنا على الأقل . .

والتاكسيات في لندن حكايتها حكاية : كلها شكل واحد وطراز واحد :

سوداء كبيرة الحجم قديمة الطراز تشبه سيارات نقل الموتى، يفصل بينك وبين السائق من الداخل لوح زجاجي أو نافذة زجاجية حتى لا يسمع كلامك مع صديقك أو صديقتك، ولا يفتحها إلا إذا نقرت له عليها.. والعداد يبدأ بـ ١٨ بنساً ثم يجرى بسرعة البرق ليعد كل ٣ بنسات معاً: ١٨–٢١–٢٤–٢٧–٣٠ وهكذا . . وكل ٣٠ بنساً يعدها العداد يأخذ السائق منك ١٠ بنسات زيادة كبقشيش إجبارى، غير البقشيش العادى طبعاً الذى يجب ألا يقل عن ١٠ بنسات، و إلا نظر السائق إليك باحتقار يساوى ١٠٠ جنيه !

والتاكسى لا يحمل حقائب الزبون فى شنطته الخلفية مثل عندنا . إنما لها مكان خاص بجوار السائق نفسه .. ليس بجوار كرسى السائق كرسى آخر ، إنما المكان الذى بجواره خال تماماً ليس فيه إلا قرصة ميزان تضع فوقها حقائبك فتوزن وتدفع عنها أجراً غير أجر المشوار نفسه !! مش حاجة سبهللة زى عندنا: تطلع التاكسى ومعاك قفة أو سحارة أو صندرة بحالها ما حدش يقول لك حاجة .: كما أن سائق التاكسى لا يتحرك من مكانه ليحمل عنك — أو حتى ليحمل معك — حقائبك . . أنت تحمل حقائبك بنفسك وتضعها فوق الميزان داخل التاكسى بنفسك والبيه السائق قاعد مطرحه مستريح ٢٤ قيراط ، هى حقائبه هو والا حقائبك أنت ؟! .

والمرور

فى

لندن تنظمه وتقوده — والله أعلم — الشرطيات النساء فقط . . فإننى لم أر «رجل مرور» واحداً طوال فترة وجودى فى لندن . . وإن كنا نستطيع أن نسمى هؤلاء الشرطيات «نساء» تجاوزاً ، لأنهن يعتبرن كذلك من الناحية التشريحية فقط !! .

أما قطارات السكة الحديد الإنجليزية فهى التى ظريفة حقاً : القطار

نفسه يبدو وكأنهم جاءوا به من متحف القطارات الأثرية التاريخية ، ولا يمت بأدنى صلة إلى القطارات الحديثة المجرية أو الديزل أو الإكسبريس ..إنما يشبه القطارات التي نراها في أفلام رعاة البقر أيام أن سارت القطارات في أمريكا للمرة الأولى : تفتح باب عربة القطار فتجد نفسك داخل الصالون على الفور .. يعني كل كنبتين ٤ مقاعد بينها باب يفتح على الرصيف مباشرة ، وتفتح الباب وأنت على الرصيف تلاقي نفسك قاعد دوغري ..

ركبت هذا القطار التحفة — رغم سرعته — عدة مرات من لندن إلى « ويست كرويدون » وإلى «ستراتفورد» قرية شكسبير الشهيرة . . في المحطات التي وقف فيها القطار لاحظت شيئاً ظريفاً جداً : صوت مذيعة حسناء تقول بصوت حلو مشرق : « القطار الواقف الآن على رصيف رقم كذا في هذه المحطة . ذاهب في اتجاه محطات كذا وكذا » ، وتعود فتكرر نفس النداء مرتين ، ثم يأتي بعدها صوت خنشور ليقول : « والقطار الذي على رصيف رقم كذا ذاهب إلى محطات كذا وكذا » ، ويكرر النداء مرتين ، ومع السلامة ، وينطلق القطار التحفة السريع يستأنف رحلته من جديد . .

منظمين بشكل يفرس هؤلاء الناس ، ولا يستطيع الواحد أن يفقش عليهم خطأ واحداً في التنظيم ، منتهى التسهيلات بحيث لو ذهب حمار مخطط وحده إلى لندن لما تاه أبداً في مواصلاتها ، واحنا عندنا القطارات نفسها بتتوه .. ووالله العظيم والله العظيم هذه ليست تشنيعة : ركبت مرة أوتوبيساً في القاهرة ، وكان السائق كل شوية يتوقف ليسأل الركاب : « هه ، وبعد كده حانمشي منين ؟ » لأنه هو والكمساري كانا جديدين على هذا الخط وأول مرة يعملان فيه ! ! .

والإنجليز

من

أكثر شعوب العالم إيماناً بالتفاؤل والتشاؤم . ولهم فى ذلك أشياء وتصرفات تموت من الضحك . . فهم – مثلا – لا يتعاملون مع رقم ١٣ أبداً . ملغى تماماً من حياتهم . . لن تجد أتوبيس رقم ١٣ ولا منزل رقم ١٣ ولا غرفة رقم ١٣ أو ٢١٣ ، وهكذا . . أما إذا صادف وجاء يوم ١٣ فى الشهر يوم جمعة فياداهية دق . . تبقى المصيبة دوبل ! ! . .

ويتشاءمون إذا كسروا مرآة . ويعتبرون أن ذلك نذير بسبع سنوات كاملة من الحظ السيء . . ويتشاءمون إذا عبر أحدهم تحت سلم مزدوج موضوع فى مكان ما دون أن يتنبه . . ويتشاءمون إذا رأوا قطة سوداء فى يوم جمعة . . إما إذا كان ذلك فى أى يوم آخر من أيام الأسبوع فهم يتفاءلون . . وقد تكون نفس القطة والله أعلم . .

وهم يضيعون أثر التشاؤم بشيء بسيط جداً ، هو أن يأخذ الواحد منهم بين أصبعيه شوية ملح صغيرين جداً ويلقيها وراء كتفه اليمنى . . لذا نصحت أصدقائى الإنجليز بأن يأخذ كل واحد منهم معه وهو خارج إلى الشارع – من باب الإحتياط – كيس ملح أو ملاحة ! ! .

وقد

تعلمت

لعبة ظريفة من ألعاب التفاؤل : الإنجليز عندما يعثر أحدهم على دبوس إبرة ملقى على الأرض ، يلتقطه ويحتفظ به فى مكان ظاهر فى غرفته أو فى بيته . . حاولت أن أقلدهم فى هذه العادة ، فكلما عثرت على دبوس فى الأرض التقطته ورشقته فى تسريحة غرفتى . . لكن العكس

كان يحدث معي دائماً ، فكلما عثرت على دبوس جاءتني مصيبة . . وبعد ٤ دبابيس كنت قد اقتنعت تماماً بأن الإنجليز يخدعونني وأنهم عايزين يودونى فى داهية ويرموا لى الدبابيس فى طريقى . . فبطلت ألتقطها من الأرض ، وأصبحت حين أرى دبوساً مرمياً فى الأرض أشيح بوجهى إلى الناحية الأخرى حتى لا يرانى هو ! !

لاقيت

صعوبة

كبيرة فى بداية عملى فى الفندق فى التفاهم مع بعض العاملين الإنجليز الذين يتكلمون بلهجة الـ « كوكنى » لهجة منطقة الـ « إيست إند » فى لندن . . وكنت لا أفهم ما يقولون إلا بعد أن يكرروه مرة ومرتين وثلاثة ، وببطء . . وكنت فى البداية أظن أن العيب منى أنا ، حتى اكتشفت مع الوقت أنني لست أنا وحدى « الجاهل » ، إنما كثيرون من الإنجليز أو الذين لغتهم الأصلية هى الإنجليزية ، أيضاً لا يفهمون لهجة الـ « كوكنى » . . .

مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد للفندق : نصف ألمانى ؛ لذا فهو « متعلم » اللغة الإنجليزية زى حالاتى ، وحاله مثل حالى فى « التفاهم » مع « الناطقين بالكوكنى » . . اليوم كان يقف معى فى الصباح نتكلم فى موضوع ما ، وكان السائق « أنتونى » موجوداً ، فتدخل فى الحديث بطريقته الـ « كوكنى » التى تضخم الحروف ولا يفتح فمه وهو يتكلمها . . فلم يفهم مستر « بتشورتشيك » من « أنتونى » شيئاً ، فالتفت إلىّ ليسألنى : « ماذا يقول أنتونى ؟ » ، فترجمت له — إلى الإنجليزية — ما قاله « أنتونى » بالإنجليزية ! ! .

ومن

التيسيرات

والتسهيلات الممتازة عند الإنجليز والتي نفتقد عندنا في مصر مثيلاتها تماماً : أكشاك التليفونات العمومية . . في كل شارع وفي كل محطة مترو تجد عدداً من هذه الأكشاك متقاربة . . تدخل الكشك — الزجاجي — وتقفل الباب وراءك فتنعزل عن جو الشارع تماماً . . تضع في الثقب قطعة العملة ذات ال ٢ بنس وتتكلم لمدة٣ دقائق . فإذا سمعت الصفارة التي تفيد انتهاء المدة تضع قطعة أخرى من العملة وتستمر في المكالمة ٣ دقائق أخرى ؛ وهكذا إلى ما شاء الله . . أما إذا كنت ناوى ترغي مع حسناء مثلا ، فهناك ثقب آخر تضع فيه قطعة من فئة العشرة بنسات مرة واحدة وتتكلم لمدة ربع ساعة كاملة دون أن تزعجك الصفارة . .

وكل تليفون في هذه الأكشاك له رقم خاص مثل أي تليفون في أي مكان . . يعني يستطيع أحد أصدقائك أن يتصل بك هو في تليفون الكشك القريب من بيتك مثلا في موعد محدد تنتظره فيه داخل الكشك . وتتكلم ١٠ ساعات في هذه الحالة دون أن تقطع المكالمة إذا كان الذى يطلبك — أو « التي » — تتكلم من تليفون بيت . .

وحين تعصلج معك النمرة التي تطلبها فإنك تطلب رقم ١٠٠ ، الذى يوازى رقم ١٦ أو ١٨٨ عندنا في القاهرة ، لكنه في لندن يرد عليك على الفور — وبأدب شديد — ويوصلك بالنمرة المطلوبة ويشكرك هو قبل أن يخرج من الخط ولا ينتظر حتى تشكره أنت .. أدب إنجليزى ..

عقبالنا يارب : في التليفونات ، وفي الأدب ! !

وفي كل كشك من أكشاك التليفون هذه مجموعة كاملة من دفاتر تليفونات مدينة لندن ، عددها ستة دفاتر .. موضوعة في الكشك الموجود في الشارع ، دون حراسة ** ولا أحد يمزق صفحاتها أو يعبث بها أو يشخبط

فيها . . أسافر من لندن وأرجع لها فأجدهم كما هم لا أحد ينقلهم من مكانهم ولا أحد يسئ استعمالهم . . لو كانوا عندنا فى مصر لأصبحوا بعد ١٠ دقائق قراطيس لب وسودانى وترمس وطعمية !

سيارة

لورى

مقفلة تشبه سيارات نقل الأثاث ، لكنها مصممة بطريقة ظريفة . . غالباً ما تراها فى ضواحى لندن المتطرفة . . تدخل شوارع الضاحية فى الصباح فى موعد يكاد يكون ثابتاً بالنسبة لكل شارع . . وتتوقف فيه لتفتح جوانبها ومؤخرتها لتكشف عن « محل خضرى وفكهانى » متنقل على السيارة اللورى . . وتطلق السيارة بوقها مرة واحدة فقط إعلاناً عن وصولها؛ فتنزل إليها ربات البيوت ليشترين منها احتياجاتهن من الخضر والفاكهة . . يعنى التكنولوجيا الإنجليزية إستبدلت عربات اليد للباعة المتجولين بسيارات لورى . .

وتلك النغمات الموسيقية على البيانو التى أسمعها كل يوم فى الساعة الرابعة عصراً ، ظننتها فى البداية دقات ساعة أو إشارات ضبط الوقت من راديو أو تليفزيون الجيران العالى ، حتى اكتشفت أنها : بتاع الجيلاتى الإنجليزى السريح . . عندنا ينفخ فى زمارة وهنا — على قدر المستوى — يلعب موسيقى ! !

نزلت

مع

البنات اليوم صباحاً ليرينى شيئاً جديداً « إكتشفنه » يوم الأحد الماضى : « سوق الأحد » ، الذى يقام كل يوم أحد فى الأرض الفضاء الواسعة التى تقع خلف الفندق : . البنات المصريات أطلقن عليه

« سوق اليهود » لأن اليهود هم الوحيدون الذين يعملون يوم الأحد . أما الإنجليز المسيحيون فيقدسون أجازة الأحد . .

وكنت أظن أن زبائن هذا السوق هم فقط العاملون فى فندقنا وعلى الأكثر نزلاؤه أيضاً . . لكننى فوجئت بعدد مهول من الناس قدموا من كل مكان بالأوتوبيسات والسيارات الخاصة . وجاءوا من الشيراتون ومن كل الفنادق القريبة منا . مع أن السوق « نقالى » ينصب يوماً واحداً فى الأسبوع . لكن البضائع التى تباع فيه قطعاً أرخص كثيراً من مثيلاتها فى المحلات العادية : تستطيع أن تشترى « تاييراً » من قطعتين من القماش الفاخر بجنيه واحد . ممكن أن تجد فيه بالطوحريمى ممتاز بجنيه واحد . ستجد فيه بنطلون رجالى شيك جداً — زى اللى أنا لابسه ده — بخمسين بنساً . يعنى نصف جنيه . . أشيك « تايير » عادت به « منى » من لندن . وأشيك « فستان » إشترته « سوسن » فى رحلتها كلها . كل منهما دفعت فيه جنيهاً واحداً . . لذا أتصور أن أغلب هذه البضائع — إن لم تكن كلها — مستعملة مجددة أو شىء من هذا القبيل . وإلا فما سبب رخص أسعارها هكذا ؟

وأصحاب هذه البضائع يأتون بها فى سياراتهم الخاصة الصبح بدرى جداً ، وقبل الساعة التاسعة تكون البضائع مرصوصة ومعروضة على ترابيزات تقام بسرعة قبل أن يأتى الزبائن . . وتستطيع أن « تقيس » أى شىء فى غرفة قياس صغيرة مربعة من البلاستيك منصوبة إلى جوار كل بائع مثل خيمة البلاج . .

اليوم
الأربعاء ،

نزلت سوق « هونزلوبيل هاى ستريت » ظهراً لعمل جولة فى المحلات . . فوجئت بمعلومة جديدة أعرفها لأول مرة : أغلب المحلات فى لندن تقفل أبوابها بدرى يوم الأربعاء ، من بعد الثانية ظهراً ،

وهى فى العادة لا تقفل قبل الخامسة مساء ! ! . . لم أفهم لماذا يوم الأربعاء بالذات . . وتلاقيهم هم كمان مش عارفين ليه . .

وبمناسبة المحلات والسوق والشراء : الأولاد والبنات المصريون هنا حين ينزلون للشراء يحسبون كل شىء بالعملة المصرية : هذا البنطلون بأربعة جنيهات إسترلينية ، يعنى بسبعة جنيهات مصرية . . لا ، يبقى غالى . . هذا البالطو — مثلا — بعشرة جنيهات إنجليزية ، يعنى يساوى ١٧ جنيهاً مصرياً . . لأ ، يبقى غالى . . أقل تذكرة سينما هنا بـ ٦٠ بنساً أمام الشاشة على طول ، وتتدرج بعد ذلك من ٩٠ إلى ١٢٠ بنساً فى الصالة . وبـ ١٤٥ بنساً إلى ١٧٥ بنساً للبلكون ، وهكذا . . لكن الأولاد المصريين ينسون أن هذه الأسعار تعتبر إلى حد كبير رخيصة جداً بالنسبة إلى مستوى الأجور هنا . . إلا أنهم يريدون أن يعيشوا فى لندن بأسعار القاهرة . وينسون أنهم يعيشون فى لندن ويتقاضون مرتبات لندن . . ويقبض الواحد منهم فى لندن ٢٥ جنيهاً فى الأسبوع مثلا ، يعنى ١٠٠ جنيه إسترلينى فى الشهر = ١٦٠ أو ١٧٠ جنيهاً مصرياً ، غير البقشيش ، لكنه حين يصرف يريد أن يجد ساندوتش الفول والطعمية بقرشين ووجبة الغداء بعشرة قروش وتذكرة المترو بخمسة تعريفة . . وذلك غير معقول طبعاً ، لأنه يتقاضى فى أسبوع واحد هنا ما يتقاضاه خريج الجامعة فى مصر فى ٣ شهور . .

هنا

يطلقون

على فنادقهم أسماء المشاهير والأعلام . . فتجد : « راسل هوتيل » و « شرلوك هولمز هوتيل » و « تشارلز ديكنز هوتيل » و « تشرشل هوتيل » ، منسوبة إلى الشخصيات اللامعة فى تاريخ السياسة والأدب والفكر الإنجليزى . .

ترى هل سنجد يوماً عندنا فى مصر فنادق بأسماء « طه حسين هوتيل » أو « محمود تيمور هوتيل » أو « عزيز أباظة هوتيل » أو « محمد عبد الحليم عبد الله هوتيل» ؟! .. لا أظن. لأن الفكر والأدب فى بلدنا رخيصان جداً والتمثيل والغناء والرقص هم اللى لهم قيمة : لذا فإننا –غايته– قد نجد يوماً ما : « عكاشة هوتيل » أو « همبكة هوتيل » أو «فؤاد المهندس هوتيل» أو – يمكن – « شفيق جلال هوتيل » ! !

فى
أغلب

الميادين الرئيسية فى لندن وفى الشوارع الـ « أوتوستراد » اللى تنطلق فيها السيارات بسهولة متدفقة لا تنقطع ولا تتوقف ، لن يقابلك عسكرى مرور ينظم مرور المشاه الذين يريدون أن يعبروا الشارع ، لكنك ستجد الطرق السفلية الـ « سب وايز Subways » التى تمر تحت الشارع بالعرض حتى يتفادى المشاه السيارات المنطلقة بلاتوقف فى بحر الشارع نفسه .. وفى كثير من المناطق ، مثل منطقة «هايد بارك كورنر» ستجد أن هناك عدداً كبيراً من هذه الشوارع أو الأنفاق السفلية ممتدة تحت المنطقة كلها ، ولها خريطة معلقة على جدران النفق تقابلك كل بضع خطوات لتبين لك أين أنت الآن . . وهذه الممرات التى تحت الأرض نظيفة جداً ومضاءة جيداً كأنها شارع رئيسى بالضبط وأكثر ، حتى لا يكون هناك فرصة أمام أحد ليسيء استخدامها . . وفى أغلب الأحيان تجدها مزينة بلوحات تشكيلية جميلة ، بالنقش البارز أو السيراميك الملون وما إلى ذلك ، وفى بعضها تماثيل أيضاً . .

وفى

هذا

العالم المجنون الذى إسمه لندن طريقة غريبة وظريفة جداً للشحاتة الإنجليزى : الصبيان والبنات الكويسين الشيك جداً ، الواضح أنهم أولاد ناس : يجيئون بدمية فى حجم الرجل العادى ويلبسونها ملابس عادية : بنطلون وسويتر مثلا ، وكاب وحذاء ، ويجلسونها على الأرض مسنودة إلى حائط أو إلى جذع شجرة ، ثم يصطادون المارة السائرين فى الشارع يطلبون منهم « بنس واحد من أجل جوى » بهذه العبارة التى لا تتغير كأنها اصطلاح أو كأنها من قواعد اللعبة Have you a penny ; for goy? « . . ورزق الهبل على المجانين : ناس يعطونهم بنساً أو عدة بنسات من أجل مستر « جوى » الراقد على الأرض ، وناس لا يعطونهم . . لكن الأولاد لا يلحون على أحد ولا يطاردون أحداً . . إنما هى على أى حال طريقة غريبة جداً للشحاتة الإنجليزى ، تكاد تشبهها إلى حد ما مايحدث من الأطفال عندنا فى شهر رمضان فى الأحياء الشعبية حين يحملون فوانيسهم ويروحوا يطرقون أبواب بيوت الحى ويلاحقون الناس السائرين فى شوارعه بـ : «حاللو يا حاللو رمضان كريم يا حاللو . ؛ لولا فلان لولاجينا ، ياللا الغفار ، ولا تعبنا رجلينا ، ياللا الغفار ، يحل كيسه ويدينا ، ياللا الغفار . . إدونا العادة . . . إلخ » فيحل كل فلان كيسه ويديهم . ؛

يحلو

أن

الإنجليز مصرون على أن يجعلونى أرى كل تقاليعهم الغريبة و « هفاتهم » المبلاء : «دان Dan » رجل الأمن الذى يعمل فى مطار

« هيثرو » ويقيم عندنا في الفندق . شرب شوية زيادة الليلة وانبسط وشعشع . فقرر أن يبسط زوجته أيضاً ، بأن يرسل لها خطاباً غرامياً ، ليس منه هو لكن : مني أنا ! ! . جاء إلى مكتبي ليطلب مني أن أكتب خطاباً — باللغة العربية — إلى زوجته في «ويلز» : أقول فيه أنني باحبها وباموت فيها وبافكر فيها ليل ونهار ولا أنام الليل من أجلها . . وإذا نمت فإنما — فقط — لكي أحلم بها وأظل طول الليل أردد : «مسز دان مسز دان مسز دان . . » ، ثم أوقع الخطاب بإسمي : قدري ! !

ولأن «دان» رجل عاقل وهادىء ومعقول عادة ، فقد ظننته في البداية يمزح ، لكنني حين رأيت أنه واخد المسألة جد فعلا لم أجد بداً من كتابة الخطاب الذي يريده وأنا أضع يدي على قلبي أحسن الست بشكل ما تعرف تقرأ الخطاب ، وتكون هبلاء زي جوزها فتصدق ما جاء فيه ، وتطلب الطلاق من زوجها الأهبل لكي تتزوج عاشقها المتيم المغرم صبابة : اللي هو أنا ! !

على أي حال : ربنا يستر وتطلع حسناء ! !

كلمة

« هام

« Ham » تلعب دوراً كبيراً في أسماء المناطق في إنجلترا . . عشرات من المناطق في مختلف أنحاء إنجلترا تحمل في نهايتها كلمة « Ham » : ويستهام ، نوتنهام ، إيستهام ، نوتنجهام ، برمنجهام ، كلابهام ، ستريتهام ، حتى قصر الملكة إسمه « باكنجهام » . . قطعاً لا بد أن يكون معنى كلمة « Ham » هذه شيء « هام » . . سألت زميلي الإنجليزي « ريتشارد » عن معناها ، فلعبت عيناه من الدهشة من وراء نظارته البيضاء ثم هرش رأسه وفكر طويلا قبل أن يقول لي في النهاية : «مش عارف » ! !

نزلت

اليوم

إلى ميدان البيكاديللى . . النزول إلى ميدان البيكاديللى يعتبر فسحة فى حد ذاته حتى لو لم تكن ذاهباً لغرض معين ، لأنه يعتبر سرة لندن السياحية ، وتجد فيه السياح الأجانب من كل صنف وشكل ولون ؛ ولقربه الشديد أيضاً من حى « سوهو » الشهير : حى الدعارة والجنس والإجرام فى لندن . . وفى الوقت نفسه فمن ميدان البيكاديللى يبدأ شارع « ريجنت ستريت » أفخر وأغلى شارع فى لندن كلها . . كانت معى الصديقة المصرية « منى » . والبنت المصرية — كأى امرأة فى أى مكان فى العالم — تتوقف طويلا أمام المجوهرات والجواهرجية حتى لو لم يكن فى جيبها سوى ثلاثة تعريفة . . لفتت « منى » نظرى إلى الساعات المعروضة فى ڤاترينات محلات « ريجنت ستريت » . . الساعة بـ ٨٥٠ جنيه إسترليني وتصل إلى ١٠٠٠ جنيه — يعنى ما يقرب من ١٧٠٠ جنيه مصرى ! ! — . . الغريب أنها ساعات تبين الوقت فقط ولا تختلف كثيراً عن ساعتى التى ثمنها — بالعملة المصرية — ١٢ جنيهاً . . لكن يبدو أن هذه الساعات — فئة الألف جنيه — فيها شيء لله مثلا ، أو أن الساعة منها فيها أكثر من ٦٠ دقيقة ، يعنى ساعة تطول العمر ، أو لعلها ساعة تمنع قيام الساعة . .

أتصور أنه لا يوجد إنسان عاقل يرضى أن يدفع فى أى ساعة مهما كانت ثمناً يزيد عن ٢٠ أو ٢٥ جنيه مثلا ، حتى لو كانت ساعة ميدان التحرير ! !

الإعلانات

التى

« تتوسل » فى طلب سائقين للأوتوبيسات أو المترو منتشرة هنا فى كل مكان : سائق الأوتوبيس يعين بمرتب قدره ٤١ جنيهاً فى الأسبوع . وتنص الإعلانات على أنه يصل إلى ٥٠ جنيهاً فى الأسبوع بعد سنة واحدة — يعنى ٢٢٥ جنيهاً إسترلينيا فى الشهر ! ! ! — . ليس ذلك فقط ، فليس مهماً أن تكون تعرف القيادة أصلا ، إنما شركات الأوتوبيس مستعدة لأن تأخذك وتدربك هى على القيادة على أن « تعدها » وعد شرف أنك سوف تعمل فيها بعد أن تتعلم ! !

عسكرى المطافىء الإنجليزى المبتدىء ، الإعلانات تلح فى طلبه هو الآخر ، وتقدم له مرتباً قدره ١٥٥ جنيهاً إسترلينيا فى الشهر : : يعنى نحو ٢٦٥ جنيهاً مصرياً ! !

ياترى رئيس مجلس إدارة هيئة النقل العام الإنجليزية ، أو مدير مطافىء عموم لندن ، بياخدوا كام ؟ !

أيضاً

من

التقاليع والهفات الإنجليزية الهبلاء : شىء غريب جداً حدث لى فى ميدان الـ « ترافلجار » الشهير فى لندن الذى يمتلئ بالحمام الإنجليزى الظريف الذى يحط على يدك وعلى ذراعك وفوق رأسك بهدوء واطمئنان ليلتقط حبات القمح من كفك . . كنت مع صديقة هناك ، ولأن كاميرتى أوتوماتيكية ، يعنى ممكن أن تُصَوِّرْ وحدها ، فقد وضعت الكاميرا على الحامل لكى ألتقط صورة لنا معاً ، ففوجئت باثنين من رجال بوليس لندن الشيك جداً ينقضان علىّ ليمنعانى من استخدام الحامل أثناء

التصوير ، ويسألانى : « هل حصلت على تصريح باستخدام الحامل » ؟ . . سألتهما مندهشاً : « تصريح بالتصوير أم باستخدام الحامل فقط ؟! » قالا : « باستخدام الحامل فقط » قلت فى دهشة أشد : « يعنى التصوير فى حد ذاته ممكن بدون تصريح ، لكن استخدام الحامل هو الذى يحتاج إلى تصريح ؟ ! » ، فأجابا بالإيجاب ، ومنعانى فعلا من استخدام الحامل برغم أنى أبرزت لهما بطاقتى الصحفية الدولية المطبوعة باللغة الإنجليزية والصادرة من الإتحاد الدولى للصحفيين ، إلا أنهما أصرا على أن استخرج تصريحاً من مكان وصفاه لى ، بينه وبين ميدان الـ « ترافلجار» حاجة كده زى من لندن إلى أسيوط ! !

طيب ليه ؟ ! . . فقط أريد أن أفهم الحكمة البريطانية البليغة فى أن التصوير فى حد ذاته ممكن ، لكن مع استخدام الحامل لأ ؟ ! . . تكونشى سلطات بريطانيا ليست عشرية ولا تحب أن يتصور الناس مع بعضهم ، لكن ما عندهاش مانع أن كل واحد يتصور لوحده ؟ ! . . أو يكون الحامل يضايق سيادة حمام الترافلجار الشهير ؟ ! . . أو ممكن تكون اللى أصدرت هذا الفرمان البريطانى الغريب هى الملكة إليزابيث الأولى لأنها كانت عاقر ومش بتنجب وليس لديها أطفال فتضايق من الـ« حامل » ؟! . .

صديق
وزميل

الإنجليزى الظريف « ريتشارد » طلب منى الليلة طلباً دمه خفيف : طلب منى أن أعطيه نسخة من المجلة المصرية التى . أكتب فيها تكون صورتى منشورة فيها ، وأوقع له عليها بالعربية والإنجليزية لكى يريها لـ « دادى » ولـ « مامى » ، بناء على طلب « مامى » التى حكى لها كثيراً عنى فطلبت أن ترى صورتى ! !

والله ودخلت التاريخ وحاتبقى مشهور يا أبو على عند « ست أم ريتشارد » وفى حوارى حى ال « إيست إند » فى لندن و : « شايفة ياست أم روبرت يا اختى صورة البيه الصحفى المصرى صاحب إدلعدى سى ريتشارد إبنى . . وآل شوقى يا اختى ... الكلام ده بالإنجليزى طبعاً . وباللهجة ال « كوكنى » الستاتى ... وآل إيه النبى حارسه بيشتغل بوزتر مع سى ريتشارد فى الشغل . . والنبى الصحفيين دول لهم تقاليع عجب » !

(١٥)

□ بنت سيئة السمعة ! ! □

اليوم

أول

رمضان وكل سنة واحنا طيبين . . مجيء رمضان ونحن في الغربة في لندن بعيداً عن البيت والأسرة والأهل كان شيئاً قاسياً جداً على نفسية البنات المصريات اللاتي يعملن هنا في أجازة الصيف ، لذا تكرمن مشكورات واعتبرنني «كبير العائلة» . . وبرغم أننا كنا جميعاً سهرانين معاً في الشغل حتى صباح اليوم ، إلا أنني فوجئت قرب الظهر بمجموعة منهن يزرنني في البيت لتهنئتي ببداية شهر الصيام . .

بعد نزول البنات تلقيت دعوة ظريفة : أصحاب الفيلا التي أسكن فيها باكستانيون مسلمون . . الأخت «حفيظة» صاحبة الفيلا جاءت تحمل لي هدية رمزية صغيرة : إمساكية فيها مواعيد الإفطار والسحور والإمساك ، مطبوعة باللغة (الأوردية)التي يتكلمها الباكستانيون ، وأيضاً تدعوني أنا وجارتي المصرية «مني» للإفطار أول يوم في رمضان على مائدتهم ، مع عدد من ضيوفهم الباكستانيين .. لمسة إنسانية مسلمة ، على اعتبار أن النبي وصى على سابع جار . . وهكذا قدر لي أيضاً أن أتعرف على رمضان على الطريقة الباكستانية . .

واجتمعنا عشرة أفراد حول مائدة الإفطار : ٨ باكستانيون ومصريان. . وفوجئت بأن كل الأطباق التي وضعت على المائدة ! «نفطر» نحن العشرة هي ثلاثة أطباق فقط : طبق فيه كمية عنب لا تزيد أبداً عن كيلو واحد ،

وطبق آخر فيه عدد من أصابع الموز بعددنا تقريباً . وطبق ثالث فيه شيء لم أتبينه جيداً في البداية . فلما همست في أذن « منى » أسألها : « وده يطلع إيه ؟ » همست هي الأخرى لي : « فلفل روى مقلى بالطريقة التي تقلى بها القرنبيط في مصر » ! ! . . أخذت إصبعاً من الموز وعدة حبات من العنب وأكلت حتى ملأت بطني من هذا الفلفل المقلى ، وأنا مندهش جداً من هذه العزومة القرديحى : يعنى الست « حفيظة » كلفت خاطرها وطلعت لغاية حجرتي فوق لتدعوني أنا و« منى » : وتدعو ستة ضيوف آخرين غيرنا . للإفطار ، على فلفل مقلى وموز وعنب ؟ ! ده إيه الكرم ده كله ؟ !

ورفعت المائدة ، وبدأ الحديث والدردشة ومشاهدة برامج التليفزيون ، وانهمك مستر « غلام الرسول » صاحب الفيللا في حديث طويل باللغة (الأوردية) مع ضيوفه الباكستانيين لم أفهم منه حرفاً واحداًبالطبع ، واقترب موعد ذهابي إلى العمل ، فاستأذنت وشكرتهم على هذا « الكرم » وصعدت إلى غرفتي لأتهيأ للذهاب إلى الفندق . . لكن الأخت « حفيظة » — التي كانت في المطبخ عند انصرافي — لحقت بي في غرفتي قبل أن أنزل لتقول لي أن « الإفطار » سيكون جاهزاً في التاسعة والنصف مساء ! ! . . « إفطار ! ! . . إفطار إيه ياست ؟ ! أمال الفلفل المقلى اللى أنا ملأت به بطني ده كان إيه ؟ ! » . . « لأ ده كان مجرد « أورديفر » وفاتح للشهية » . . وحاولت أن أعتذر لكنها أصرت وألحت ، وقدمت موعد الإفطار — علشان خاطري — فجعلته في الثامنة مساء . . ولم يكن أمامي إلا العودة لأفطر — للمرة الثانية — إفطاراً على الطريقة الباكستانية أيضاً : طبق واحد كبير يوضع ذلك فيه : أرز مطهو ، لبن زبادى ، قطع فراخ بالصلصة والدمعة ، قطع كفتة . . وكان الأكل الباكستاني — الذى أتعامل معه لأول مرة — حراقاً جداً ومليئاً بالفلفل والشطة والبهارات اللاذعة ، لكنه والشهادة لله : كان للدبدأ : :

لم
أكن
أتصور أنني سوف أصبح فى يوم من الأيام فتوة من فتوات كباريهات الأفلام المصرية ، لكن يبدو أن العمل فى فنادق إنجلترا سوف يعلمني الكثير : الليلة فى الفندق قرب الثالثة صباحاً جاءت « سوسن » لتستنجد بي : « إلحقنا يا أونكل . . فيه واحد سكران فى الكافيتيريا بيتّرازل علينا ومش عارفين نروح ولا نيجى منه » . . ودخلت إلى الكافيتيريا لأتفاهم مع أخينا السكران بالحسنى ، لكنه رفع فى وجهي قبضته مهدداً . . قسته بنظري فوجدته سكران طينة بشكل لن يجعله قادراً على استعمال قبضته بصحيح ، فتوكلت على الله وشخطت فيه ثم حملته تحت إبطي وخرجت به من الكافيتيريا وألقيت به على أحد المقاعد فى صالون مدخل الفندق ، وما كاد « يستقر » على المقعد حتى نام على الفور ! !

« سوسن » صفقت بيديها سعيدة جداً كأنها تشاهد فيلماً من أفلام فريد شوقي وقالت وهي مبسوطة جداً : « أونكل حسين بيحوش عن الحريم بتوعه . . آهي دى الأخلاق المصرية والا بلاش » ! !

فى
الحقيقة
أن هذه النقطة بالذات كانت تشغلني جداً وأنا هنا فى لندن أعمل فى وسط ذلك العدد من الطلبة والطالبات المصريات : حكاية « الأخلاق المصرية » . . كان يهمني جداً أن أعرف كيف يتصرف الشبان المصريون — صبياناً وبنات — وهم بعيدون عن البيت وعن الأهل ، وكل منهم مسئول عن نفسه وعن تصرفاته مسئولية مزدوجة : مسئوليته « كفرد » إزاء

أولا ؛ ومسئوليته « كمصرى » ثانياً ! ! . . ما الذى يعود به هؤلاء الأولاد والبنات إلى مصر ؟ ! . . ما هى الإكتسابات الجديدة أو الصور الجديدة التى سوف يبدون عليها عند عودتهم إلى مصر بعد العمل فى أوروبا شهور الصيف ؟ ! . . ما هى الصورة التى سيراهم عليها أصدقاؤهم ومخالطوهم والمخيطون بهم بعد عودتهم . فيحاولوا أن يتشبهوا بهم ويقلدوهم ؟ ! . . الصورة المفروض أنه ستكون نتيجتها — فى مجموعها — تشجيع عدة آلاف آخرين من الطلبة والطالبات المصريات على محاولة المجئ إلى أوروبا فى إجازات الصيف القادمة ؟ !

كثيراً ما كنت أناقش هذا الموضوع بالذات مع التوأمتين « سوسن » و « سناء » حين نجتمع كل ليلة على مائدة العشاء أو السحور فى الفندق فى الثانية أو الثالثة صباحاً . ليحكى كل منا للآخرين حصيلة ما صادفه فى يومه . . التوأمتان « سوسن » و « سناء » (٢٠ سنة) — ٢٠ سنة لكل واحدة منهما طبعاً — بقدر ما هما متحابتان جداً ومتعاطفتان جداً وملتصقتان جداً ؛ بقدر ما هما مختلفتان جداً : « سوسن » رقيقة هشة ناعمة لا تستطيع أن تحكى لك شيئاً — مهما كان شيئاً جاداً — إلا وهى مسخسخة من الضحك وحاتقع من طولها ، قطعاً صواميلها ومفاتيحها نعممت من كتر الضحك . . أما « سناء » فيبدو أن فترة التجنيد التى قضتها فى الجيش العامل برتبة شاويش قد أكسبت شخصيتها قدراً كبيراً من الصلابة والعنف إلى حد الفظاظة أحياناً . . « سوسن » و « سناء » كل ليلة فى حال : ليلة « سوسن » خلاص مش مستحملة البعد عن مصر أكتر من كده وتريد العودة حالا بأسرع وقت ممكن ، و « سناء » هى التى تصبرها وتشجعها وتقول لها نستنى لغاية ديسمبر . . وفى الليلة التالية تضم « سناء » كفيها متوسلة فى ضراعة وتجرى وراء كل طائرة تراها أو تسمع صوتها تغادر أرض المطار محلقة ، وهى تناشدها : « خدنى معاك يا اللى انت مسافر خدنى معاك » بينما « سوسن » هى التى تصبرها وتشجعها وتقول لها :

«طيب خلينا ولو لغاية العيد» .. وفى نهاية الأمر اقتنعت كل منهما بوجهة نظر الأخرى : التى كانت تعارض البقاء قررت أن تبقى . والتى كانت تريد أن تبقى وافقت على أن تسافر ! !

وقد لا
تختلف

مشاعر جميع المصريين والمصريات هنا عن مشاعر «سوسن» و «سناء» فى الحنين إلى الوطن والرغبة فى العودة إليه . وقد لا يختلفون أيضاً — معظمهم — فى التمسك بمصريتهم ووطنيتهم وقت اللزوم .. لكن السمة الواضحة والظاهرة المشتركة بينهم جميعاً — صبياناً وبنات — هى أنهم يتغيرون فعلا . وتحدث «هزة نفسية» حين يجدون أنفسهم فى وسط مجتمعات أوروبا المتحررة المنطلقة التى تركت وراء ظهرها منذ سنوات بعيدة أشياء عفى عليها الزمن — فى نظر المجتمعات الأوروبية — . أشياء إسمها التقاليد والعادات والتمسك والقيم والخلق والمحافظة .. كل هذه أشياء أصبحت «موضة قديمة» فى المجتمعات الأوروبية .. ويجىء الولد المصرى وتجىء البنت المصرية ليجدا أن هذا هو شكل «البحر» المطلوب منهما أن يسبحا فيه .. وهنا تختلف الطريقة ويختلف التعامل حسب البيئة والوسط والأصل والأخلاق والتربية التى جاء بها الشاب وجاءت بها الفتاة من مصر . البعض — وهم أقلية جداً .. جداً جداً — يفضلون أن يبقوا على البر ولا ينزلوا للسباحة فى هذا البحر الغريق . والبعض يكتفى بالسباحة إلى البراميل فقط ، يعنى لغاية «حد الأمان» لكى يستطيع أن يتراجع وينسحب وقت اللزوم .. ويشترط فى هذا «البعض» أن يكون أصلا قد ترك وراءه وسطاً ومجتمعاً فى مصر قريب الشبه إلى حد ما من المجتمعات الأوروبية .. أما البعض الثالث فهو الغشيم المتعاق الذى ما إن يرى البحر أمامه حتى «يتهبل» فيلقى بنفسه فى خضمه ، وينطلق مع انطلاقاته

ويتغلت مع انفلاتاته ويتصرف بطريقة « اللى يعرف خالى يروح يقول له » ، على أعتبار أنها أجازة صيف وبعيداً عن رقابة الأهل ، وفرصة أن يمارس هذا البعض الحرية و « يشم نفسه » ويتزود بحصيلة من « الذكريات » يجترها حين يعود إلى المجتمع المقفول المتزمت المحافظ الذى يعيش فيه فى القاهرة ..

ولأن المسألة ليست تشهيراً ولا تعريضاً . إنما هى فقط من باب تقرير الواقع . وحتى يعرف كل أب وكل ولى أمر الشكل أو النوعية المحتمل أن يندرج ابنه أو ابنته تحتها قبل أن يسمح له — أولها — بالسفر إلى أوروبا فى الصيف لتعمل هناك ، فإننى فيما يتعلق بالنوعيات المشرفة سأذكر أسماءها الحقيقية . أما « النوعيات الأخرى » فلن أذكر أسماء ، لأن الأسماء هنا لا تهم ..

البنت

المصرية

هنا تنقسم إلى ثلاث نوعيات : بنت مقيمة إقامة دائمة . يعنى تركت القاهرة وراءها لتعمل فى لندن طول السنة .. وهى إما أنها قررت أن تستقر وتبقى هنا إلى الأبد وتنقل حياتها تماماً من القاهرة إلى لندن ، وإما هى هنا لسنوات محدودة كثرت أو قلت .. مثيلات « يسرية يحيى صادق » و « نورا سالم » و « عقيلة عبدون » و « ليلى سليمان » و « رابحة سليمان » و « سعاد » وغيرهن .. وجميعهن قد أنهين دراساتهن فى القاهرة قبل أن يجئن إلى هنا :

باقى نوعيتان للفتاة المصرية التى تعمل فى لندن .. النوعيتان تشتركان فى أنهما جاءتا للعمل هنا خلال شهور الصيف فقط ، يعنى فى فترة أجازة الجامعات غالباً ..

☐ بنت جاءت من وسط إجتماعى معين ، يحترم شخصية البنت ويعطيها القدر من الثقة والحرية الذى يجعلها قادرة على اختيار أصدقائها

وصديقاتها ، ويسمح لها بأن يكون لها أصدقاء وزملاء شبان فى حدود المعقول . من باب « قدام عينىّ أحسن من وراء ظهرى » . . يربيها ويغرس فيها التى ربنا يقدره عليه من القيم والمبادئ والخلق ، ثم يتركها للتعامل مع الحياة بنفسها وبتقديرها الشخصى على حسب ما تربت عليه . . من هذه النوعية : « سهير حمزة » الطالبة بكلية التجارة بجامعة عين شمس ، و « ناجية نهاد العشرى » المعيدة بكلية البنات بجامعة الأزهر ، و « منى » الموظفة فى إحدى الهيئات فى القاهرة . . وهن — غالباً — من بنات مصر الجديدة والزمالك وجاردن سيتى فى القاهرة . .

□ النوعية الأخيرة عكس ذلك تماماً . . البنت المصرية العادية التى جاءت من بعض أحياء القاهرة الشعبية المشهورة بتقاليدها وكبتها وتزمتها ورجعيتها وطريقتها فى التربية . . البنت التى جاءت من أسرة عادية متوسطة أو دون المتوسطة . تحكمها تقاليدها وقيودها وتلغى شخصية البنت تماماً ولا ترى فيها إلا « الأنثى » التى يجب أن تحاط بكل أنواع الرقابة والشك والتشدد حتى توصلها « سليمة » إلى « بيت العدل » . . البنت التى انفتحت أمامها أبواب الجامعة فجأة دون إعداد سابق ودون أن تتيح لها تقاليدها العائلية وظروفها البيتية أن تستعد لهذه « النقلة » إلى مجتمع الإختلاط ، مجتمع الصبيان والبنات معاً . . فتفعل البنت كل ما تريده من وراء ظهر مجتمعها ، الذى غالباً — حرصا على الهيبة — يفضل حكاية « وراء ظهره » هذه . . فتسمع البنت شخطة أبيها التى ترج البيت وهو يصرخ مستنكراً : « وكان قدام عينىّ ؟ ! » ، وتسمع زجر وتأنيب أمها : « مش خايفة لاحد يشوفك يقول لأبوكى أو لأعمامك ؟ ! » . . فما أن تجئ هذه البنت المصرية إلى لندن وتتأكد أنها قد ابتعدت مسافة كافية عن عين الأب وعيون الناس الذين يعرفون أعمامها وأخوالها وأزواج خالاتها ، حتى تتفرد على الآخر وتنطلق وتطيح ، و « تعُبّ » من حياة الحرية والإنطلاق عباً ، بجهل شديد يصل إلى حد البجاحة ، وكما قلت من

قبل » بطريقة « اللي يعرف أبويا يروح يقول له » . .
ولنتناول بعض العينات من كل نوعية من النوعيات الثلاث . .

البنت المصرية

حين تصبح إقامتها الدائمة وعملها الدائم وحياتها الدائمة فى لندن . يختلف تماماً شكل حياتها فى لندن عنه فى مصر .. تشعر أن هذا الجو الجديد سيكون حياتها ومستقبلها لفترة غير محدودة . لذا يكون عليها أن — على الأقل — تتواءم أو تتأقلم مع هذا الجو . و « إذا كنت فى روما فافعل مثلما يفعل الإيطاليون » . . لكن مع ذلك أيضاً يختلف شكل التأقلم من واحدة إلى أخرى :

☐ « يسرية يحيى صادق » .. جاءت إلى لندن بتصريح عمل منذ ٣ سنوات . تعمل جرسونة فى بار حمام السباحة فى أحدث فنادق إنجلترا . فندق « هيلتون » .. مشكلة « يسرية » الخطيرة هى أنها حتى الآن وبعد ٣ سنوات إقامة كاملة فى لندن . لم تستطع أن تتخلص من شكل حياتها التى كانت عليه فى القاهرة .. البنت التى تخرج من البيت بميعاد وتعود بميعاد . وتتصور أنها لو تصرفت أى تصرف « كده والا كده » فسوف يصل على الفور إلى بابا وماما فى القاهرة .. لذا . ورغم أن عملها لا يأخذ منها غير ٣ أيام فقط فى الأسبوع . فإنها تحبس نفسها تماماً فى البيت الذى تسكن فيه . ولا تغادره فى أيام أجازاتها .. وحين مرضت « يسرية » مرة زارتها فى بيتها مجموعة من زميلاتها المصريات فى العمل . وكان مع واحدة منهن خطيبها وصديق له . وكلاهما مصرى .. وفى الغربة سرعان ما تلتقى القلوب الوحيدة وتتآلف : حدث الحب بين « يسرية » والصديق . . الحب كما تفهمه « يسرية » ليس إلا طريقاً مباشراً إلى الزواج . . والزواج — حتى فى لندن — تلزمه موافقة بابا وماما فى مصر . . أرسلت « يسرية »

إلى أسرتها فى القاهرة تشرح لهم كل شيء وذكرت إسم العريس .. الأب المحافظ النشيط سأل عن العريس فى القاهرة فسمع عنه ما لم يعجبه . فكتب لابنته بأنه لا يوافق على هذا العريس للأسباب التالية . . . . . . وفى النهاية ترك الأمر لمشاعرها الشخصية إذا كانت متمسكة به برغم ذلك ..

ورفضت « يسرية » العريس — الذى تحبه — لأن بابا لم يوافق عليه من القاهرة ! .

☐ « نورا سالم » . . تعمل « هاوس كيبر » أو رئيسة للفتيات « تشامبر ميدز » اللاتى يعملن فى ترتيب وتنظيف غرف فندق « سيتى إيربورت هوتيل » . . « نورا » وقع فى حبها زميل لها إنجليزى يعمل فى نفس الفندق إسمه « ريتشارد » — وهو ليس زميلى « بورتر » « ريتشاردبرايان » — . . ورفضت « نورا » الزواج من « ريتشارد » لأنه مسيحى ، فذهب وأشهر إسلامه وسمى نفسه « عمر » . ومع ذلك لم تستطع أن تتزوجه دون علم أهلها فى القاهرة .. لكن « نورا » كانت عملية أكثر من أختنا « يسرية » : « نورا » جاءت إلى القاهرة فى أجازة سريعة و معها « ريتشارد » أو « عمر » و (طرحته على بساط البحث) ! ! ؟ . قدمته لأسرتها وتركتهم « يفحصونه » بمعرفتهم ثم يقررون هم ما يرون ! !

ونجح « عمر ريتشارد » فى الإختبار . وعادت « نورا » إلى لندن ومعها عريسها « المعتمد » من الأسرة ! !

☐ « س . . . » . . ولا داعى لذكر إسمها الحقيقى . . وهى تعمل فى فندق غير فندقنا .. سمعت عنى من صديقة لها : قالت لها إننى صحفى جئت لأكتب عن حياة المصريين والمصريات فى لندن . . فجاءت تزورنى متطوعة — كثر خيرها — لتحكى لى قصة حياتها على سيما خالص وعلى ميلودراما جاماً ، فحياتها مليئة بالمآسى والفواجع والكوارث والمصائب والآلام إلخ إلخ .. وقالت لى فى النهاية أنها تنوى نشر قصة حياتها — عمرها ٢٥ سنة على الأكثر — فى كتاب باللغة العربية حين تعود إلى القاهرة بإذن الله ،

لكننى نصحتها — والنصيحة واجبة على المؤمن لأخيه المؤمن — بأن تبيع قصة حياتها لجريدة الـ « تايمز » أو الـ « صنداى تليجراف » بـ ١٠٠ ألف جنيه إسترلينى . إنما هى فضلت أن تطبعها على نفقتها فى مصر علشان تكسر الدنيا هناك ..

هى مطربة سابقة فى إذاعة وتليفزيون القاهرة لمدة شهر واحد قبل مجيئها إلى لندن .. والدها من كبار رجال الأمن : شاويش فى الشرطة فى خدمة الشعب .. المهم أنها استغلت سذاجتى وقعدت معى ٣ ساعات حكت لى خلالها قصة حياتها المأخوذة من ٩ أفلام عربى على الأقل من صنف الأفلام المصرية القديمة التى يطلقها علينا التليفزيون فى سهرات منتصف الأسبوع ، والتى مضمونها فى النهاية أنها طاهرة الذيل وبريئة براءة طفلة عمرها أربعة شهور . . وأن — ياى — اللى يلمسها بإيده مجرد لمسة مش عارفة تعمل فيه إيه وإيه .. وأنها — مسكينة يا حبة عينى — كلما ذهبت لتعمل فى مكان يتهبل عليها الرجالة ويقعون صرعى حسنها الفتان وجمالها الوزان ويتركون بيوتهم وزوجاتهم وعيالهم ويجرون وراءها !... وفى الحقيقة أتصور لو أننى واحد من هؤلاء الرجال الذين تحكى عنهم لجريت أمامها وليس وراءها . . فالبنت شكلها بالمدى بالمدى بما يساوى ديشليون جنيه ملاليم . . وكل حركاتها وتصرفاتها برقة ودلال مصطنعين لكى تحاول أن تبدو بنت ذوات ، بالباروكة الهائلة والـ « جوب » الماكسى والرموش الصناعية الطويلة الممتدة أمامها كقرون الإستشعار وماكياج السهرات والحفلات فى العاشرة صباحاً ، والكلام الذى يقطر جهلاً وعيافة وعبطاً .. لكننى مع ذلك لم أكسفها ، فادعيت لها أننى مهتم جداً بحكايتها « المشوقة » ، وأننى « سأبرق بها » الليلة فوراً عن طريق « التيكرز » لكى تنشر فى أول عدد قادم من مجلة « الأهرام الإقتصادى » ! !

آخر تصريح أدلت به « س . . . » إلينا قبل إنصرافها هى أنها : « كتعاً — يعنى قطعاً — لن تستتيع — يعنى تستطيع — أن تعود إلى مسر — مصر — بعد زالك — ذلك — لأنها موش مومكين — مش ممكن —

ترجع للأحكام العورفية — العرفية — فى البيت ، ورايحة فين ياسوسو وجاية منين يا سوسو وما تتأخريش بوة بعد الساعة تسعة بالليل يا سوسو . . والا أنت إيه رأيك ؟ ! » .

قلت لها :

— كتعاً إننى عندك حلك ! ! !

سمعت

عنها

كثيراً قبل أن أراها . . كل الأولاد المصريين هنا يتكلمون عنها : متعالية .. متكبرة . . مغرورة .. عاملة نفسها بنت ذوات . . مش بتكلم حد من المصريين . وكل أصحابها إنجليز وأجانب .. عموماً : كانت الصورة التي تطوع الجميع لينقلوها إلى عنها أنها : بنت سيئة السمعة .. حتى شاءت الظروف أن نلتقى ونتعارف . وفى اليوم التالى كانت « سهير » تحمل حقيبتها وتأتى لتسكن فى الغرفة المجاورة لى . . وكانت وجهة نظرها فى ذلك : « إنت المصرى الوحيد اللى قدرت تفهمنى فى البلد دى » . .

مشكلة « سهير محمد حمزة » الطالبة ببكالوريوس التجارة بجامعة عين شمس هى : أنها ولدت ونشأت وتربت وعاشت حياتها كلها فى مصر الجديدة . . تربت فى جو مفتوح متحرر يعرف كيف يربى البنت ويعاملها ويغرس فيها ما يريد من المبادىء والقيم دون شخط ولانطر ولا تخويف أو إرهاب ولا أوامر ملكية لاترد .. جو يناقش الفتاة ويعطيها حرية المناقشة وحرية التعبير وحرية إبداء الرأى وينمى شخصيتها ولا يمحوها .. يسمح لها بالذهاب إلى النادى والإندماج فى شلله وبأن يكون لها أصدقاء من الجنسين : صبيان وبنات . جو لا تستل سيوفه ولا تسن سكاكينه ولا تعمر مسدساته إذا سمع صوت ولد فى التليفون .. جو يعيش شكل حياة البنت سنة ٧٤ ويعرف جيداً أن الممنوع مرغوب وأن البنت لو وضعناها

فى قمقم وحبسناها بين أربع جدران وكبلناها بالأغلال ووضعنا مفتاح حزام العفة فى خزانة من حديد . فبرضه سوف تستعمل الفتاة « الفشافشة » لتفتح كل الممنوع ، لمجرد أنه ممنوع !

وعلى هذا الأساس جاءت « سهير » إلى إنجلترا . . جاءت لتتعلم الحياة ولتتعامل مع الحياة وتمارس عملية قيادة النفس ولتجرب كيف تكون مسئولة عن نفسها وعن تصرفاتها وهى بعيدة عن الأهل .. ولم تفعل « سهير » فى إنجلترا شيئاً غريباً عن مجتمعها ووسطها الذى تربت فيه فى القاهرة .. « طيب ليه مش بتصاحبى أولاد مصريين ياسهير ؟ » .. « لأنى عندى فى مصر أصدقاء شبان كفاية ، فى النادى وفى الأسرة وفى البيت .. أصدقاء باختارهم أنا بنفسى ما حدش بيفرضهم علىّ .. وببساطة جداً ، ما لقيتش حد من الأولاد المصريين اللى هنا يستاهل الصداقة .. الأولاد المصريين اللى هنا من النوع اللى بيفكر أن ما دام البنت المصرية قبلت صداقته فهى لازم تبقى « بتاعته » : ما تكلمش حد غيره وما تعرفش حد غيره وماتصاحبش حد غيره .. يعنى باختصار الأولاد المصريين اللى هنا ـ وإنت عارفهم كلهم ـ مفهوم الصداقة بين الولد والبنت فى نظرهم أنها « علاقة » . وأنا مش جاية إنجلترا علشان « أحب » ، أنا جاية علشان أعيش وعلشان أتعلم » . . « طيب ليه كل أصدقائك أجانب ؟ برتغاليين وإنجليز زى ما سمعت ؟ » . . « لنفس الأسباب اللى قلتها لك .. أنا جاية إنجلترا علشان أحتك وأتعامل وأتفاعل مع ناس من شعوب أخرى ، وأتعلم منهم . . مش جاية علشان أحوّش شوية إسترلينى أرجع بيهم مصر .. يعنى مش جاية إنجلترا علشان « أسباب اقتصادية » ! . .

حقيقة : أنا مقتنع بوجهة نظر « سهير » ١٠٠٪ ..

وبعكس

« سهير »

تماماً نوعية أخرى من الفتيات . النوعية التى عاشت فى القاهرة فى وسط مختلف تماما وظروف اجتماعية عكسية تماما . ظروف بيئية وأسرية شديدة الإنغلاق والتزمت . كان الغريب أصلا أن تسمح هذه الظروف وهذه البيئة للبنت بالسفر إلى أوروبا . لولا السطر الأخير فى كلام « سهير » : « الأسباب الإقتصادية » .. البيئة التى ترسل ابنتها إلى لندن وفى ذهنها أولا وقبل كل شىء شكل « الحصيلة السائلة » التى ستعود بها البنت من لندن . وتذكرها بذلك فى كل خطاب ترسله إليها من القاهرة . مع توصيات مشددة — لكنها تأتى فى المرتبة الثانية — بالتمسك بالدين والمواظبة على الصلاة .. ويتصورون أنها تفعل ذلك فعلا وأنها تتصرف فى لندن كما كانت تتصرف — أمامهم — فى القاهرة . ولا يعرفون أنها قد أجلت الصلاة مؤقتا لحين عودتها إلى القاهرة ، بحجة أنها « مش عارفة (قبلة*) لندن منين ؟ » .. ولا يعرفون أنها تردد مع صديقاتها على بيوت الشبان العرب العزاب ، وتنسى شمسيتها — فقط والله أعلم — هناك ! !

البنت من هذه النوعية أو من هذه البيئة ، كانت قبل أن تجىء إلى لندن مباشرة تتقاضى مصروفها من البيت جنيها ونصفاً فى الشهر ، شأن كل يوم . لتذهب به إلى الجامعة : مواصلات وشبرقة ، فتأتى إلى هنا فى لندن لتعمل فى وظيفتين فى وقت واحد. وتصبح حصيلة مرتباتها والبقاشيش التى تتقاضاها تساوى حوالى ٣٥٠ جنيها مصريا فى الشهر الواحد . يعنى أكثر من ٢٠٠ ضعف ما كانت تأخذه كمصروف من بيتها !! .. فقطعا حين ترى هذا المبلغ فى يدها كل شهر لا بد أن تنهبل ويجرى لعقلها حاجة وتصاب بلوثة وسعار ، وتتصور أنها « عصامية » وأنها قد « وصلت بكفاحها » (!!) : فتطيح فى الناس ولا أحد يملأ عينها ، وتجلس لتضع ساقا

فوق ساق وهى تقول إنها « تحتقر كل الرجال وإن مفيش راجل رباها وأنها هى التى ربت نفسها بنفسها » ! .. وتقرر البقاء فى لندن وعدم العودة إلى مصر ، وانطلاقا من ذلك تحاول أن تتصرف كالبنات الإنجليزيات فى الإرتباط بعلاقات — من إياها — على اعتبار أنها ، خلاص ، مادامت قد ارتبطت بعلاقة مع شاب يونانى أو أجنبى فإنها إذن قد أصبحت بنت سيور وعايشة فى أوروبا . . وتتصرف بطريقة « اللى يعرف خالى يروح يقول له » . فترتبط بعلاقة مع كل شاب أجنبى أو مصرى تقابله فى طريقها : يونانى . مصرى ، طالب تجارة ، طالب زراعة ، كله محصل بعضه .. حتى يطلق واحد منهم ثم أنفسهم تشنيعة عليها فيقول : « بتاعة كله . . عاملة زى خدامات الزمالك يوم الأحد » ! ! . .

ولأنها

تعرف

أنها مهما كانت ، بنت أسرة عادية لها تقاليدها الرجعية ، وأنها يوما ما لابد وأن تنتهى الأجازة وتعود إلى القاهرة ، فإنها — حين تقترب المدة من نهايتها — تصبح عين على لندن وعين على القاهرة .. وتأتى لتسألنى : « حاتكتب عنى إيه ؟ » فأقول : « مش أكتر من اللى كان بيحصل فعلا : يعنى مش أكتر من الحقيقة » .. «لكن الحقيقة دى فى مصر حاينظروا لها نظرة تانية » .. «والله يا أختاه فيه مثل شعبى فى بلدنا يقول (إن قلت ما تخافشى ، وإن خفت ماتقولشى) ، ولو حورناه أو فسرناه شويه ممكن نخليه (ماعيب إلا العيب) .. إذا كان اللى بتعمليه عيب : بتعمليه ليه ؟ وإذا كان مش عيب : تبقى خايفة منه ليه ؟ » .. « وإيه يعنى لما أصاحب ولد يونانى أو أجنبى وأخرج معاه ، ماهو كل البنات هنا بيعملوا كده ؟ » .. « هم أحرار ، وإنتى كمان حرة . . إنما اللى لازم نعرفه إن الشاب الأوروبى مش فاعل خير ومش متطوع فى مجال الخدمة العامة . . وأنه

مع الحرية الإجتماعية والجنسية الرهيبة اللى بتسود أوروبا كلها الآن ، فإن الشاب الأوروبى لما بيخرج مع بنت — مصرية أو أوروبية أو من أى جنسية — مش بيخرج معاها تدعيا للعلاقات الثقافية بين الشعوب ولا لمناقشة مشاكل السوق الأوروبية المشتركة ولا لدراسة الآثار الإقتصادية المترتبة على عدم زراعة الكوسة فى بلاد واق الواق .. إنما بيخرج مع البنت لأنها « بنت » ، ولأن « البنت » فى أوروبا اعتادت أن « تعطى » بغير حساب وما على الشاب الأوروبى إلا أن يتنازل و « يأخذ » . كما أن الشاب الأوروبى ليس لديه صبر الشاب المصرى المكن أن يظل يجرى وراء البنت سنة كاملة حتى تلين ، وكلما ازدادت تمنعا ازداد هو تمسكا بها . . الشاب الأوروبى يخرج مع البنت مرة ، فإذا « عصلجت » فإنه لن يدق بابها مرة أخرى ، لأن اللاتى يعطين دون « عصلجة » فى متناول يده أكثر من الهم على القلب ! !

وجهة نظر .. واللهم إنى أبلغت ، اللهم فاشهد !!

لست أدرى

لماذا تطفو النماذج الرديئة فوق السطح وتبدو واضحة جلية أكثر من النماذج الطيبة ؟ ! أو لعلها عين الصحفى النقادة التى تلتقط النماذج الشاذة قبل النماذج الطبيعية ..

سمعت عنه قبل أن أراه .. قالوا لى عنه إنه دلوعة وابن ذوات .. كان يعمل فى الشيراتون فى تنظيف سجاجيد غرف النزلاء ... وبلغتنى فى البداية شهرته — التى يسميها هو «هوايته » — فى جمع التذكارات«(!) .. والتذكارات التى يهوى «ر..» جمعها ليست أنتيكات ولا تحف ، إنما هى « حاجات بسيطة كده من متعلقات النزلاء » . . يعنى تذكارات من النزلاء أنفسهم ، دون علمهم طبعا !! .. حتى ضبط فى النهاية ومعه

٢٠٠ مارك ألمانى أخذها كـ«تذكار» من غرفة أحد النزلاء .. ويفصله الشيراتون على الفور طبعا . ويستضيفه البوليس الإنجليزى أربعة أيام تحت التحقيق الذى يدعى فيه أنه «عثر» على هذا المبلغ وكان ذاهبا لتسليمه لإدارة الفندق .. ويقتنع البوليس الإنجليزى بهذه الحجة لكن الشيراتون لا يقتنع فيرفض إعادته إلى العمل !

الليلة كنت أستعد للخروج من بيتى فى طريقى إلى الفندق الذى أعمل به ، حين دق جرس الباب ففتحته لأجد أمامى شابا طويلا لا أعرفه وإن كنت قد استنتجت على الفور — من أوصافه — من هو .. سألنى باللغة الإنجليزية عن مستر قدرى فبادرته بالعربية : «إنت ... ؟» فأجاب بالإيجاب . فأخذته معى فى طريقى إلى محطة الأوتوبيس ليحكى لى مشاكله التى أراد مقابلتى ليستشيرنى فيها : «عايز أنزل مصر حالا علشان عندى امتحان قبول فى معهد الفنادق» .. «طيب وماله . ما تنزل» .. «رحت أحجز فى الطيارة قالوا لى مفيش أماكن قبل يوم ٢٠ . وامتحانى فى المعهد لازم يكون بين أيام ٧ و ١٤ فى القاهرة» .. «طيب والحل ؟» .. «غصب عنى مضطر أستنى مادام مفيش أماكن» .. «وامتحانك فى المعهد ؟» .. «تتدبر لما أنزل مصر . أصل خالى هو الدكتور (...) اللى كان وزير فى مصر له كلمة أوى على بتوع السياحة والفنادق لأنه المستشار القانونى بتاع شركة فنادق (....) فى العالم كله» .. «طيب كويس . يعنى المشكلة محلولة . خلاص ، خليك فى لندن لغاية ميعاد الطيارة يوم ٢٠» .. «أخليني فى لندن إزاى إذا كان مامعاييش فلوس أصرف منها ؟ !» .. عملت نفسى لا أعرف شيئا وسألته : «هو إنت مش بتشتغل فى الشيراتون ؟» .. «لأ ، مشيت منه لأنى مش عاجبنى الشغل فيه» .. «وحاتقعد من غير شغل أسبوعين كاملين من دلوقتى لغاية يوم ٢٠ ؟ !» .. «آه .. أصلى عايز أتفسح شوية وأشوف لندن كويس ! !» .. «تتفسح إزاى وتشوف لندن

كويس إزاى ، وتعيش أصلا إزاى ، إذا كنت مفيش معاك فلوس ؟!» .. «مش عارف» .. «لأ ، ما انت لازم تعرف ، لأن مش معقول إنك تستلف علشان تتفسح ، وهنا مفيش حد أصلا بيسلف حد ... هنا المصريين كل واحد فلوسه على قده ومحتاجها ، ومش حتلاقى حد يسلفك .. حاتعمل إيه ؟! » .. « وسهير ؟ ! » .. « على قدر معلوماتى أنا أعرف إن سهير مرتبها على قد مصروفها ومش محوشة ولا مايم ، ثم المفروض إن البنت لما تتزوج هي اللى تاخد من الولد ، مش العكس » .. ويتجاهل « و .. » كلامى ويستطرد : « وتصور كمان إن صاحب البيت اللى أنا ساكن فيه لما سمع « الإشاعات » اللى بتتقال عنى (!!) أعطانى إنذار إنى لازم أترك البيت آخر الأسبوع ده ، وبعد كده حالاقى نفسى فى الشارع » .. « ودى مشكلة جديدة .. وحاتعمل إيه فى مشكلة السكن كمان طول الأسبوعين اللى فاضلين لك لغاية ما تسافر؟ » .. « مش عارف .. لكن على أى حال أنا معروض على شغل يبتدى من بكرة بـ ١٨ جنيه فى الأسبوع مع الإقامة الكاملة سكن وأكل ، بس أنا مكسوف أشتغل أسبوعين بس » ! ! .. وهنا تمنيت لو أننى استطعت أو كان من حقى أن أرفع يدى وأضربه قلما يسمعه أهله فى مصر اللى دلعوه وميصوه الدلع والمياصة والمياعة دى كلها ، ثم « أطلقوه » على الناس فى لندن ليكون نموذجا سيئا ورديئا للمصريين هناك ..

الطالب

المصرى

هنا يلوح دوخة الإبل فى الصحراء حتى يجد عملا فى لندن ، فإذا اشتغل تنمرد على الفور وعمل أبو على ويريد أن يمشى الإنجليز على مزاجه : الأخ « كالح » — أو « فسدان » كما أطلقت عليه « سوسن » — بعد أيام قليلة من التحاقه بالعمل رفض أن يلبس يونيفورم الجرسونات وأراد أن

يعمل بملابسه العادية ، فلما سألته : « ليه يا كالح ؟ » قال : « أنا كده وإذا كان عاجبهم » ! ! . . وظل الأستاذ « كالح » يتدلع ويتايع ويتمايص ويقول أمام الجميع أنه ليس مصريا وأنه يريد أن يتجنس بالجنسية الإنجليزية . تحببا إلى الإنجليز وتقربا منهم وتملقا لهم ، حتى — برضه — رفده الإنجليز في النهاية لقلة أدبه التي لم يستطع أن يداريها عنهم .. ولحس أرض لندن بعد ذلك دون أن يجد عملا آخر ..

حكايته

هو الآخر من صديقة مصرية تعمل في الشيراتون وتسكن في الغرفة المجاورة لي في « واي آفينيو » في « كرانفورد » : « شاب » مصري قارب الستين ، يجري بالمشوار وراء فتاة مصرية في عمر أحفاده ، عمرها عشرين سنة ، طالبة في الجامعة .. ظنت الفتاة في البداية أن اهتمامه بها مجرد « عواطف أبوية » ، فلما اكتشفت أنه يحاول أن يستعيد معها ذكريات مراهقته الأثرية المتحفية ، جزعت منه وبدأت تتجنبه ، فخطا « بابا جدو » خطوة أبعد : عرض عليها الزواج !! وهنا لم تجد الفتاة بدأ من أن تذكره بأنه أكبر من « مامتها » هي شخصيا بعشرين سنة : يعني أنه حتى لو تقدم ليطلب يد مامتها نفسها لرفضته « لفارق السن » !! ، كما أنها مخطوبة — الفتاة هي التي مخطوبة وليست مامتها طبعا !! — ولها خطيب ينتظرها في القاهرة .. وحتى إن لم تكن مخطوبة وقررت أن تتزوج فلن تتزوج في لندن بعيداً عن أسرتها ، وإذا تزوجت في لندن بعيداً عن أسرتها فإن آخر واحد تفكر في أن تتزوجه هو « بابا جدو » ، لأن الشبان اللي زي الورد ماليين الدنيا هنا ، والتي يكون الورد أمامها بالكوم لن تكون محتاجة إلى أن تتكش في « الرابش » علشان تطلع واحد زي سعادته وتتزوجه !!

وابتعدت الفتاة عن طريق « بابا جدو » بعد ذلك تماما ، وتركت

البيت الذى كانت تسكن فيه وجاءت لتسكن فى الغرفة المجاورة لى عند الشابة الباكستانية المسلمة « حفيظة » .. لكن « بابا جدو » المصدوم فى « عواطفه » راح يطاردها فى كل مكان حتى عرف عنوانها الجديد ، فجاء ليطلب مقابلة صاحبة البيت ليحذرها من الفتاة ويطلب منها طردها من بيتها لأنها فتاة سيئة السمعة وتثير المشاكل أينما سكنت ، وأنه — والأخوية والعيش والملح — يخشى على سمعة « حفيظة » نفسها من أن ينالها رذاذ من سمعة الفتاة السيئة (! !) ..

وذهلت الست « حفيظة » وهى تسمع من « بابا جدو » هذا الكلام وقالت له : « حضرتك تعرفنى أنا قبل كده ؟ » أجاب : « لأ .. لكن إحنا مسلمين زى بعض وأنا قلبى عليكى » قالت : « والفتاة دى ديانتها إيه ؟ » قال : « مسلمة » قالت : « وجنسيتها إيه ؟ » قال : « مصرية » قالت له : « وإنت جنسيتك إيه ؟ » قال : « مصرى برضه » .. واتفتحت فيه الست « حفيظة » وهى تسوقه أمامها إلى باب الفيللا : « بأه يعنى عايز تقوللى إنك خايف على سمعتى أنا الباكستانية وأنت داير تشنع على سمعة بنت مصرية زيك ؟ .. عايز تفهمنى إنك قلبك علىّ أنا أكتر مما قلبك على بنت بلدك ؟! .. عايزنى أصدقك وإنت جاى تطلب منى أنى أطرد من بيتى بنت فى سن بنات بناتك وأرميها فى الشارع علشان تبقى أنت مبسوط ؟ ! » ..

وكرشته الست « حفيظة » من البيت ورزعت الباب وراءه .. وجاءت تدق بابى لتحكى لى كل ماحدث وهى ثائرة ومنفعلة ..

نموذج سيء جداً للمصريين فى الخارج « بابا جدو » هذا ، والمفروض أن أجهزة الدولة عندنا ترصد « حوشى » أمثاله ولا تسمح لهم بالخروج من مصر على الإطلاق ، حتى لا يسيئوا إلينا فى الخارج بتصرفاتهم المراهقة هذه ..

(١٦)

□ توت عنخ آمون .. رئيس جمهورية ! ! □

مستر « ليتل جون » المدير المساعد للفندق . كان هو المدير « النوبتجي » السهران الليلة .. يبدو أنه كان هناك ارتباك في مكتب الإستقبال . فظل مستر « ليتل جون » حتى نحو الثالثة صباحا يساعد « روبرت » موظف الاستقبال لواردية الليل . ويعمل معه في إنهاء الأوراق المعطلة .. في الثالثة صباحاً نهض مستر «ليتل جون» واقفاً وقال : «good-night .. تصبحوا على خير » وتوجه إلى غرفته لينام عدة ساعات حتى الصباح .. روبرت « ماصدق » أن المدير السهران قد ذهب إلى غرفته ، حتى زوغ هو الآخر وغطس واختفى تماماً وانقطعت أخباره .. وترك مكتب الإستقبال خاليا تماماً ..

بعد نصف ساعة فقط – ومكتب الإستقبال في مواجهة مكتبي تماماً – فوجئت بمستر « ليتل جون » وقد عاد مرة أخرى من غرفته ، ونظر إلى مكتب الإستقبال فوجده خالياً ، فنظر إلى ناحيتي وهو يبتسم كأنه يقول لي : « كنت أعرف أن ذلك سوف يحدث » .. وجلس على مكتب « روبرت » الموظف المزوغ . وظل يعمل مكانه حتى الصباح !!

الشابة
الإنجليزية

الحسناء التى تحضر إلى الفندق مرة كل عدة أسابيع ومعها مجموعة من البنات الفليبينيات واضح جداً من شكلهن وملابسهن أنهن من أحقر طبقة ممكنة فى الفلبين ، يعنى حتى دون مستوى الخادمات .. وأفاجأ فى اليوم التالى بهؤلاء البنات وقد ارتدين « يونيفورم » الفندق ويعملن فى خدمة الغرف « تشامبر ميدز » .. قطعا هذه الشابة الإنجليزية متعهدة توريد عاملات . يعنى حاجة كده زى صديقنا « الدكتور » المصرى إياه .. لكنها هى بتشغلهن فعلا مش بتنصب عليهن ! !

وبمناسبة صديقنا « الدكتور » المصرى إياه ، غريب جداً أمر هذا الرجل : وهو فى القاهرة قبل أن يبعث بنا إلى لندن . كان كلما تكلم معنا أو أمامنا يقول : « مكتبنا فى لندن ، مكتبنا فى لندن ، مكتبنا فى لندن .. مكتبى فى لندن » .. وهوّس الدنيا بحكاية مكتبه اللى فى لندن وسكرتاريته اللى فى لندن ، وكل بنت مصرية مسافرة إلى لندن عن طريق مكتبه اللى فى القاهرة ، ياخدها على جنب ليقول لها إنه قد عينها « سكرتيرة خاصة » له فى « مكتبه اللى فى لندن » !! ... الذى لم أستطع أن أفهمه حقيقة : ماهو سر إصراره على حكاية « مكتبه اللى فى لندن » و « سكرتاريته اللى فى لندن » مادام هو يعرف تماماً أننا بمجرد أن نصل إلى لندن سوف نكتشف أن المسألة كلها « نصب » وإن لا فيه مكتب ولا سكرتارية ولا حاجة أبداً ولا يحزنون .. متأسف ، الشهادة لله : فيه « يحزنون » ..!!

وحين بدأت بعد ذلك أراجع كلامه الذى كنت أسمعه منه فى القاهرة ، والذى يدس فيه كل شوية أنه « دكتور فى القانون » و « أستاذ فى معهد الإدارة العامة » وأنه كان خبيراً مصرياً فى هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك ،

وأنه يوم أن استقال منها زعل جداً مستر « يوثانت » وذهب إليه لغاية مكتبه في لندن – متأسف : لغاية بيته في نيويورك – لكي يلح عليه ويرجوه ألا يحرم الأمم المتحدة من جهوده !!

منك لله يامستر « يوثانت » . إنت السبب في ده كله : بأه مش كان حقك اتحايلت عليه شوية زيادة يمكن كان رضى يستنى في الأمم المتحدة . وكان زمانا احنا مستريحين ! !

بالمناسبة أيضاً : عرفت الليلة معلومة جديدة عن تشغيل الأجانب هنا من صديقتي الإنجليزية « جوسلين كليمنتس » مساعدة مدير عام المستخدمين في سلسلة فنادق « سنتر هوتيلز » .. قالت لي « جوسلين » إن مكتب التوظيف الذي يورد أي عدد من العاملين الذين تحتاج إليهم الفنادق في لندن يتقاضى من إدارة الفندق عشرة جنيهات إسترلينية عن كل شاب أو فتاة تعمل عن طريقه .. أي أن المبلغ الذي يتقاضاه « الدكتور » من الذين يرسلهم ليعملوا في إنجلترا بدعوى أنه « يدفعه » للفنادق التي سوف يعملون بها . يدخل في جيبه الشخصي أيضاً ، لأن هذه الفنادق هي التي « تدفع » له وليس هو الذي يدفع لها !!

آخر
مرة

التقينا فيها كانت في القاهرة منذ نحو ٣ سنوات ، وكان هو يستعد للمجيء إلى لندن سفيراً لمصر بها .. اليوم أنا على موعد معه في السفارة المصرية بلندن ومعلوماتي تقول أنه يستعد للعودة إلى القاهرة ليتولى منصباً آخر هناك : السفير المصري « كمال الدين رفعت » .. محور حديثنا هو الموضوع الذي يشغلني – والذي أنا هنا في لندن من أجله الآن – ويشغل معي ربع مليون طالب في جامعات مصر ، ويشغل أيضاً وراءهم ربع مليون أسرة تفكر في هذا الموضوع بدرجات متفاوتة : موضوع اشتغال الطلبة المصريين

فى أوروبا فى أجازات الصيف .. قال لى السفير « كمال الدين رفعت » :

ــ الظروف هنا فى إنجلترا ، خصوصاً السنة دى بعد دخول بريطانيا فى السوق الأوروبية المشتركة ، أصبحت أكثر صعوبة عن الأعوام السابقة ، لأنه أصبح فيه تدقيق شوية بالنسبة للأيدى العاملة الأجنبية اللى من غير دول السوق .. يعنى المسألة لم تعد سهلة زى زمان .. لكن اللى بيحصل أنهم هنا بيحتاجوا فى فترة الصيف ــ اللى هو الموسم السياحى فى إنجلترا ــ إلى أيدى عاملة كثيرة خصوصا فى قطاع الخدمات زى المطاعم والفنادق ، وهذه الأعمال الإنجليز بيرفضوا بشدة أنهم يعملوا فيها . وهى ظاهرة لم تكن موجودة حتى فترة قريبة .. يعنى من ٥ ــ ٦ سنين فقط كنت تدخل أى مطعم أو فندق تلاقى العمال فيه إنجليز . النهارده تدخل هذه المطاعم والفنادق بالذات تلاقى كل العاملين فيها أجانب : إيطاليين ، يونانيين ، وباكستانيين ، هنود ، أسبان .. وفى فترة الصيف بالذات بيضطروا إلى الإستعانة بالأيدى العاملة الأجنبية ، فى الوقت اللى القانون الإنجليزى فيه لا يسمح لأى واحد بالعمل فى إنجلترا بأجر أو بغير أجر إلا إذا كان معاه تصريح عمل من وزارة العمل الإنجليزية ، إنما لأنهم فى الوقت نفسه عارفين ظروف احتياج الفنادق والمطاعم والخدمات إلى أيدى عاملة . فنى فترة الصيف بيتغاضوا شوية ومش بيعصلجوا فى تشغيل الأجانب ، لكن « دكاكينى » من غير القانون ما يعرف ... وتقدر تقول إنه فى الحقيقة القانون بيبقى عارف و « مطنش » ... وبالنسبة للمصريين بالذات فيه شوية تغاضى برضه نظراً لتحسن الظروف والعلاقات بين مصر وإنجلترا ، يعنى بيتركوا الأولاد المصريين يكدبوا وهم عارفين أنهم بيكدبوا وجايين إنجلترا علشان يشتغلوا ... لكن اللى بيتدب ويعمل نفسه صريح ومش بيعرف يكذب ويقول لموظف مكتب الهجرة فى المطار إنه جاى يشتغل فيرجعوه دوغرى من برة برة ، كما حدث مع مجموعة الشباب اللى جاءوا على طائرة واحدة وكانوا صرحاء جداً ــ أو ساذجين جداً ــ فقالوا فى

فى مطار لندن إنهم جايين علشان يشتغلوا . فرحلوهم على نفس الطيارة ورجعوهم مصر تانى فى نفس اليوم ...

لكن حين يشتغل الأولاد المصريين هنا فبيشتغلوا تحت ظروف سيئة جداً من ناحية الأجور ومن ناحية ساعات العمل ، خصوصاً لما أصحاب الأعمال يعرفوا أن مفيش معاهم تصاريح عمل .. فأقل عامل إنجليزى هنا بيشتغل بـ٨٠ بنس فى الساعة . إنما الشاب المصرى بيضطر يقبل شغل بـ٤٠ بنسا فى الساعة وأقل فى كثير من الأحيان . كما أنه بيشتغل عدد كبير من الساعات وبيتقطع قلبه من الصبح بدرى لغاية بالليل ويستهلك صحياً تماماً .. ونلاقى نفسنا – السفارة – مش قادرين ندافع عن مصالح الشاب المصرى اللى بيعمل هنا لأنه أصلا عمله فى لندن غير قانونى . فيضطر يسكت غصب عنه وإلا سيطرد من البلد خالص لو انكشف أمره .. كما أن معظم المصريين هنا بيقبلوا أى عمل من أى نوع ما دامت المسألة شهرين تلاتة بتوع الصيف وراجعين مصر ...

قلت

السفير

المصرى « كمال الدين رفعت » :

☐ « ما الذى تستفيده مصر من حكاية اشتغال الطلبة المصريين فى أوروبا فى فترة الصيف ؟ !

– العدد الهائل من الطلبة المصريين اللى بييجوا لندن وحدها خلال الصيف ، إذا تواضعنا جداً وقدرناه بـ٣٠,٠٠٠ شاب وفتاة ، مضروبين × ٣٠ جنيه إسترلينى تصرفهم الدولة فى القاهرة لكل واحد منهم = ٩٠٠.٠٠٠ جنيه إسترلينى : يعنى ما يقرب من مليون جنيه تضيع من رصيد مصر من العملة الصعبة ، وطبعاً الشاب أو الفتاة منهم بيرجع مصر مفيش معاه ولا تعريفة عملة صعبة ، لأنه أساساً بيكسب فلوس قليلة جداً ولا يدخر

منها ، لأنها يادوب بتكفيه يعيش ويسكن وياكل ويشرب ويشترى بالباقى كام قميص وكام پولوفر وريكوردر كاسيت وساعة شكلها غريب علشان الناس اللى فى مصر يعرفوا أنه جايبها من لندن ، وكان الله يحب المحسنين ... يعنى الطالب المصرى اللى بييجى لندن فى الأجازة مش بيرجع بعربية زى ما الناس فى مصر متخيلة .. إنما السؤال هنا ممكن يكون : هل الطالب نفسه بيستفيد شخصياً وثقافياً وعلاقات ومعرفة ؟ !

هو ممكن يكون بيستفيد شوية لغة أكثر ، وبيشوف الحياة على حقيقتها أكثر. فيستيقظ من أوهامه ويكتشف أنها ليست سهلة كما كان يتصورها .. هنا بيشتغل أى عمل قد لا يقبله فى مصر بحكم الظروف الإجتماعية .. لكن فيه فى لندن متاحف علمية معظم الطلبة المصريين اللى بييجوا هنا ماعندهمش أى فكرة عنها ولا بيحاولوا يشوفوها ولا حاجة .. يعنى بييجوا لندن يتمشوا فى الشوارع ويشوفوا البيكاديللى والهايدپارك وأوكسفورد ستريت وبس .. فبتكون النتيجة أنه – كطالب – لا يستفيد أى حاجة علميا على الإطلاق .. قد يستفيد شوية خبرة بالحياة ، شوية لغة إنجليزية ، شوية احتكاك وتعامل بسيط جداً فى حدود الناس اللى بيشتغلوا معاه فى المطبخ أو فى المطعم ، إنما فايدة علمية كطالب مش بيستفيد حاجة أبداً .. وفيه أولاد تانيين بيكونوا جايين لندن علشان يتشاقوا مع البنات الإنجليز وفاكرين ، على ما سمعوا ، إن البنات الإنجليز حاينتظروهم فى المطار بالأحضان وحايجروا وراهم ، فيفاجأوا بأن البنت الأجنبية عموماً ، والإنجليزية بالذات ، بتختار بمزاجها ومفيش بنات مترصصين على الأرصفة ولا منتظرين فى المطارات وصول الغزاة الفاتحين المصريين علشان يترموا فى حضنهم !!

بعد ٣

سنوات

سفيراً فى لندن — قلت للسفير « كمال الدين رفعت » — ماهو شكل المشاكل اللى بتنتج عن وجود هذا العدد المهول من الطلبة المصريين فى لندن خلال فترة أجازات الصيف ؟ ! ..

— مش عارف هل من حسن الحظ أو من سوئه أنه لا تبلغنا مشاكل كثيرة بالنسبة للطلبة المصريين ، لكن قطعاً هناك جزء كبير من المشاكل يحدث ولا يصل إلينا فى السفارة أو فى القنصلية ... إنما بشكل عام وبالنسبة للأعداد المهولة من الطلبة المصريين اللى بيكونوا هنا فى لندن فى الصيف ، فالمشاكل تعتبر قليلة نسبياً ، أبرزها السرقة من المحلات .. وكانت زمان عقوبة السرقة من المحلات حاجة بسيطة وغرامة وبس .. لكن الآن لابد من المحاكمة والحبس والسجن .. إنما هى نسبة ضئيلة جداً من المصريين هم اللى بيسرقوا ، يعنى لا تمثل ظاهرة على أى حال .. المدهش والغريب أنهم مش بيسرقوا من المحلات علشان محتاجين أو مضطرين أو جعانين ، إنما بتلاقى واحدة ست بتسرق حاجة بجنيه وهى فى شنطة إيدها ٢٠٠ جنيه ، وفى الحالات دى القانون الإنجليزى بيضاعف العقوبة وبيشتد فيها ، لأنها بتكون بتسرق « دناوة » ، فيعاقبوها بشدة علشان تحرم ، زى حكاية البنت المصرية اللى ضبطوها بتسرق من محل ، وبعدين اتضح أنها بنت سفير سابق .. وحكاية زوجة مدير المؤسسة المصرية اللى سرقت برضه ، والأميرة العربية اللى عمرها ١٥ سنة وضبطوها بتسرق .. والقانون الإنجليزى هنا مفيش فيه هزار ، ولا تستطيع أن تحمى أى مخالف ، سواء كان حرامى أو حتى مخالف لتعليمات المرور . .

وكانوا زمان مش بينشروا حكاية السرقات دى فى الصحف الإنجليزية ، لكن الآن والسنة دى بالذات بينشروها وبيبرزوها بالتفاصيل وبالأسماء

الكاملة . . وكنا فاكرين أن المقصود بحكاية النشر فى الصحف هم العرب بس ، لكن مرة نشروا إحصائية اتضح منها أن أكثر لصوص المحلات التجارية هم الفرنساويين والإسرائيليين والإيطاليين واليوجوسلافيين .. وللأسف البوليس الإنجليزى هنا بيرفض التعاون معانا فى مثل هذه الموضوعات .. طلبنا منه مرة أن يعطينا أسماء الطلبة والمصريين عموما اللى بيسرقوا من المحلات ، أو النماذج غير المشرفة علشان نمنع مجيئهم إلى لندن أو سفرهم إلى خارج مصر على الإطلاق بعد كده . لكن البوليس رفض أن يعطينا أسماءهم ، هكذا بدون إبداء أسباب ، فى الوقت اللى بيعطيها فيه للصحف لتنشرها .. وطبعا مش ممكن فى الحالات اللى زى دى نقدر نعتمد على أن تكون مصادرنا هى الصحف وبس ..

قلت

لـ « كمال

رفعت » : وماذا عن ظاهرة ضياع جوازات سفر الطلبة المصريين هنا فى لندن ؟ !

— المفهوم طبعا إن الجوازات اللى بتضيع تبقى اتباعت .. لكن المسألة لها وجهين أو حالتين : إما أنها بتتسرق فعلا بواسطة عناصر معينة — غالباً إسرائيلية — للإستفادة من هذه الجوازات .. وإما أن يكون بعض الطلبة المصريين بيبيعوا جوازات سفرهم نتيجة إحتياجهم إلى فلوس ، فيكونوا مضطرين يبيعوها علشان ياكلوا بثمنها .. لكن النتيجة واحدة فى الحالتين ، لأن مين ممكن يكون له مصلحة فى إنه يشترى جواز سفر مصرى إلا العملاء الإسرائيليين ؟ ! وفى الحقيقة إحنا مش بنقدر نعرف مين الصادق ومين الكذاب .. مين اللى الجواز بتاعه ضاع منه بصحيح ومين اللى باعه ؟ .. لكن قطعا بنبلغ الجهات المسئولة فى القاهرة علشان تراقب الحكاية دى وتشوف الجوازات اللى ضاعت دى مصيرها إيه ،

وتفحص حالة الشخص اللى الجواز بتاعه ضاع .. إنما فى أغلب الأحيان القنصلية مش بتطلع جواز سفر جديد للشخص اللى جواز سفره ضاع . إنما بتطلع له تذكرة عودة إلى مصر فى الطيارة على طول ، وفى مصر تبحث حالته .. وفى الحالتين الدولة بتسترد ثمن التذكرة منه بعد عودته إلى مصر ..

وفيه حالات بيكونوا فيها بعض الطلبة المصريين تعبانين مادياً جداً ومش لاقيين عمل ، فيلتقطوهم عملاء إسرائيل لتجنيدهم لخدمة المخابرات الإسرائيلية .. وفى الحالة دى فيه بعضهم بييجى لنا يبلغ . وفيه بعضهم بينهى هذه العلاقة من برة برة بعيد عننا من غير ما يبلغ .. وبرضه فيه بعضهم بيمشى فى الموضوع ظناً منه أن عين المخابرات المصرية غافلة عنه .. علشان كده بانصح كل الشبان والطلبة المصريين اللى بتحصل معاهم إتصالات مع عملاء إسرائيل إنهم يبلغوا فوراً السفارة هنا أو جهاز المخابرات فى مصر علشان يبقى ممكن الإستفادة من المعلومات اللى بيقدمها المُبلِّغ . أو حتى لايضار هو نفسه إذا كانت أجهزة المخابرات المصرية متابعة إتصالاته ومراقباها من الأول ..

وفيما

يتعلق

بتنظيم عملية سفر الطلبة المصريين إلى أوروبا عموماً فى الصيف ؟ ! ..
قال السفير « كمال الدين رفعت » :

— يجب أن تتدخل الدولة والمسئولين عن رعاية الشباب فى مصر بصورة جدية وفعالة لتنظيم جزء كبير — على الأقل — من هذه العملية .. من ناحية الإتفاق والتنسيق مع الجهات المعنية بالشباب هنا فى إنجلترا ، سواء فى معسكرات صيفية لها برامج موضوعة ، وأتصور أنهم هنا حايرحبوا .. لكن أن تكون وزارة العمل فى مصر ووزارة العمل فى إنجلترا بعيدتين عن

الصورة تماماً وماهمش دعوة بحاجة أبداً كما هو حادث الآن ، فذلك مش سليم ومش مضبوط .. ومن ناحيتنا إحنا هنا كسفارة مستعدين للقيام بالإتصالات والترتيبات لعمل إتفاقيات وعقود تحفظ حقوق العمال المصريين وتعطينا « كوتة » أو « حصة عمالة » معينة تتحرك فى حدودها ، إلى جانب معسكرات العمل الصيفية .. وبالشكل ده نضمن أن جزءاً كبيراً من الشبان اللى جايين إنجلترا فى الصيف جايين بشكل منظم ومدروس وتحكوم وحقوقهم محفوظة ، وده أحسن كتير طبعا من أنهم ييجوا يناموا فى حديقة الهايدپارك أو ميدان البيكاديللى ..

☐ سامعة يا وزارة العمل فى مصر ؟ ! .. وهو
ليس رأى مسئول عادى أو سفير عادى ،
إنما هو رأى وزير عمل سابق أيضًا فى مصر ..

الكتاب

الكتاب

الكتاب .. الشعب الإنجليزى شعب قارئ جداً ، شديد النهم فى القراءة .. لا تجد حسناء — مثلا يعنى — واقفة على محطة القطار أو محطة المترو تتلفت حولها كالبلهاء أو تستعرض جمالها وترى تأثيره فى عيون المشاهدين ، ولا تجد واحدة جالسة فى محل ماكينات غسيل الملابس وهى ترغى وتدش مع جارتها ، لكن كل واحد وكل واحدة فى يدها كتاب تقرأ فيه بانهماك شديد كأنها ستمتحن فيه بعد ساعة ..

ومع ذلك ... فهم شعب جاهل جداً إلى حد قريب من الأمية ، ليست لديه أية معلومات عن خارج حدود بلاده .. ضعيف جداً فى التاريخ وليست لديه أية معلومات عامة .. شعب لا يقرأ إلا الروايات البوليسية ويعبد « أجاثا كريستى » التى تنتشر رواياتها فى مكتبات محطات المترو الـ « أندرجراوند » وتحتل وتملأ الرفوف الرئيسية فيها وتجدها فى كل

الأيدى فى عربات المترو كأنها كتب مدرسية مقررة .. والصحف الإنجليزية نفسها تقول فى تحقيقاتها الصحفية إن ١٪ فقط من الإنجليز الذين يدخلون المدارس يكملون تعليمهم .. وذلك صحيح إلى حد كبير ، فإنى – على الأقل فى محيط الفندق الذى أعمل فيه – لم أجد جامعياً واحداً. حتى المديرين أنفسهم..وأى وظيفة هنا لا تشترط الشهادات على الإطلاق. تشترط فقط أن تكون تستطيع أن تقوم بها . .

الإنجليز يعرفون تاريخهم هم فقط جيداً .. لكن يأتى واحد مثل صديقى وزميلى الإنجليزى « ريتشارد » منذ عدة أيام ليسألنى عن « الرئيس » توت عنخ آمون (!!) الذى شهد معرضه فى لندن من الخارج ولم يدخله . يعنى رأى الطوابير فقط .. « ريتشارد » يتصور أن « الرئيس » توت عنخ آمون هو أحد رؤساء الجمهورية السابقين فى مصر ، ويتصور أنه مازال حياً حتى الآن ، ويسألنى إن كنت – كصحفى – أعرفه شخصياً وقابلته ! !

فرح « ريتشارد» جداً حين وعدته بأنى حين أعود إلى مصر سوف أرسل له صورة فوتوغرافية للرئيس توت عنخ آمون موقعة منه شخصيا !!

ومع

أن

الإنجليز يقرأون الصحف والمجلات الإنجليزية باهتمام شديد إلا أن الصحف الإنجليزية نفسها تهتم كثيراً بإبراز أتفه الموضوعات ..مانشتات الصفحات الأولى والصفحات الرئيسية فيها تهتم جداً بالكورة وبالجرائم وبالصور الجنسية العارية الفاضحة التى تنشرها صحيفة يومية شهيرة مثل « دايلى ميرور » كل يوم على صفحتها الثالثة : أهم صفحة فى أى جرنال .. تهتم بحوادث الخيانات الزوجية وهروب الزوجات مع عشاقهن، والبنت التى عمرها ١٥ سنة ومرت بـ٣٠ قصة حب ، والفتاة الزنجية التى

سوف يتزوجها الممثل الإنجليزى الشهير « بيتر فينش » ، والعروس التى هربت مع سائق أوتوبيس بعد أربعة أيام من زفافها ، وكيف تعادلت إنجلترا فى كرة القدم مع بولندا فخرجت بذلك من مباريات كأس أوروبا وتطالب بطرد سير « آلف رامزى » مدير فريق إنجلترا الدولى وشنقه فى ميدان الـ « ترافلجار » لأنه هو اللى كان السبب ، منه لله !!

تصدر فى لندن أكثر من ١٠ صحف يومية ، أشهرها :

☐ الجارديان .　　　☐ التايمز .
☐ الدايلى تليجراف .　　　☐ الدايلى إكسبريس .
☐ نيوز أوف ذى وورلد .　　　☐ الفاينانشيال تايمز .

وهذه تصدر فى الحجم الكبير المعتاد الذى يشبه حجم الصحف اليومية المصرية أو أكبر قليلا .. وصحف أخرى تصدر فى نصف هذا الحجم الذى نسميه فى الإصطلاحات الصحفية « التابلويد » ، مثل :

☐ الدايلى ميل .　　　☐ الدايلى ميرور .
☐ ذى صن .　　　☐ الإيفيننج ستاندارد .
☐ الإيفيننج نيوز .

وهى تصدر فى أيام الأسبوع العادية — غير الأحد — فى ٢٤ صفحة على الأقل . أما صحف يوم الأحد فإن لها عندهم أهمية واهتماماً عظيمين : النسخة الواحدة من صحف الأحد تزن أقة وفيها عدد الصفحات لايقل عن ٤٤ صفحة ، وغالباً يزيد .. وتخيل أنت ٤٤ صفحة بحجم « الأهرام » مثلا يبقى شكلها إيه وتبقى قد إيه .. وبعض هذه الصحف يصدر معها يوم الأحد ملحق : مجلة كاملة مطبوعة بالروتوغرافور وبالألوان فى ٨٠ صفحة ، وتوزع مجاناً مع صحيفة الأحد ، مثل « التايمز » و « التليجراف » و « الأوبزيرفر » ..

والجرائد المسائية عند الإنجليز لا تقل فى أهميتها عن الجرائد الصباحية :. الجريدة المسائية عندنا فى مصر تجدها فطسانة وغلبانة وتصدر متدارية وعلى

استحياء كأنها مكسوفة . وتوزع كام ألف نسخة قليلين فى السروق الخفاء . وقد تجد ناس كثيرين عندنا فى مصر لا يعرفون إن كانت عندنا جرايد مسائية أم لا .. لكن هنا فى إنجلترا الجرايد المسائية تنافس فى توزيعها الجرائد الصباحية . والإنجليز يشترون الإثنين ..

والإنجليزى يشترى جريدته ويقرؤها فى المترو ويتركها على مقعده وهو نازل أو يضعها فى سلة المهملات فى الشارع فلا يمد أحد يده ليأخذها . والذى يريد أن يقرأ الجرنال يجد أمامه الجرائد ملقاة على كراسى المترو بالكوم ومع ذلك يمد يده فى جيبه ليخرج الـ ٣ بنس ليشترى من البائع نسخته الخاصة به ، يقرؤها ويرميها هو كمان . ولا أحد يفكر فى أن يأخذ معه الجريدة التى قرأها إلى البيت لكى تلمع بها المدام زجاج الشبابيك !

والمجلات الإنجليزية

عددها كبير مهول أكبر من أن يقع تحت حصر – على الأقل بالنسبة لى أنا – وليس فيها مجلات عامة تكتب فى كل الموضوعات مثل «المصور» و« آخر ساعة » و« روز اليوسف » عندنا .. إنما كلها مجلات متخصصة : مجلة لليخوت ومجلة للسيارات العادية ومجلة لسيارات السباق ومجلة للدراجات ومجلة للطائرات الشراعية . وأخرى للطائرات العادية . ومجلات متعددة للأزياء والمرأة وللأطفال ، وكل فرع يخطر على بالك سوف تجد له قطعاً مجلة تهتم بأمره وترعى شئونه .. لم أكن أتصور أن تكون هناك مجلة خاصة تصدر أسبوعياً فى ٨٠ صفحة كل اهتمامها بـ : « الموتوسيكلات » !! .. لو أن مثل هذه المجلة صدرت عندنا فى مصر فسوف تصدر فى ملزمة واحدة ٨ صفحات مليئة بالإعلانات ، ثم تشهق وتلفظ أنفاسها وتستشهد وتتوقف عن الصدور بعد عدد واحد فقط لأنها لن تجد مادة عن الموتوسيكلات

تنشرها بعد ذلك .. لكنهم هنا ـ وسبحان العاطى الوهاب ـ يجعلون المادة الموتوسكلية التى تملأ فراغ ٨٠ صفحة كاملة . وكل أسبوع . .

هنا أيضا مجلة أسبوعية خاصة بالفندقة ـ من كلمة « فنادق » ـ إسمها « كاترار آند هوتيل كيبر Caterer and Hotel Keeper » .. وجريدة للفندقة أيضا إسمها « كاترنج تايمز Catering Times » . وهى ليست دعاية وإعلانات عن الفنادق كما قد يتصور البعض ، لكنها جريدة مثل كل الجرائد التى خلقها ربنا . لا تتردد فى أن تنشر ـ بالإسم كاملا وبالتفاصيل والصور ـ خبر مدير الفندق الذى هرب بمرتبات الموظفين وحين قبض عليه البوليس لم يجد فى جيبه غير بنس ونصف !!

ومجلات الجنس هى أغلى المجلات هنا .. إذ تباع النسخة الواحدة بين ٣٠ و ٥٠ بنساً . ومطبوعة بطريقة مهولة على ورق كوشيه ملون من الغلاف للغلاف وبصور جنسية صحيح وفاضحة صحيح ومثيرة صحيح . لكنها أقرب إلى اللوحات الفنية والتابلوهات . يعنى الواحد ممكن يقطعها من المجلة ويبروزها ويعلقها فى مكتبه مش بس فى غرفة نومه فى البيت .. الظريف أن هذه المجلات مكتوب على غلافها الخارجى (غير مسموح ببيع هذه المجلة للأشخاص الذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة) !! . آل يعنى بائع الصحف سوف يطالب الولد الإنجليزى بإبراز بطاقته الشخصية ، وآل يعنى لو ذهب ولد عمره ١٩ سنة واشترى كل النسخ التى عند البائع ووزعها بمعرفته على شلته حد حايقول له لأ !!

وتنتشر

هنا

أيضاً « صحف الضواحى » .. ليست صحف الأقاليم أو صحف المقاطعات أو حتى صحف المدن . إنما صحف « ضواحى » لندن نفسها .. وهى ليست صحيفة واحدة للضاحية إنما « عدة » صحف

للضاحية الواحدة .. فى ضاحية واحدة مثل ضاحية « ميدلسكس » التى أسكن فيها والتى تشبه ضاحية مصر الجديدة عندنا لأنها ضاحية مطار « هيثرو » فى لندن . وهى تنقسم إلى عدة أحياء صغيرة .. فى ضاحية « ميدلسكس » يصدر عدد من الصحف أكثر مما يصدر فى دولتين عربيتين معا ، يصدر — وما حدش من الزملاء الصحفيين يغمى عليه أو يطب ساكت — ١٣ صحيفة بين يومية وأسبوعية .. يعنى صحيفة أو أكثر لكل «حى» من أحياء الضاحية !! . وحتى لا يظن أحد أننى أبالغ أو أن المسألة وسعت منى شوية : فهذه هى أسماء الصحف الـ ١٣ التى تصدر فى ضاحية واحدة من ضواحى لندن :

١ — روسليب پوست .
٢ — أوكسبريدج ويكلى پوست .
٣ — هايز پوست . .
٤ — إيرپورت هونزلو پوست .
٥ — إيرپورت هيثرو پوست .
٦ — هارو پوست .
٧ — كينتون پوست .
٨ — ساوثهول پوست .
٩ — إلينج پوست .
١٠ — جرينفورد پوست .
١١ — ريكمانزوورث پوست .
١٢ — ويمبلى پوست .
١٣ — كنجزبورى پوست .

وعقبالنا يارب لما تصدر فى كل مدينة كبيرة فى مصر ، أو حتى فى كل محافظة ، صحيفة أسبوعية واحدة .

وهنا

نوع

ظريف جداً من الصحف يصدر فى إنجلترا أيضا : صحف بلا محررين !! .. مثل جريدة « إكستشينج آند مارت » التى تصدر كل يوم خميس وتباع بـ ٥ بنسات فقط ... ومع أنها تصدر فى ١٦٠ صفحة إلا أنك لن تجد فيها محرراً واحدا ولا مقالا واحداً ولا صورة واحدة .. لأنها كلها

— من الغلاف إلى الغلاف — إعلانات .. إعلانات عن كل شيء ، إبتداء من بيع وشراء القصور والبيوت واليخوت والسيارات الجديدة والمستعملة ، إلى دبابيس الإبرة وبنس الشعر وزراير القمصان .. بحيث إن من يشترى هذه الجريدة الإعلانية يستطيع أن يستغنى بها عن النظر فى كل الإعلانات التى تنشر فى الصحف الأخرى العادية . .

ومانشتات الصحف الإنجليزية — [وهذا الفصل مكتوب قبل حرب ٦ أكتوبر ومعركة البترول وأزمة الطاقة] — مانشتات الصحف الإنجليزية من فرط الرخاء وانقطاع الصلة بالعالم الخارجى ؛ أو على الأقل « عدم الإهتمام به » . كلها لا تتحدث إلا عن الحوادث والجرائم وملكة جمال بورتسماوث والفتاة العمياء التى تزوجت ولد مفتح ، والأجازة المرحة الساخنة التى تقضيها « إليزابيث تايلور » فى إيطاليا بعد انفصالها بدون طلاق عن زوجها « ريتشارد بورتون » ، والأسباب الحقيقية وراء طلاق الحسناء « لينا سكوج » من زوجها الفنان « آلان هوايتهيد » ، والقطار الذى دهس عيلين فى مانشستر . . ومين عارف : يمكن ينشروا غداً تحقيقاً صحفياً فى ١٠ صفحات عن الست اللى كلت دراع جوزها ! !

ومثلماً يحدث تماماً فى دمياط أو فى المحلة أو فى الزمالك : [«الدايلى تليجراف» بتاريخ ٢٠ أغسطس] : مشجعو الكورة حين ينهزم الفريق الذى يشجعونه يكسرون الدنيا ويخربون كل حاجة تقع تحت أيديهم : مشجعو فريق « أوكسفورد يونايتد » العائدون من « هيرفورد » بعد مباراة هزم فيها فريقهم ، مزقوا مقاعد وكنب قطار إكسبريس هيرفورد — لندن ؛ وحطموا زجاج الشبابيك وهشموا الأحواض الصينى الفاخرة والمرايا الرائعة الأنيقة فى دورات مياه الإكسبريس وخربوا القطار الشيك ودشدشوه .. نشرت «الدايلى تليجراف » ذلك ونشرت خبر القبض على ١٨٠ شخصاً من الذين اشتركوا فى تخريب القطار بعد المباراة « الحبية » أو « مباراة الصداقة » كما يسمونها هنا ! !

ومن

فرط

اهتمام الإنجليز بالجو وحالة الطقس. فإن الصحف الإنجليزية تنشر التنبؤات الجوية فى صفحتها الأولى . . وبعضها تبالغ فى ذلك – مثلما تفعل الـ « دايلى إكسبريس » أحيانا – فتنشر حالة الطقس تحت إسم الجريدة مباشرة بجوار سعر النسخة وتاريخ اليوم !

وفى صحف الضواحى الإنجليزية تجد أيضا شيئاً ظريفاً : صفحة ونصف كاملة لـ : عرائس !! .. وهنا يكتبون « مواصفات » العروس كأنها إعلان أو كأنها مطلوب لها عريس : بنت مين وسنها كام سنة وشكلها إيه : شقراء والا سمراء والا حمراء . وجسمها حلو والا لأ ومقاسات وسطها وصدرها ورجلها . درست أو بتدرس إيه أو بتشتغل إيه . عرفت عريسها إزاى وحبوا بعض إزاى واتشاقوا مع بعض قبل الجواز لمدة قد إيه . وحايقضوا شهر العسل فين . وناويين يخلفوا والا حايتفرجوا على التليفزيون ويحلوا كلمات متقاطعة . .

هايفين هيافة الناس دول . . ألعن مننا . .

لكن

الميزة

الحقيقية التى تتمتع بها الصحافة الإنجليزية هى الصراحة المهولة التى تصل إلى حد مناقشة أمور وشئون الأسرة المالكة البريطانية بصراحة بالغة وبصدق شديد .. وبرغم أن الشعب الإنجليزى يعبد أميرته الظريفة ذات الـ « ضبب » الوسيم « آن » بنت ملكة إنجلترا ، وتشغله جداً حكاية زواجها .. وتفتح أى صحيفة أو مجلة كل يوم لتجد فيها موضوعا مصوراً عن الأميرة الفارسة « آن » وخطيبها الكابتن « مارك فيليبس » ..إلا أن

صحيفة مثل «الدايلى ميرور» – ٢٠ أغسطس – تهاجم بشدة أن تحصل الأميرة «آن» وعريسها على بيت فى «ساند هيرست» به ٥ غرف نوم وإيجاره ثمانية جنيهات فقط فى الأسبوع .. وتنشر خطابات القراء دافعى الضرائب الذين يعترضون – كما قالت سيدة قارئة – على أن تأخذ الأميرة بيتا بأكمله بثمانية جنيهات ، فى الوقت الذى يتعطل فيه زواج إبنتها – إبنة السيدة القارئة طبعاً وليست إبنة الأميرة «آن» !!– لأنها لا تجد مجرد «شقة» تسكن فيها !! ... وذلك صحيح فعلا ، فأنا أسكن فى غرفة واحدة فى ڤيللا متواضعة وأدفع ستة جنيهات فى الأسبوع ، والأميرة ذات الضب الظريف سوف تأخذ بيتا (من بابه) به ٥ غرف نوم ، غير السفرة والصالون ، بثمانية جنيهات فقط ..

ثم : ٥ غرف نوم ليه ؟! هم ناويين يعملوا إيه بالضبط ؟!

وبمناسبة

الأميرة

الظريفة «آن» : الأميرة ترتيبها فى وراثة العرش لتكون ملكة إنجلترا ، الحادية والعشرين فى ترتيب «المستحقين» ، بالرغم من أنها إبنة الملكة الحالية «إليزابيث» مباشرة ، وبالرغم من أنها شقيقة الأمير «تشارلز» ولى العهد .. لكنها ليست لديها الفرصة لتكون ملكة إلا إذا مات ٢٠ واحداً وواحدة آخرين يسبقونها فى الترتيب ، وأحق منها فى وراثة العرش .. يعنى محتمل أنا شخصياً أبقى ملك قبل منها !!

مادمنا

قد

تكلمنا عن الصحافة الإنجليزية فلا بأس أيضا من أن نتكلم عن الإذاعة والتليفزيون الإنجليزيين .. التليفزيون هنا فى لندن له ٣ قنوات

تشاهد فى جميع أنحاء إنجلترا .B. B. C. 1. / B. B. C. 2. / I. T. V ... والـ .I. T. V لها غير القناة التى تشاهد فى إنجلترا كلها ١٥ قناة أخرى موزعة على أقاليم إنجلترا طولا وعرضًا . . كل قناة فى كل إقليم تذيع برنامجًا خاصًا بها مختلفاً عن البرامج التى تذاع فى الأقاليم الأخرى . . قد يكون محليًا فعلا : يعنى تم تصويره وإنتاجه فى داخل الإقليم ولا يعرض إلا فيه ، كما فى إذاعة الإسكندرية المحلية مثلا التى لها ميزانيتها وبرامجها الخاصة بها التى تنتجها هى ولا تذاع فى إذاعة القاهرة . . وقد يكون مختارات من برامج محطة التليفزيون الـ .I. T. V الأم ، الله أعلم . . كما يحدث فى محطات التليفزيون الفرعية عندنا فى الصعيد : المنيا وأسيوط وسوهاج والأقصر وأسوان مثلا التى لا ترى القناة رقم ٩ ، فيكون لها برنامج آخر محلى يذاع من هناك ليملأ فراغ القناة رقم ٩ ببرامج أخرى مختارة من برامج التليفزيون الأم فى القاهرة . . والفرق بيننا وبينهم هو أن الصحف الإنجليزية هنا تنشر برامج التليفزيون فى كل محطة من المحطات الـ١٥ الفرعية ؛ ونحن هنا فى مصر — حتى فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » المتخصصة — لا ننشر برامج الـ ٥ محطات الفرعية فى الصعيد !!

(١٧)

□ الكتيبة الناعمة.. تحارب فى لندن ! □

الزمان : الساعة الواحدة والنصف ، ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ . .

المكان : مكتب البريد الفرعى فى حى « كرانفورد » فى ضاحية « ميدلسكس » فى أطراف لندن . .

أضع فى صندوق البريد عدة رسائل مرسلة إلى القاهرة : إلى رئيس تحرير مجلة « الإذاعة والتليفزيون » ، وإلى أسرتى وبيتى فى القاهرة ، أخبر الجميع بأن مهمتى التى استمرت عدة شهور هنا فى إنجلترا قد قاربت على الإنتهاء ، وأننى قد حجزت فعلا للعودة على طائرة شركة « سويس إير » فى الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر . .

ألقيت الرسائل . وعدت إلى بيتى فى « واى آفينيو » لأنام حتى الثامنة مساء ، لأستريح من عناء يوم عمل شاق : ولأستعد ليوم عمل شاق آخر جديد يبدأ مع المساء وينتهى فى الصباح . .

□

الزمان : الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم : السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ . .

المكان : فندق « سنتر إيربورت هوتيل » فى منطقة مطار « هيثرو » فى ضاحية « ميدلسكس » فى لندن . .

أصل

إلى

الفندق فى موعدى المعتاد كل ليلة .. للوهلة الأولى أشعر أن فى الجو شيئاً غير عادى .. شيئاً يكاد يصل إلى حد التوتر .. لندن كلها فى حالة توتر هذه الأيام بسبب القنابل الأيرلندية التى تنفجر فى كل مكان دون موعد ودون إنذار .. ظننت أن الأمر متعلق بحالة الطوارىء المعلنة فى كل شبر فى لندن بسبب هذه القنابل .. لكن زميلى الإنجليزى «تونى مورجن» يبادرنى وفى عينيه نظرة شماتة واضحة :

— هل سمعت بما حدث ؟

أقلقتنى نظرته :

— لم أسمع شيئاً .. خير .. ماذا حدث ؟ !

يستطرد «تونى» بنفس الشماتة :

— لقد حاول المصريون أن يعبروا قناة السويس .. لكن الإسرائيليين ردوهم على أعقابهم وقتلوا ٣٠ ألفاً .. تصور : ٣٠ ألف ضابط وعسكرى مصرى قتلوا فى ساعة واحدة !

لو أن جبلا انحط فجأة فوق أكتافى لما شعرت بهذا الإحساس .. شعرت لحظتها فقط كيف يمكن أن تكون السكتة القلبية .. أو كأننى دست بقدم عارية على سلك كهربائى قوته ١٠٠ ألف فولت فصعقنى على الفور و«تشتنى» فى مكانى دون أن أستطيع حركة واحدة !

بعد لحظات بدأت أعود إلى نفسى .. بينما «تونى» لا يزال يتحدث بإنجليزيته السريعة الشامتة .. أذناى ليستا معه على الإطلاق .. أسمعه ولا أسمعه .. كلى أصبحت فى القاهرة .. قطعاً هذا هزار إنجليزى سخيف .. هكذا الإنجليز دائماً .. ما بيعرفوش يهزروا ، فإذا هزروا صاروا أثقل خلق الله دماً ! .. قلت والقلق يعتصرنى من الداخل :

— من قال لك هذا الكلام الفارغ ؟ !

قال فى انتصار :

ـ الراديو . . الـ B.B.C. . . والتليفزيون . . والصحف أصدرت طبعات مسائية . . إنت كنت نايم قطعاً . . حرب ٦٧ انتهت فى ستة أيام ، لكن حربكم هذه المرة انتهت فى ٦ ساعات . . قامت الحرب وانتهت وأنت نائم . . ها ها ها . . »

أسرعت

إلى

صالة التليفزيون . . فى الطريق إليها تعترضنى « سوسن » و « بسة » . . القلق والذعر يرتسمان على وجهيهما : « صحيح الكلام اللى سمعناه ده ؟ ! » . . « مين قال لكم ؟ » . . « كل الناس هنا بيقولوا كده » . .

وتتعلق عيوننا جميعاً بشاشة التليفزيون ننتظر أخبار الساعة العاشرة إلا ربعاً . . أول خبر فى النشرة هو خبر عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس ظهر اليوم السبت ٦ أكتوبر واحتلالها جزءاً كبيراً من الضفة الشرقية لقناة السويس وتوغلها فى سيناء . منتهزة فرصة انشغال الإسرائيليين بالإحتفال بأحد أعيادهم الدينية فى ذلك اليوم . . خريطة سيناء تظهر على الشاشة الملونة : والجزء الذى احتلته القوات المصرية مظلل بلون مختلف . . المذيع يقول إن معركة كبيرة تدور «الآن» على أرض سيناء بين القوات المصرية الزاحفة والقوات الإسرائيلية التى فوجئت بهذا الهجوم الذى لم تكن تتوقعه ولا كانت مستعدة له . . وقال أيضاً أن القوات المسلحة السورية هى الأخرى قد هاجمت القوات الإسرائيلية فى ناحيتها وطردتها من مرتفعات الجولان . .

ولم

يذكر

المذيع الإنجليزى حرفاً واحداً عن الـ ٣٠ ألف جندى وضابط مصرى الذين « قتلهم » الإسرائيليون فى سيناء فى ساعة واحدة : ولم

يذكر أيضاً حرفاً واحداً معناه أن الإسرائيليين قد استطاعوا رد المصريين على أعقابهم . .

وقفزت « بيسة » فى مكانها من الفرحة . وراحت « سوسن » كطفلة صغيرة ترمح فى كل مكان وهى تحكى بالإنجليزية والعربية فى وقت واحد . . لقد عبر المصريون قناة السويس وهذا يكفى . . لقد وضعوا أقدامهم على أرض سيناء من جديد وهذا يكفى . . لقد كانوا هم البادئين بالهجوم هذه المرة ؛ ولأول مرة ، وهذا يكفى . .

وأغادر

صالة

التليفزيون أبحث عن رقبة « تونى مورجن » . . قل ما تشاء يا « تونى » يا ابن « مورجن » . . لكن مذيعكم الإنجليزى فى تليفزيونكم الإنجليزى هو الذى يقول الآن إن المصريين يشوطون بأحذيتهم مؤخرات جنود إسرائيل ويطاردونهم فى صحراء سيناء . .

لكن « منى » تأتى بسرعة لتجتذبنى من يدى لأعود من جديد إلى صالة التليفزيون : السفير المصرى « كمال الدين رفعت » يتحدث فى التليفزيون الإنجليزى . . واضح أن « كمال رفعت » ليس لديه بعد معلومات كافية عن الحرب ، لكنه يتكلم كلاماً عاماً عن أننا نحارب معركة شريفة لا بد منها فى سبيل استعادة أرضنا المغتصبة التى احتلها الإسرائيليون منذ عام ٦٧ ورفضوا الإنصياع لقرارات الأمم المتحدة فى الجلاء عنها ؛ ولم يكن أمامنا إلا هذا الطريق ، طريق الحرب ، طالما أن الأمم المتحدة قد فشلت فى أن تجعل إسرائيل تحترم قرارات المجتمع الدولى . .

وتتوقف

كل

الأحاديث فى تلك الليلة إلا حديث الحرب بين مصر وسوريا من ناحية ، وإسرائيل فى الناحية الأخرى . . ولأن فى الكافيتيريا وفى الفندق عموماً تعمل مجموعة كبيرة من البنات والشبان المصريين طلبة وطالبات فى الجامعات المصرية ، فإننا قد أصبحنا طرفاً فى الموضوع . . كل رواد الكافيتيريا من الإنجليز والأجانب يناقشون فى الحرب وفى المعركة الدائرة . . « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و « نى » و « نورا » و « عقيلة » و « منى » أخرى و « شحاتة » و « ماجد » ، جميعهم فتحوا جبهة مصرية جديدة فى الكافيتيريا تحارب ضد إسرائيل . . طول الليل يناقشون رواد الكافيتيريا بإنجليزيتهم العرجاء القاصرة ومعلوماتهم السطحية . لكن حماسهم وانفعالهم الشديدين وإخلاصهم وحبهم الكبير لمصر ، والحق الواضح الذى لا ينكره إلا كل مكابر أعمى القلب ، يتغلب شيئاً فشيئاً على كل الحجج الواهية التى يدافع بها الإنجليز . . واللى يعصلج معاهم أو تعجز إنجليزيتهم القليلة عن التفاهم معه ، يأتون به إلى لكى أتفاهم أنا معه ، على اعتبار أننى بحكم عملى كصحفى أكثر معلومات وأكثر فهماً للموضوع وخلفيته التاريخية . .

وقرب

الفجر

ينعقد حول مكتبى مؤتمر مصرى صغير : البنات قررن أن ينهين عملهن هنا ويعدن إلى مصر فوراً . . وأنا أيضاً معهن . . كنا قد حجزنا للعودة على طائرة شركة «سويس إير» يوم ٢٠ أكتوبر . . لكن بلدنا تحارب الآن ، ولا بد أن نكون نحن أيضاً هناك . . قد لا نستطيع

شيئاً . قد لا نفيد بشيء : لكن مكاننا هناك . لا بد وأن نكون موجودين هناك . . لا بد وأن يكون كل مصرى على أرض الوطن فى هذا الوقت . . بلدنا تنادينا حتى لو لم تكن فى حاجة إلينا . . والمطلوب الآن أن نحاول مع مكتب شركة « سويس إير » لنقدم موعد عودتنا إلى أقرب تاريخ ممكن . .

لكن شركة « سويس إير » تعتذر بأنها قد أوقفت خطوط طيرانها إلى القاهرة ودمشق وبيروت وعمان وتل أبيب حتى تتضح الحالة وتهدأ الأمور . . فليس من المعقول أن تجازف بإرسال طائراتها المدنية إلى بلد فيه حرب ، وحرب مع من ؟ مع إسرائيل التى لها سوابق فى ضرب وإسقاط الطائرات المدنية وركابها ! !

ثم يأتى الخبر الذى يحسم الأمر تماماً : مطار القاهرة الدولى نفسه مغلق . . . لدواعى الأمن أولا . ولأنه من الحكمة أيضاً — حتى لو كانت دفة الحرب فى صالحنا — عدم المجازفة باستقبال طائرات مدنية فى الوقت الحالى . .

وبعدين ؟

هل

ستحبسنا الحرب هنا فى لندن بعيدين عن مصر فى هذا الوقت بالذات ؟ ! . . هل سنقضى هنا كل الفترة التى سوف تستغرقها الحرب ، وقد تطول أكثر مما نتوقع ؟ ! . . وتمر بذهنى وعلى ذاكرتى صور المصريين الذين حجزتهم الحرب العظمى الماضية فى إنجلترا أو ألمانيا أو البلاد المتحاربة ، فظلوا ست سنوات الحرب محجوزين فى هذه البلاد دون أن يستطيعوا العودة إلى مصر حتى انتهت الحرب عام ١٩٤٥ . . هل سيحدث لنا ذلك نحن أيضاً ؟ ! . . طيب أنا ومشكلتى إلى حد ما محلولة ، أستطيع أن أرتب أمورى بحيث أكتب لمجلتى من هنا بصورة

أو بأخرى ، لكن البنات ، وهن جميعاً طالبات فى الجامعات المصرية ، ماذا سوف يفعلن ؟ ! هل يكملن دراستهن هنا فى الجامعات الإنجليزية أو ماذا ؟ ! وإلى أى مدى سوف تطول الحرب ويستمر إغلاق المطار ؟ ! .

وتقفز فكرة جديدة : « منى » تقترح أن نعود بالبحر . . بالسفينة . . بالمركب . . بأى وسيلة إن شالله يكون قارب بمجاديف . .

وأرفع سماعة التليفون مرة أخرى وتدور اتصالات جديدة . . وتكون النتيجة هى نفس النتيجة : حالة الطوارئ معلنة فى ميناء الإسكندرية أيضاً ، وكل الموانئ المصرية مغلقة فى وجه السفن المصرية والأجنبية ! !

ونستسلم « مؤقتاً » للظروف الراهنة . وندع الأمور تجرى فى أعنتها حتى يتضح الموقف أكثر : أو يجد جديد . .

ونعود

إلى

مناقشات الحرب وحديث الحرب . . الصحف الإنجليزية الصباحية العشر تصلنى — بحكم عملى — فى الخامسة صباحاً . . قبل الخامسة بنصف ساعة تركت البنات أعمالهن وكل ما فى أيديهن ليتجمعن حول مكتبى فى انتظار الصحف وعيونهن لا تتحول عن الباب الذى تأتى منه سيارة الصحف . . قبل أن يضع السائق الصحف أمامى كانت الأيدى المصرية الناعمة تتخاطفها بلهفة كبيرة . . يتصفحنها بسرعة . . يشاهدون الصور . . يحاولن قراءة المانشتات الكبيرة . . ثم ، كأنهن يشعرن فى هذه اللحظة فقط بأهمية اللغة الإنجليزية كما لم يشعرن بها من قبل طيلة الشهور السابقة التى عملن فيها فى لندن . . يعدن الصحف إلىّ وهن يسألن : « بيقولوا إيه عن الحرب ؟ ! » . .

وتأتى « بيجى » الأيرلندية الشمطاء المديرة الليلية للكافيتيريا لتشخط

فيهن وتسوقهن أمامها إلى داخل الكافيتيريا . . لكن « سوسن » بعد قليل تهرب مرة أخرى لتأتى إلىّ . . أترجم لها بسرعة ملخصاً لما جاء فى الصحف الإنجليزية عن الحرب . وتذهب لتنقله إلى زميلاتها فى الداخل ، ثم تعود متسللة لتطل برأسها الصغير من باب الكافيتيريا وهى تسألنى : « وإيه كان ؟! » . .

« بوب » ،

الفتى

الإنجليزى الوسيم الذى يعمل فى مكتب الإستقبال . متحمس جداً لإسرائيل . . يتصور أنها عملاق خرافى لا يمكن دحره . . ويصرح بفخر بأن أخته متزوجة من إسرائيلى . . « بوب » يقرأ الصحف الإنجليزية بعين واحدة . . لا يرى إلا الأخبار التى فى صالح إسرائيل . ولا يصدق منها إلا دعايات إسرائيل . . معلوماته عن الشرق الأوسط غريبة جداً : قناة السويس فى نظره حفرها الإنجليز فى « أرض دولية » منذ « ٣٥ » سنة . وكان المصريون « يستأجرونها » منهم حتى عام ١٩٥٦ حين « استولى عليها » جمال عبد الناصر ! ! . . معلوماته تقول أن اليهود كانوا يعيشون فى فلسطين طول عمرهم ويحكمونها طول عمرهم ، وأن كل المشكلة بين العرب وبينهم أن اليهود أرادوا . فقط : تغيير إسم دولتهم من « فلسطين » إلى « إسرائيل » عام ١٩٤٨ فثار العرب وهاجوا وحاربوهم !! . . ليس لديه أى فكرة على الإطلاق عن الفلسطينيين أو عن الشعب الفلسطينى ، ولم يسمع أن هناك لاجئين يعيشون فى خيام مطرودين من ديارهم ووطنهم منذ عام ١٩٤٨ . .

« بوب » معذور . . عمره ١٨ سنة . . ولد سنة ١٩٥٥ وكبر ونشأ وتربى ورضع وشرب وتغذى على الدعايات الإسرائيلية . . ثم كان تزوجت أخته من إسرائيلى فازدادت المسألة فى نظرة تأكيداً ، وازداد تعاطفاً مع

إسرائيل . . لذا كان المناقش المجادل المقاوح كثيراً فى الأيام الأولى من الحرب . . واستلمته البنات المصريات — لأنه قريب من أعمارهن — وهلكن بدنه حواراً ومناقشة وجدلا ، ثم مسخرة وتريقة وتهزيئاً . . وتخفى « سوسن » وراء ظهرها نسخة من جريدة الـ « جارديان » — أكثر الصحف الإنجليزية اعتدالا أو حياداً فى تناول موضوع حرب الشرق الأوسط — ثم تسأله فى براءة وسذاجة :

— بوب . . إنت بتعرف تقرا إنجليزى ؟

فيرد « بوب مندهشاً :

— طبعاً . .

فتبرز « سوسن » الصحيفة من وراء ظهرها تكاد تضعها فى عينيه وهى تشير له على أجزاء معينة فى الأخبار المنشورة فيها عن الحرب :

— أمال ما قريتشى الأخبار دى ليه ؟!

لكن

« جيم »

رجل الأمن فى مطار « هيثرو » ، الذى يقترب من الأربعين ، قطعاً معلوماته عن مشكلة إسرائيل أكثر ، على الأقل بحكم عمره ، ثم بحكم أنه قضى جزءاً من خدمته العسكرية فى الجيش البريطانى فى قناة السويس ، وجزءاً آخر كحارس خاص لأمراء الخليج فى أبو ظبى والبحرين والشارقة . . « جيم » وجهة نظره مختلفة : سيناء أرض صحراوية جرداء لا تستفيد مصر منها شيئاً . . فلماذا لا تتركها لإسرائيل تعمرها وتزرعها وترعاها . وتعطى جزءاً منها للفلسطينيين لكى يعيشوا فيه . فتحل بذلك المشكلة . بدلا من هذه الحروب التى لا تنتهى بين العرب وإسرائيل ، والتى تهدد بنشوب حرب مواجهة عالمية بين القوتين العظميين فى العالم : روسيا وأمريكا ! !

نفس الرأى تقريباً سمعته من مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد الألمانى للفندق . . كلف خاطره وترك مكتبه وجاء لغاية عندى ليسألنى :
ـ لماذا تحاربون إسرائيل ؟
ـ لنسترد أرضنا التى استولت عليها غصباً عام ١٩٦٧ . .
ـ تستردونها لماذا ؟ ! . . ألم « تحصل عليها » إسرائيل فى « حرب عادلة » سنة ١٩٦٧ ؟ !

ـ يعنى إيه « حرب عادلة » ؟ ! . . لقد احتلت ألمانيا فرنسا ، مثلا . خلال الحرب العظمى الماضية ، فهل تصبح فرنسا ملكاً لألمانيا لأنها احتلتها لفترة خلال سنوات الحرب ؟ ! . . هل تستطيع ألمانيا أن تغير إسم فرنسا وتلغى وجودها كدولة وتلغى وجود الشعب الفرنسى وتطرده خارج فرنسا . كما فعلت إسرائيل فى فلسطين ومع الشعب الفلسطينى ؟ !
ويرد مستر « بتشورتشيك » فى بساطة عجيبة :
ـ ولكن الأمر يختلف . . فرنسا هى فرنسا . .
ـ ياسلام . . وفلسطين هى فلسطين . . ولن تختفى من الوجود لمجرد أن يريد ذلك عدد من اليهود المستوردين من كل دول أوروبا ومضروبين بالخلاط لكى يصبحوا شيئاً جديداً إسمه إسرائيل !

ـ أنتم تكرهون اليهود . . المسألة إذن فيها عنصرية . :
وأقول له وأنا لا أستطيع أن أخفى دهشتى :
ـ مستر « بتشورتشيك » . . غريب جداً أنك أنت بالذات ، وأنت ألمانى الأصل ، الذى تتكلم عن كراهية اليهود وعن العنصرية . . لم نكن نحن فيما أتذكر الذين اخترعنا غرف الغاز لنعدم فيها اليهود ، إنما الذى فعل ذلك هو أنتم : الألمان . . إنكم حتى لم تعدموهم بالرصاص ، لم تشنقوهم بالمشنقة ، ولم تصعقوهم بالكرسى الكهربائى . . يعنى لم تقتلوهم « قتلا سهلا » أو « قتلا رحيماً » إذا استطعنا استعمال هذا التعبير . لكنكم اخترعتم غرف الغاز إحتقاراً لهم ولكى تقتلوهم كالفئران

بعد تعذيب شديد ومعاناة شديدة . . لقد أردتم أن تعذبوهم بشدة وتنكلوا بهم قبل أن تقتلوهم . . ثم تأتى أنت بالذات لتقول لى إن العرب يكرهون اليهود . . نعم . نحن نكرههم . ومن فى العالم لا يكرههم ؟ !

وبعدين ؟

الأيام

بتجرى والحرب مستمرة . . والأخبار التى تصلنا عن الحرب فى مجموعها لا تسر . . فكلها تصل عن طريق الصحف الإنجليزية الموالية بشدة — فى أغلبها . ما عدا الـ « تايمز » والـ « جارديان » — لإسرائيل . . لكننا عودنا أنفسنا على أى حال أن نقرأ الأخبار بعد أن نضعها فى معادلة رياضية بسيطة : الأخبار الكويسة التى لصالح مصر نضربها × ١٠ ، والأخبار التى فى صالح إسرائيل نقسمها ÷ ١٠ . . لكى تكون النتيجة فى النهاية هى الأخبار الصحيحة أو الموقف الصحيح . . لكن ، مع ذلك . لا بد من العودة إلى مصر بأى ثمن . .

« بيسة » النشيطة . . صاحبة همة وحلالة المشاكل : تحررت وذهبت وحدها إلى مطار « هيثرو » وعادت تحمل إلينا البشرى : شركة مصر للطيران عندها الحل : طائراتها تطير من لندن ٣ مرات فى الأسبوع إلى طرابلس أو بنغازى فى ليبيا . . تأخذ المصريين إلى ليبيا ، ثم تنقلهم من هناك إلى القاهرة — على حسابها — بأوتوبيسات خاصة على الطريق الصحراوى الواصل بين مصر وليبيا . .

الحمد لله ، جاء الفرج . . وآهو ليبيا أحسن وأرحم من حبستنا هنا . . على الأقل نبقى قريبين من مصر ، وإن شا الله بعد كده نروح لغاية القاهرة ماشيين . .

وذهبت البنات إلى المطار وحجزن للعودة إلى مصر على أول طائرة ممكنة . وانشغلت أنا يوماً واحداً ثم ذهبت بعدهن لأكتشف أن هذا

اليوم الواحد الذى تأخرته قد تسبب فى تأخير عودتى إلى الوطن أسبوعين كاملين . . فإن ٦ طائرات بعد طائرة البنات قد تم حجزها عن آخرها . .

على العموم . إن وجودى هنا على أى حال مفيد لاستكمال الصورة التى بدأتها عن كيف يرى الناس فى أوروبا حربنا من وجهة نظرهم . . وما دمت قد أطمأننت على أن طريق العودة إلى مصر قد أصبح مفتوحاً بصورة ما . فلا بأس من أن أتأخر هنا فترة أخرى . .

« إنتم

مجانين ؟ !

تروحوا مصر إزاى فى الظروف دى وفيه حرب هناك ؟ ! . . حد يسيب الأمان هنا فى إنجلترا ويروح للحرب برجليه فى مصر ؟ ! . . خليكم هنا أأمن لغاية ما تنتهى الحرب وبعدين روّحوا على مهلكم . . وآديكم بتشتغلوا وبتكسبوا فلوس كويسة ومبسوطين » . .

هكذا كانت وجهة نظر أصدقائنا وزملائنا الإنجليز . . لكن كان الرد المصرى دائماً . وذلك ما كان يسعدنى أنا أيضاً أن أسمعه من بنات العشرين اللاتى لم أكن أتصور للحظة واحدة قبل الحرب أن يكون يعتمل بداخلهن هذا الحماس الدافق والحب الكبير للبلد : لمصر . . كان الرد المصرى دائماً :

ـــ أبداً . . هناك بلدنا وأرضنا . . هناك أهلنا وأخواتنا وأصحابنا وحبايبنا . . إشمعنى هم يحاربوا واحنا لأ . . إشمعنى هم يتعرضوا للخطر واحنا لأ . . إشمعنى هم يتعبوا واحنا نقعد هنا مستريحين . . إحنا مسلمين ومؤمنين بأن اللى لينا نصيب فيه لازم نشوفه مهما كنا بعيد أو قريبين . . نرجع بلدنا واللى يسرى على كل اللى هناك يسرى علينا . واللى بيشوفوه هم لازم إحنا كمان نشوفه . .

أدركنا
قيمة

أن يصل إلينا صوت راديو القاهرة فى غربتنا هذه فى إنجلترا . . لم يكن سهلا أن نستطيع الحصول على صوت مصر من خلال الراديو . . أختنا « بيسة » تفرضت أيام الحرب للمرابطة بجوار الراديو رايحة جاية بالمؤشر بتاعه حتى اصطادت أخيراً إذاعة الجزائر ، فثبتت المؤشر عليها : وأصبحت « بيسة » هى « مراسلتنا الإذاعية » فى راديو الجزائر : تسمع الأخبار منه . ثم تيجى جرى لكى تبلغها لنا . وتعود إلى « موقعها » بجوار الراديو من جديد . . التليفزيون الإنجليزى وإذاعة لندن الإنجليزية وصحف إنجلترا كلها أصبحت أبواق دعاية لإسرائيل . . التحيز لإسرائيل يبدو واضحاً جداً فى كلامها عن الحرب . حتى أن التليفزيون الإنجليزى يسمى العرب فى كلامه : الأعداء ؟ ؟

فى الوقت الذى استطعنا فيه فى « الجبهة المصرية الصغيرة » التى فتحناها فى الكافيتيريا . وبالمناقشة وبالحوار الهادئ أحياناً . المتحمس العنيف غالباً . استطعنا أن نستميل إلى وجهة النظر العربية أغلب الآراء التى كانت ضدنا فى الأيام الأولى للحرب . . « طيب لما إنتم الحق فى جانبكم بالشكل ده . إحنا ما سمعناش الكلام ده قبل كده ليه ؟ مش بتقولوه ليه ؟ » . . « تسمعوه منين وتقوله فين ؟ . . فى الـ « دايلى ميرور » والا فى الـ « أوبزيرفر » والا فى الـ « إيفننج ستاندارد » والا فى الـ « B.B.C. » وإذاعة لندن التى لا تكف عن مهاجمتنا سواء فى وقت الحرب أو وقت السلم ؟ » . . « على أى حال لازم تلاقوا طريقة توصلوا بيها وجهة نظركم للرأى العام فى إنجلترا وفى العالم كله » . . « حاضر . . نفكر فى طريقة » . .

(١٨)

□ بلياردو .. □
أو :
□ بين الحب والحرب .. □

لم

تستطع

الصحف الإنجليزية أن تستمر طويلا فى تجاهل الحقائق .. لم تستطع أن تنكر أن المصريين قد « أزالوا » خط بارليف من الوجود وجعلوه ذكرى غير سعيدة للإسرائيليين .. خط بارليف الذى كان الإسرائيليون يقولون إنه أقوى من خط ماجينو وخط سيجفريد معاً .. « نفخه » المصريون فى ٦ ساعات .. هجموا فى الثانية ظهراً ، وباتوا ليلتهم الأولى فى سيناء على أنقاض خط بارليف الشهير الذى كان الإسرائيليون يتوهمون أنه « حائط » ضد هجوم المصريين ، فباتوا هم الآخرون ليلة ٦ ــ ٧ أكتوبر يبكون على « حائط مبكاهم » الجديد ..

ولم تعد الصحف الإنجليزية تذكر « أرقام » خسائر اليهود ولا المصريين .. وعلى اعتبار أن « نفى النفى إثبات » ، وحين تتجاهل الصحف الإنجليزية شيئاً ما كلية فإن ذلك معناه أن هذا الـ « شيء ما » هو لصالح العرب ، ولو كان فيه سنتيمتر واحد لصالح إسرائيل لكانت الصحف

الإنجليزية هللت له وكبرت وهتفت بحياة القائد المنتصر « موشيه ديان » ..
لكن عرض الموقف بسلبية هكذا يدل على أنه إيجابى جداً لصالح
المصريين ولصالح العرب . .

وجاء الوقت الذى أستطيع فيه — مؤيداً من صحافة الإنجليز
نفسها — أن ألقم زملائى الإنجليز فى الفندق : « تونى » ال « بورتر » و « أنتونى »
السائق و « بوب » فتى الاستقبال الوسيم و « ريكمار » ال « بورتر » : جاء
الوقت الذى أستطيع فيه أن ألقمهم حجراً فى أفواههم ، فلوحت لهم
بصحفهم وطلبت منهم أن يقرأوها جيداً إذا كانوا يعرفون اللغة الإنجليزية
. . فرصة نتريق عليهم وأسخرهم وأدوى بدنهم وأشبعهم سخرية
وتهزيئاً . . وأذكرهم بأنهم جميعهم « عيال » — إذ أن أكبرهم لم يتعد
٢٤ سنة — كلهم « أطفال » لم يعرفوا الحرب ولا جربوا مرارتها ولا كانوا
موجودين ولا ولدوا بعد حين كانت طائرات الألمان خلال الحرب العظمى
الثانية تدك لندن عاصمة بريطانيا « العظمى » وتطحنها كل ليلة بالقنابل ، وحين
كان آباؤهم وأمهاتهم « يعيشون » فى الخنادق والمخابئ ويقضون لياليهم
فى أنفاق محطات ال « أندرجراوند » تحت الأرض بعد أن حرمهم الألمان
طعم النوم . . لكننا نحن فى مصر نحارب ، ونحارب معركة شريفة فى سبيل
استرداد أرضنا التى اغتصبها الإسرائيليون . .

وأخذتنى

العصبية

وأنا أناقش وأجادل فى عنف وشراسة باللغة الإنجليزية ثلاثة
لغتهم الأصلية هى الإنجليزية . . حتى طلب « بوب » (هلفتة)
لنتكلم بهدوء وليفهموا منى « برغضبى وثورتى حتى أن صوتى قد ارتفع فى
أرجاء الفندق فى الخامسة صباحاً هكذا . . ويسألنى أين هى عدالة
المعركة التى نحاربها إذا كنا نحاول طرد دولة إسرائيل من « أرضها » ! !

. . البيه الإنجليزى « بوب » لا يعلم شيئاً عن فلسطين إلا أنها دولة اليهود ونحن العرب الذين نحاول طردهم منها . فلما شرحت له أن إسرائيل لم تقم كدولة إلا منذ خمسة وعشرين عاماً سنة ١٩٤٨ : قال لى فى دهشة أن معلوماته تقول إنها موجودة فى هذا المكان منذ آلاف السنين . لكنها – فقط – أعلنت كدولة سنة ١٩٤٨ ، وهذا هو الشىء الذى يعرفه منذ بدأ يسمع عن مشكلة إسرائيل مع العرب . . فلما كذبت له هذا الزعم وهذا التصور والافتراء وقلت له إن اليهود لم يعيشوا كشعب فى فلسطين إلا نحو أربعين سنة فقط . وكان ذلك منذ عدة آلاف من السنين . قال ببرود : « وماله ؟ . . أليس ذلك كافياً لتكون دولتهم هناك ؟ » !! ، قلت له إن إنجلترا احتلت مصر ٧٠ سنة كاملة ، فهل معنى ذلك أن نلغى وجود مصر ونعتبرها إنجلترا ؟ ! ، وأن فرنسا احتلت الجزائر ١٣٠ سنة : فهل ألغت وجود الجزائر ؟! . وأن العرب أنفسهم قد احتلوا أسبانيا – الدولة الأوروبية – نحو ٨٠٠ سنة . فهل تصبح أسبانيا قطعة من البلاد العربية وتلغى إسمها ووجودها كدولة أوروبية ؟ ! . . فقال « بوب » مندهشاً إن هذه هى أول مرة فى حياته يسمع فيها وجهة نظر عربية . فلماذا لا يقول العرب هذا الكلام لكى يسمعه الإنجليز . على الأقل الإنجليز الشبان الذين لا يعرفون شيئاً عن أبعاد المشكلة إلا ما يذيعه راديو لندن وتليفزيون لندن وصحافة لندن ، وكله طبعاً من وجهة النظر الإسرائيلية وحدها ؟ » ، قلت له : « وأين يستطيع العرب أن يقدموا وجهة نظرهم هذه ؟ فى تليفزيون لندن أو صحافة لندن أو راديو لندن ، وجميعها تدين بالولاء لليهود ولإسرائيل ؟ ! هل ينشئ العرب لأنفسهم محطة تليفزيون خاصة ومحطة إذاعة خاصة فى إنجلترا وفى كل دولة أوروبية ؟! هل يصدرون لأنفسهم صحفاً خاصة فى إنجلترا وأوروبا ؟! » فأجاب « بوب » فى دهشة شديدة : « ليه لأ ؟ لا أتصور أن ذلك سوف

يكلفكم كثيراً إلى الحد الذي يجعلكم تضحون بما سوف تكسبونه من عرض وجهة نظركم فى المشكلة على الرأى العام الأوروبى ؟ ! » . .
صحيح : ليه لأ ؟ ! .

ويهرع الأولاد

والبنات المصريون إلى حيث تدور بيننا هذه المناقشة : بوا أن يعرفوا الأخبـــار التى جـــاءت فى الصحف الإنجليزية حتى يتقافزون فرحاً . وتتنطط « بيسة » طالبة التجارة فى مكانها من السعادة الغامرة ، ويدفع « ماجد » تلميذ الثانوى ٣ بنسات من جيبه ليشترى نسخة من الـ « دايلى إكسبريس » لن يستطيع أن يقرأ فيها جملة واحدة باللغة الإنجليزية ، لكن يكفى أنها تقول — حتى ولو باللغة الصينية — أن العرب حتى الآن منتصرون . . وتنفتح « سوسن » ضاحكة بطريقتها المعهودة التى تشبه حنفية باظت جلدتها وفسد مجسمها وساحت على نفسها . ولا يستطيع أحد إيقافها عن الضحك إلا حين « تكتشف » هى فجأة أنها نسيت السبب الذى كانت تضحك من أجله !! .
يارب : كمل فرحتنا ولا تشمت فينا ولاد الـ . . إنجليز ! !

التوقيت

الشتوى

فى إنجلترا بدأ الليلة ، وعادوا إلى توقيت جرينتش الأصلى : فأخروا الساعة ساعة .. الغريب فى هذا الأمر شيئان : أنهم لا يؤخرون الساعة عند منتصف الليل مثلما نفعل نحن فى مصر ، لكنهم يؤخرونها فى الثانية صباحاً لتصبح الواحدة صباحاً .. الشىء الثانى أنهم لا يبدأون التوقيت الشتوى فى أول يوم فى الشهر أو فى ١٥ منه مثلا ، لكنهم

يبدأونه ليلة ٢٨ — ٢٩ فى الشهر .. ليه ٢٨ مش ٢٧ أو ٢٥ ؟ مش فاهم .. ويبدأون التوقيت الصيفى يوم ١٠ مارس .. برضه ايه مش أول الشهر ؟ مش فاهم : وتلاقيهم ولا هم كمان فاهمين .. لكن للإنجليز قيا يعشقون مذاهب ! ! .

في
أيام

أجازاتى التى أبيت فيها فى بيتى ولا أذهب إلى عملى فى الفندق لا أكاد أفتح عينىّ فى الصباح حتى أهرع إلى مكتبة الضاحية لأشترى صحف الصباح : حتى قبل أن أغسل وجهى أو أتنشف . وما زالت هذه هى وجهة نظرى فى صحافة إنجلترا : ما دامت لا تجد ما تطنطن به عن انتصارات إسرائيل . إذن فالموقف فى صالحنا جداً وإسرائيل مضروبة على دماغها . . حتى حين تكذب صحافة إنجلترا وتدعى ، يبدو كذبها وادعاؤها واضحاً مكشوفاً ، وتناقض اليوم ما قالته أمس . . اليوم أيضاً لم تستطع أن تقول شيئاً عن أى تقدم لإسرائيل فى ميدان المعركة ، بينما لم تنكر أن الضفة الشرقية للقناة قد أصبحت الآن بأكملها تحت السيطرة المصرية .. وقالت أن الطائرات الإسرائيلية تضرب القوات المصرية المتمدمة فى سيناء بقنابل النابالم المحرمة دولياً .. وأن ٤٠٠ دبابة مصرية محاصرة الآن فى سيناء ، دون أن تذكر شيئاً عن الـ ٦٠٠ دبابة المصرية الأخرى التى قالت عنها بالأمس أن ١٠٠٠ دبابة مصرية قد اقتحمت سيناء !!.. وقالت الـ « إيفينينج نيوز » إن القوات المسلحة المصرية قد أسرت عدداً كبيراً من الجنود الإسرائيليين .. وقالت أيضاً أن الطيران الإسرائيلى متفوق .. معنى ذلك أنه « بالكثير » هو السلاح الوحيد عند إسرائيل الذى يلعب دوراً الآن .. وقالت أنه فى خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة قد ألقى على القوات المصرية كمية من القنابل تفوق كل ما أسقطه من القنابل

خلال حرب يونيو ٦٧ كلها !!

ولم تنشر صحيفة « نيوز أوف ذى وورلد » خبر الحرب نفسها إلا فى ثلث العمود الأخير من صفحتها الأولى . فى حين « تصدرت » الصفحة الأولى أخبار أخرى هامة جداً من نوع : الفتاة الزنجية التى سوف يتزوجها الممثل الإنجليزى « بيتر فينش » . والعروس التى هربت مع زوج أخت عريسها بعد ٤ أيام من الزفاف !! .. وكان من رأى « نيوز أوف ذى وورلد » أن : « الدبابات المصرية قد (اختطفت) قناة السويس من يد الإسرائيليين » ! ! . . هكذا : « إختطفت » . . . إحنا اللى — يا حرام — إختطفنا القناة من يد الإسرائيليين ! ! . . ولو « ليكن » : إختطفنا اختطفنا . .

وأذاع راديو الجزائر فى نفس الليلة أن مدينة القنيطرة أهم مدن مرتفعات الجولان السورية قد استردتها القوات السورية المقاتلة فى الجبهة الثانية . .

انصرنا يا رب ولا تشمت فينا أعداءنا ونحن هنا فى الغربة فى وسطهم .. وأسمعنا دائماً أحسن الأخبار عن انتصارات القوات العربية . .

اليوم

صباحاً . .

وفى بيتى ، ولم يكن فيه غيرى وغير جارتى المصرية « منى » .. شعرت كأن أحداً صفعنى على قفاى بمرزبة ثقيلة فى ميدان التحرير علناً وأمام كل الناس ! .. كانت « منى » تضع بعض الملابس التى اشترتها من هنا فى حقيبتها . حين اكتشفت أن البنطلون القطيفة الجديد الذى اشترته أمس وكانت سعيدة به جداً . إكتشفت أن عليه ماركة أنه مصنوع فى : إسرائيل !! .. وبسرعة فحصت « منى » كل ملابسها التى اشترتها من لندن ، فاكتشفت أن أغلب ما اشترته مصنوع فى إسرائيل ومكتوب عليه ذلك ! ! .

يا لعظمة وبالروعة ما فعلت « مني » . وما فعلت أنا . وما يفعل كل المصريين الذين يأتون إلى هنا ويصبون أموالهم فى المحلات التجارية التى يملكها يهود !.. وبكت « مني » وصرخت وولولت : لو أصيب أخوها أو قتل فى الحرب الدائرة الآن فسوف تكون هى التى قتلته . . أخوها ضابط مهندس فى القوات البحرية المصرية . . نحن إذن الذين ندفع للإسرائيليين لكى يقتلونا . . كل بنس واحد ندفعه لهذه المحلات التى تبيع لنا بضائع إسرائيلية أو مصنوعة فى إسرائيل ، يساوى رصاصة فى قلب أخى أو أخيك أو ابنك أو زوج أختك أوخطيب ابنتك . . كل شلن ندفعه لهذه المحلات — كما قالت « جولدا مائير » مرة من قبل — يساوى رصاصة فى صدر عربى مثلى ومثلك . .

تصوروا كم دفعنا لهم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . ومنذ عام ١٩٦٧ حتى الآن ، ومنذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى الآن : اليوم الخامس فى الحرب الآن ١٢ . ولا تحسبوها بالبنسات ولا بالشلنات . وإنما احسبوها بالدم المصرى . وبالدم العربى ! !

يبدو

أننا

سنكتفى بأن نظل نصرخ طول عمرنا من جهل الأجانب بوجهات النظر العربية فى موضوع فلسطين وإسرائيل . دون أن نفعل من ناحيتنا شيئاً جاداً لمحاولة تعريفهم بها ، وكأننا ننتظر من كل من يريد أن يعرف وجهة نظرنا أن يتفضل ويشرفنا فى مبنى هيئة الإستعلامات بالقاهرة فى مواعيد العمل الرسمية من الثامنة صباحاً إلى ٢ بعد الظهر ، فيما عدا أيام الجمعة والعطلات الرسمية ، ليعرف بنفسه ما يريد ! ! .

مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد الألمانى للفندق جاء الليلة إلى مكتبى ليفتح معى مرة أخرى موضوع الحرب الدائرة الآن بين العرب

وإسرائيل . ويبدى دهشته الشديدة من أن « تتكالب » الدول العربية كلها على « الدولة الصغيرة الضعيفة إسرائيل » .. فأقول له : « ومع ذلك فقد استطاعت « الدولة الصغيرة الضعيفة إسرائيل » فى عام ١٩٦٧ أن تهزم ٣ دول عربية مجتمعة . فكيف يمكن أن تتصور إذن أنها « دولة صغيرة ضعيفة » كما تقول أنت وكما تقول هى عن نفسها ؟ ! » . . فينعكس منطق مستر « بتشورتشيك » على الفور ليقول : « وسوف تهزمكم هذه المرة أيضاً » !! أقول له أن أمريكا هى التى تحاربنا من وراء قناع إسرائيل . فيقول : « قد تكونوا ١٠٠ مليون عربى كما تقولون، لكن الـ ٢ مليون إسرائيلى سوف يهزمونكم .. الفرق بينكم وبين إسرائيل ليس فى التسليح فقط إنما فى كيفية استخدام الإمكانيات » .. فأقول له إن لدينا مثلا عربياً يقول (الكثرة تغلب الشجاعة) . وقد تكون أنت محمد على كلاى بطل أبطال العالم فى الملاكمة ، لكن لو تكاثر عليك ٤ شبان لا يعرفون شيئاً عن الملاكمة . . . » وتوقفت قليلا لأبحث عن معنى بالإنجليزية يساوى عبارة « مسحوا بيك الأرض » فلم أجد، فاستطردت : «جعلوا منك سجادة» !! .

وتتسع عينا مستر « بتشورتشيك » من الدهشة لحكاية « سجادة » هذه ، ويبدو أنه تصور نفسه فعلا فى هذا الوضع . فتركنى وعاد إلى عمله ؛ وتوقفت مناقشتنا عند هذا الحد ، لكنه توقف مؤقت ؛ قطعاً سيتجدد مع تجدد الأحداث وتطوراتها . .

قلقان . .

قلقان

جداً .. يكاد رأسى أن ينشطر إلى نصفين من القلق الذى هبط علىّ فجأة الليلة — فى اليوم الثامن للحرب — من أجل ابنتى « نهلة » التى تركتها ورائى فى مصر قبل حضورى إلى هنا منذ عدة شهور . . زهرة صغيرة ؛ وردة متفتحة ، ربيتها وكبرتها ورأيتها أمام عينىّ تنمو وتشب

وتكبر وتصبح آنسة صغيرة حسناء . . عندى الآن إحساس غامر بأننى لن أراها مرة أخرى .. لا يهمنى لو كنت أنا الذى سوف يحدث لى شىء، لكن الخواطر والهواجس الشريرة تملؤنى وتفعم قلبى حزناً وسواداً وانقباضاً وتشاؤماً من أجلها هى .. أشعر اليوم فقط ، كأن مكروها قد حل بها نتيجة للحرب الدائرة الآن فى وطنى وأنا هنا بعيد عنه . وعنها ، بآلاف الأميال لا أدرى شيئاً عما يدور هناك . . كانت دائماً فى حضنى وفى قلبى وبين جنبى ، وطالما بعدت عنها فى رحلات صحفية سابقة ، لكننى لم أقلق عليها من قبل كما قلقت عليها الآن : الليلة . .

استر يا رب . فهى كل حياتى ، وهى الإبتسامة الوحيدة على شفتىّ الدنيا أمامى .. وهى كل ما بقى لى فى هذه الدنيا . .بدونها وبعيداً عنها أشعر أننى أنا اليتيم .. هى ابنتى وصديقتى وأمى وحبيبتى ، وهى كل شىء فى حياتى وكل آمال الدنيا بالنسبة إلىّ . .

يا رب إحميها واحرسها حتى أعود إليها . .

أخبار

الحرب

صباح اليوم : الصحف الإنجليزية كل يوم تردد نفس الكلام القديم عن سقوط الجبهة السورية وخروجها من القتال ، لكنها لا تسقط ولا تخرج من القتال .. وكل يوم تقول أن القوات الإسرائيلية فى طريقها إلى دمشق ، لكنها لا تصل أبداً إلى دمشق . .

على العموم ، أصبحت أقرأ الصحف الإنجليزية بلا اهتمام كأن ما تقوله لا يعنينى ، لأنه غير دقيق وغير صحيح . .

وزنت

نفسى

اليوم فاكتشفت أنى « خسيت » ١٠ كيلوجرامات كاملة منذ وصولى إلى لندن من نحو ٤ شهور .. الأكل الإنجليزى الخفيف «العيان»+ العمل المرهق جداً ذهنياً وبدنياً + التوتر العصبى الشديد الذى نعانيه بسبب الحرب الدائرة فى بلدنا + مجىء رمضان بأكمله علينا ونحن هنا ..

قلبى على البنات « سوسن » و « بيسة » و « منى » .. فهن « عصافير » أصلا ومش ناقصين ، ولو نقصت الواحدة منهن ١٥ درهماً لأصيبت بهبوط ووقعت من طولها . .

البنات

المصريات

هنا فى الفندق : «سوسن» و «سناء» و « بيسة» و « نورا » و « منى » ، يتنمرن ويستأسدن إذا حاول أحد من زملائنا الإنجليز العاملين فى الفندق أو أحد رجال أمن مطار « هيثرو » الذين يقيمون هنا : أن يمس مصر من قريب أو بعيد فى موضوع الحرب .. تنفتح فيه البنات كالأسود والضباع بلغتهن الإنجليزية الركيكة فيفزعنه ويرعبنه ، فيهرب من مناقشتهن .. حتى كف الإنجليز فى النهاية عن مناقشتنا فى موضوع الحرب ، أو على الأقل أصبحوا يسألوننا عن أخبار الحرب بلطف وبأدب وبتعاطف . .

تصورت لو أن الدولة فى مصر عندنا قد قررت على كل طالب مصرى خارج من مصر فى أجازة الصيف أن يقرأ كتاباً معيناً أو كتابين باللغة الإنجليزية ــ أو حتى العربية ــ يشمل كل الموضوعات الممكن أن يفتحها معه صديق أجنبى ويناقشه فيها .. إذا كان الطالب يمتحن فى ١٠ أو ١٥ مادة وفى ١٠٠ كتاب لكى «مجرد ينتقل» من سنة دراسية إلى سنة دراسية

أعلى . أفلا يحق لنا أن نمتحنه فى كتاب واحد فقط إذا أراد أن يخرج إلى خارج مصر سفيراً وممثلا لنا سوف يلتقى هنا بالشعب الحقيقى الذى يريد أن يعرف وليس لديه مانع من أن يعرف ؟ ! . . البنات هنا بمعلوماتهن السطحية المحدودة غير الدقيقة وغير الواضحة — حتى فى أنفسهن — فى أغلب الأحيان . لكن بحماسهن المتدفق كن يدفعن الإنجليز أو الأجانب إلى الهرب عن المناقشة . . فكيف لو استطعنا أن نستفيد من وجود المصريين فى الخارج لكسب أصدقاء جدد متفهمين لمشاكلنا وقضايانا . أو على الأقل لنجعلهم يعرفون عنها الصورة السليمة الصحيحة الصادقة . .

مجرد رأى ، فهل من منقذ ؟ ! . .

وجاء

يوم

عودة البنات إلى مصر عن طريق ليبيا . . وهنا كلمة لابد وأن تقال ، خصوصاً فى « ظروف حرب » كهذه . . فإذا كنت قد قرأت وأنا هنا فى لندن بأنه قد صدر فى مصر قرار جمهورى بوجوب تسهيل عودة المصريين الموجودين فى الخارج بأى شكل ، حتى دون أن يدفعوا ثمن تذاكر عودتهم على الطائرات المصرية . . وإذا كانت مؤسسة مصر للطيران قد كلفت نفسها عبء نقل تذاكر المصريين الذين كانت لديهم تذاكر عودة إلى مصر على شركات طيران أخرى . . وإذا كانت قد كلفت نفسها نفقــات تسيير أوتوبيسات واستئجار سفن وبواخر تحمل المصريين العائدين من أوروبا عن طريق مطارات ليبيا . . فلا يمكن أن تكون الصورة فى مصر للطيران فى القاهرة هكذا ، ثم تكون الصورة مختلفة تماماً فى مصر للطيران فى لندن ، ويتحول مكتب مصر للطيران فى مطار لندن إلى دكان « عم عبده الفرارجى » لصاحبه الحاج عبد الشكور — رجل مصر للطيران هنا — الذى حول مكتب الشركة

هنا إلى عزبة خاصة يذلّ فيها من يشاء ويعزّ من يشاء ويمنح الرضا السامى الكريم لمن يشاء ويمنعه عن من يشاء.. ولا يمكن أبداً أن أتصور أن الولد المصرى فى الجامعة الممتلئ بالحماس للعودة إلى مصر فى ظروف الحرب هذه . لا يمكن أن أتصور أن أصفعه فى مطار لندن بهذه الصورة ، حين يرى شنط وحقائب معالى « الوزير السابق » تدخل إلى الطائرة المصرية دون أن توزن ودون أن تحصل عنها قيمة الزيادة فى الوزن . بينما يحصلح الحاج عبد الشكور مع « الطلبة » فى عدد من الكيلوجرامات الزائدة فى وزن حقائبهم . ويصرّ على أن « يتركوها » وراءهم على أرض مطار لندن إذا أرادوا أن يركبوا طائرته الملاكى التى تعمل لحسابه . . ثم يتحول الأمر إلى مساومة . ومساومة غير منطقية ولا عادلة : حين يرى الطالب أن زميلا له معه ١٥ كيلو جراماً زيادة فى الوزن يدفع عنها ٣جنيهات . بينما آخر معه ١٠ كيلو جرامات فقط يرغمه الحاج عبد الشكور على أن يدفع عنها ١٥ جنيهاً وإلا ترك حقائبه على أرض المطار أو لا يركب هو نفسه الطائرة واللى يتفلق يفلق و : « ابقوا روحو اشتكوا فى مصر . . أنا عارف كويس أوى أنا باعمل إيه » ! ! . . كل ذلك يحدث ومكاتب شركة « العال » الإسرائيلية فى مطار لندن فى مواجهة مكتب مصر للطيران مباشرة على بعد ٣ أمتار فقط هى عرض الممر بيننا وبينهم . . ويقف الإسرائيليون العائدون إلى إسرائيل على طائرات « العال » يضحكون على المعاملة التى يعاملها الحاج عبد الشكور للمصريين العائدين إلى مصر على طائرات « عبد الشكور للطيران » ! !

أعيش
الآن

أيامى الأخيرة فى لندن . . سوف تظل هذه الرحلة كلها تحيا فى وجدانى وقتاً طويلا . . فهذه هى المرة الأولى التى أتعامل فيها مع

أوروبا من القاع . . وأعاشر وأخالط الناس العاديين البسطاء . المصريين الواضحين فى صداقتهم وفى عداوتهم . . إكتسبت فى هذه الرحلة أشياء كثيرة تتفاعل فى داخلى الآن . وأتصور أن كل طالب مصرى يجيء إلى أوروبا فى أجازة الصيف يكتسب هذا النوع من الخبرات والإنفعالات . .

ورأيت أمام عينى قلبين مصريين شابين يتفتحان لحب رقيق نظيف كنت أنا نفسى سعيداً به جداً . وأتصور أيضاً أن هذه الرحلة سوف تظل حية فى ذاكرة هذين القلبين إلى الأبد . وسوف تظل ذكرياتها — وذكرياتهما — زاداً دائماً لهما ودليلا على أن الحب ممكن أن يوجد وينمو فى أى وقت وأى زمان وأى مكان ، حتى لو فرقت بينهما الأيام بعد ذلك — كما أتوقع من الآن — نظراً للإختلاف الشديد فى ظروفهما الإجتماعية !!

منهم لله . فكروفى بالذى مضى ! ! .

أخبار

الحرب

اختفت من الصفحات الأولى فى معظم الصحف الإنجليزية بعد عشرة أيام من بدئها ، لكنها ظلت تحتل مكاناً بارزاً فى صفحاتها الداخلية . .

لكن أخبار الحرب عادت من جديد إلى الصفحات الأولى فى كل الصحف صباح اليوم ، بسبب الخطاب الذى ألقاه الرئيس « أنور السادات » أمس فى مجلس الشعب المصرى وقال فيه أنه فى الوقت الذى يفتح فيه الباب للسلام ، فإن العين بالعين والسن بالسن والموت بالموت ، وأن صواريخنا الـ (أرض — أرض) موجهة الآن إلى مدن إسرائيل ، وأن إسرائيل لو أغارت علينا فى العمق فسوف نرد عليها فوراً بضرب مدنها نحن أيضاً . .

واضح جداً من طريقة عرض الصحف الإنجليزية لخطاب الرئيس السادات أنهم مرعوبون جداً منه . . والحمد لله على كده ، واللهم زدهم رعباً وهلعاً . .

من أخبار الحرب اليوم أيضاً أن القوات العراقية قد انضمت إلى القوات السورية فى جبهتها فدعمتها وجعلتها تسترد بعض المواقع من القوات الإسرائيلية .. وتقول الصحف الإنجليزية إن الرئيس السادات أمر بأن تعلن نتائج الحرب كما هى أولا بأول ، صادقة تماماً بلا أى تغيير أو تبديل ، الأخبار السيئة والأخبار الطيبة . بحلوها ومرها .. وفى الصفحات الأولى للصحف الإنجليزية اليوم كذلك تحليل عسكرى عن الصواريخ المصرية « الظافر » و« القاهر » ..

وفى المساء سمعت من « تونى » البارمان الشاب المؤيد والمتحمس جداً للعرب فى حربهم ضد إسرائيل . سمعت منه أن مصر قد أطلقت اليوم فعلا صواريخها على القوات والأهداف الإسرائيلية .. ياللا .. خليها تطبل وتكركب وزى ما يحصل يحصل .. ولو أن بيتى فى القاهرة سوف يكون أول بيت يروح فى رجلين محطة السكة الحديد الرئيسية فى ميدان رمسيس لأنه يجاورها مباشرة ! ! .

باقى

لى

أيام قليلة فى لندن قبل أن أعود إلى مصر .. الأصدقاء الإنجليز هنا يحاولون إقناعى بالبقاء فى إنجلترا حتى تنتهى الحرب ، ومندهشون جداً لإصرارى على العودة ، لكن مكانى هناك فى بلدى مهما كانت الظروف .. فأنا مصرى ولست إنجليزياً . ولو كان الله قد أراد أن يخلقنى إنجليزياً لفعل ، لكن بما أنى ولدت مصرياً فإن مكانى هناك فى مصر حتى لو كانت هى الجحيم المشتعل .. يكفى أن البنات اللاتى تبلغ الواحدة منهن نصف عمرى قد سبقتنى فى العودة وسافرن إلى مصر منذ أسبوع كامل . فهل هن أكثر حباً لمصر منى أنا ؟! . لا أظن ، أو على الأقل فنحن جميعاً نحب مصر بنفس القدر . هى بلدنا ووطننا وأرضنا وأمنا . كبرنا فيها وفى

شوارعها وحواريها. وتعلمنا فى مدارسها ولحم أكتافنا من خيرها . ويجب أن نكون هناك جميعاً الآن : إذا انتصرنا فرحنا كلنا معاً ، وإذا غرقنا نغرق كلنا معاً . . مصر : بلدنا . . بلدنا . . بلدنا . . وذلك يكفى . .

جاء

الليلة

« كيرون Keiron » : شاب إنجليزى صغير عمره ١٨ سنة . . جاء ليتسلم عمله فى الفندق معنا كـ « بورتر » جديد ليحل محلى بعد سفرى بعد أيام قليلة . . المطلوب منى أن أقوم بتدريب « كيرون » وتعريفه بالعمل تعريفاً كاملا خلال هذه الأيام القليلة . . هأنذ أرد الدّين : « ريتشارد برايان » و « تونى مورجن » دربانى وعلمانى ، وأنا دربت « ريكمار » و « كيرون » ، والعجلة تدور . . :

قرأت

اليوم

خبراً نشرته الصحف الإنجليزية كلها فى صفحاتها الأولى ، جعلنى أشـــعر بالزهو كصحفى : « نيكولاس توماليت » المراسل الحربى لجريدة الـ « تايمز » الإنجليزية مع القوات الإسرائيلية فى الجبهة السورية : لقى مصرعه أمس بصاروخ سورى إنقض على السيارة التى كان « نيكولاس » يقف إلى جوارها . . مات « نيكولاس » ونجا كل الذين كانوا « بداخل » السيارة التى نسفها الصاروخ السورى ! ! .

لم أشعر بالزهو لأن صاروخاً سورياً قتل صحفياً إنجليزياً ، إنما شعرت بالزهو لأن الناس تظن أن حياة الصحفى كلها حفلات كوكتيل وسهرات ونجوم سيما وحسناوات ومرتب مليون جنيه وسيارة شيك ومكتب فاخر بتكييف هواء وتليفونات حمراء وخضراء و « بايب » وقلم حبر شيفرز

أو باركر . . لكن ذلك أيضاً هو الجانب الآخر من حياة الباحثين عن المتاعب : ذاهب إلى الحرب ورايح بكتب عن الحرب يعني رايح ميدان قتال مش ميدان العتبة . . مش رايح يهزر . وإنما رايح يقابل الحرب وجهاً لوجه كما يقابلها أي ضابط وأي جندي بيحارب . بكل ما فيها من مخاطر وقنابل ورصاص وبارود كأي محارب . ويصاب ويموت ويستشهد وهو يحمل قلمه أو كاميرته كما يصاب ويموت ويستشهد أي محارب آخر يحمل بندقية أو مدفعاً رشاشاً . .

أعرف أن ٤٢٤ صحفياً ومصوراً قد استشهدوا في حرب فيتنام حتى نهاية العام الماضي . فلا نامت أعين الجبناء . .

وكأنما

أرادت

لندن أن تودعني وداعاً إنجليزياً . فقد شهدت الليلة ضباباً لم أر مثله في حياتي . . يكفي أن تمد ذراعك أمامك حتى تضيع منك في الضباب . . ولو فردت الخطوة قليلا لتاهت مني « مني » – جارتي في السكن وزميلتي في العمل – في الضباب . . لدرجة أننا وقفنا على محطة الأتوبيس فلم يرنا السائق ولم يتوقف عند المحطة . لأنه لا هو رأى إشارتنا ولا نحن أشرنا إليه أصلا . لأننا نحن أيضاً لم نره . وإنما سمعنا فقط « صوته » وهو يعبر من أمامنا : كتلة ضباب كبيرة في كتلة ضباب أكبر . . ولم تستوقفه إلا صرخة « مني » بأعلى صوتها . فتوقف على بُعْد قليل من المحطة ، لنذهب إلى الفندق متأخرين عن موعدنا نحو ربع ساعة . .

أخبار
الحرب

على جبهة سيناء فى الصحف الإنجليزية اليوم سيئة جداً : « إيفننج ستاندارد » نشرت صورة لـ « دايان » ووراءه نخيل على اعتبار أنها قد صورت داخل مصر بشكل ما .. وتردد أن القوات الإسرائيلية قد استطاعت فتح ثغرة وسط الخطوط المصرية عبرت منها قناة السويس إلى ضفتها الغربية لتصبح خلف الخطوط المصرية داخل الصحراء الشرقية ، واحتلت مدينتى السويس والإسماعيلية ! !

تبقى كارثة لو كان ذلك صحيحاً واستطاعوا أن يصلوا إلى مصر فى العمق ويحتلوا مدنها . تبقى مصيبة ما بعدها مصيبة .. وتقول الـ « دايلى ميرور » والـ « صن » إن الدبابات الإسرائيلية قد توغلت فى الأراضى المصرية فى طريقها إلى القاهرة . بينما تقول الـ « دايلى ميل » والـ « دايلى إكسبريس » أن مشروعاً للسلام ولإيقاف القتال مطروح للبحث ، وأن « كاسيجين » رئيس وزراء روسيا يتدخل لإنهاء الحرب .. وربما يستمر وتكون كل هذه الأخبار غير صحيحة كعادة الصحف الإنجليزية المغرضة المؤيدة لإسرائيل على طول الخط ...

غريب
جداً

أمر مستر « هويكنز » هذا ، المدير المساعد للفندق .. بالرغم من أنه هو الذى أعطانى الفرصة ووافق على تعيينى فى الفندق لأقوم بكتابة القصة الصحفية التى أريدها ، إلا أنه من بعدها تجاهلنى تماماً ، بل وتعامل معى أحياناً بكبرياء وغطرسة ، ورفض كل طلب طلبته منه بعد ذلك ! ! .. لست أدرى لماذا ؛ لكن لعله فهم طريقتى فى العمل -

كصحفي – خطأ . . لعله تصور أنني سوف أظل طول الوقت أجري في الفندق ممسكاً بأوراقي وأقلامي وكاميرتي وفلاشي أصور الناس وأعمل معهم أحاديث صحفية؛ لكي يعرف الزبائن أن هناك صحفيا يعمل في الفندق، بدليل أن كل الناس الذين هنا في الفندق . مصريين وأجانب . عرفوا من قبل استلامي العمل بحكاية الصحفي المصري الذي سوف يعمل في الفندق ! . . أو لعله ظن – من سكوتي الطويل بعد استلامي العمل – أنني خدعته لكي فقط أعمل في الفندق دون أن « أفعل » شيئاً صحفياً . . ولا يدري أنني أراقب طول الوقت وألاحظ طول الوقت . وأكتب فقط « بعض » الوقت . .

مستر « هوبكنز » تجاهلني اليوم تماماً وهو يعلم أنني لم يبق لي إلا أيام قليلة وأترك العمل في الفندق عائداً إلى بلادي . حتى لم يحيني أو يقول لي مجرد صباح الخير . .

ولو أنني مدين له قطعاً . لكن : ينفلق ! ! .

بمجرد

أن تصل

صحف الصباح أترك كل شيء في يدي مهما كان مهماً . لكي أعرف أخبار الحرب في وطني . . فحتى لو كانت هذه الصحف متحيزة ومعادية وتطلق علينا – على المصريين وعلى السوريين – إسم الأعداء ! كأننا نحاربهم هم شخصياً ولا نحارب إسرائيل . إلا أنها على أي حال هي النافذة الوحيدة التي نطل منها على صورة الحرب مهما حاولت أن تبديها سيئة وبشعة بالنسبة إلينا .

أخبار الحرب في صحف اليوم سيئة للغاية . . على حد كلام الصحف الإنجليزية فإن القوات الإسرائيلية قد انتهزت فرصة وجود مسافة أو فجوة أو ثغرة بين قوات الجيشين المصريين الثاني والثالث المتقدمين في سيناء .

فعبرت منها قناة السويس على كوبرى أو كبارى أقامتها، ونزلت إلى صحراء السويس والإسماعلية المصرية ـ وذلك ممكن عملياً فعلا ـ لتحتل مدن القناة ثم تبدأ تشق طريقها إلى القاهرة العاصمة وتصبح على بعد ٤٥ ميلا فقط منها . . وأن معركة مهولة بالدبابات تكاد تشبه معارك ستالينجراد ومعارك كوريا تدور الآن فى الصحراء بين القوات الإسرائيلية « المتقدمة » والقوات المصرية التى « تدافع عن القاهرة » ! ! .

يارب استر . . فإذا كان الإسرائيليون قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك فعلا فالخطر كل الخطر يتهدد بلادى الآن . وسوف يصبح شكلنا ـ نحن المصريين الموجودين هنا فى لندن أو فى إنجلترا أو فى أوروبا عموماً ـ وحش جداً أمام وفى وسط الناس الشمتانين هنا فينا بلا مبرر واضح . . وينبغى أن أعود إلى مصر فوراً حتى ولو سيراً على الأقدام . . قد لا أستطيع أن أفعل شيئاً . لكننى على أى حال يجب أن أكون هناك وأواجه كل الأخطار التى يواجهها بيتى وأهلى وأسرتى وأصدقائى ووطنى . . مكانى هناك حتى لو كنت سأضار أو سأصاب أو سأقتل . . فالضرر والموت فى وسط بلدى وفى وسط قومى وأهلى وناسى ولا السلامة والأمان والحياة هنا . .

يارب : بلدى . . . .

وفى

الصباح

سمعنا أن إطلاق النار سوف يتوقف فى الساعة السادسة من مساء اليوم . . وفى نشرة أخبار التليفزيون سمعنا أن إطلاق النار قد توقف فعلا . . الشيء الوحيد الذى سوف يترتب على وقف إطلاق النار بالنسبة لى أنا شخصياً هو فتح مطار القاهرة . فأعود من لندن إلى القاهرة مباشرة دون الإحتياج إلى مشوار العودة عن طريق مطارات ليبيا . .

لكن من صحف صباح اليوم التالى أعرف أن وقف إطلاق النار لم يستمر أكثر من ١٠ دقائق ثم استأنفت مصر الضرب مرة أخرى . . وقالت جريدة « التايمز » إن جنرالا مصرياً فى جبهة سيناء فاتح نيران قواته على القوات الإسرائيلية بشكل جعل مراسل « دايلى ميرور » يكتب أنه لأول مرة فى حياته يشعر أن هذا هو الجحيم بعينه فعلا !! . . والمراسلون عادة يكونون بعيدين — إلى حد ما — عن مركز المعركة الحقيقى . فما بالك بالذين يصلون نار هذا الجحيم فعلا ؟! . .

يا الله . . خليهم يجربوا كيف يكون المحارب المصرى حين تتاح له فرصة حقيقية كاملة . .

ليلتى الأخيرة

فى الفندق هنا وفى لندن كلها . . كنت متأثراً أشد التأثر وأنا أقوم بجولات الأمن الليلة فى الواحدة والثالثة والخامسة صباحاً . . كان قلبى يعتصر وأنا أشعر أننى أرى هذا المكان للمرة الأخيرة : هذا الركن الذى لى فيه ذكريات وذكريات . . هذا الطريق الذى قطعته مئات المرات جيئة وذهاباً وأنا أكاد أنشق من الملل والرتابة . أقطعه الليلة للمرة الأخيرة وكلى عواطف مشحونة . . هنا عند الجانب الآخر من مكتبى كانت الرقيقة « سوسن » تهرب من الكافيتيريا لتقف أمامى ساعات طويلة تحكى لى حواديتها الظريفة طول الليل بطريقتها الطفولية الوادعة التى ظلت تصاحبها حتى بعد أن بلغت العشرين . . هنا فى الجناح (H) مكانى « السرى » المفضل الذى كنت أهرب إليه لأختلس فيه لحظات راحة أريح فيها ظهرى المكدود المتعب : كنت أسمى هذا المكان « المخبأ » !! . هذا الباب فى الجناح (G) الذى كنت أفتحه كل ليلة بعد سفر البنات لأطل منه عبر الشارع على الـ « تيودور هاوس » أو « بيت التشامبر ميدز » الذى كانت البنات يقمن

فيه والذى طالما أوصلت إليه « سوسن » و « بيسة » فى الليالى المظلمة خوفاً عليهما من أن تتعرضا لما قد يمكن أن يحدث فى ظلمات شوارع لندن الخطرة ليلا . . هنا الـ « ستاف كانتين » أو مطعم العاملين فى الفندق الذى طالما سهرنا فيه نتعشى أو نتسحر ونحكى لبعض كل ما حدث لكل منا فى يومه . و « سوسن » الطفلة الكبيرة الشقية تترك — بعد أن تشبع — جزءاً صغيراً جداً من الطعام فى طبقها . حتى إذا ما جاءت رئيستها الأيرلندية الشمطاء « بيجى » مديرة الكافيتيريا تستدعيها للعودة إلى العمل وجدتها لم تتمه من عشائها بعد ! . . هنا وهنا وهنا وهنا . . كل هذه الأماكن — وتكاد الدموع أن تطفر من عينىّ — بعد ساعات قليلة سوف تصبح مجرد ذكريات تفرق بينى وبينها آلاف الأميال . . كل هذه الأماكن لن أراها مرة أخرى بعد الليلة . . على الأقل لن أراها كـ « بورتر » قد أراها يوماً ما كزبون أو كنزيل فى الفندق . . ولكن : هل سأجد فى نفسى الشجاعة لأعود إلى هذا المكان مرة أخرى . وحدى . وأرى كل مواطن ذكرياتى فيه دون أن تكون معى نفس المجموعة التى كانت سعادتى بوجودها إلى جوارى فى تلك الأيام ؟ ! . . وهل سأجد نفس الناس ونفس الوجوه ونفس الزملاء ما زالوا يعملون فى الفندق ؟ ! . . من يدرى . . وإن كنت شخصياً أتصور أننى سوف أخجل من أن أعامل « زملائى القدامى » كزبون ولو بعد ٢٠ سنة !! . .

وعندما

أشارت

ساعة الحائط المعلقة على العمود المجاور لمكتبى إلى الثامنة صباحاً ، كانت مهمتى هنا فى لندن قد انتهت تماماً ، وانتهى كذلك عملى كـ « بورتر » فى فندق « سنتر إيربورت هوتيل » الذى استمر نحو ١٣ أسبوعاً ، وبالتحديد ثلاثة شهور وأربعة أيام . . .

وعندما غادرت الفندق صباح اليوم، كنت أغادره لآخر مرة كموظف فيه . . وتركته خلف ظهري وأنا أنقل قدمىّ مبتعداً عنه ببطء وتثاقل . كأن شيئاً خفياً يربطنى به ويجتذبنى إليه . . . . . .

وعندما وقفت على محطة الأوتوبيس واستديرت لأواجه الفندق كله أمامى يملأ عينىّ . أغرورقت عيناى بالدموع . . . . . ولم أتمالك نفسى . . . . . وبكيت . . . . .

□ حسين قدرى □

٢٥ يناير ١٩٧٤

☐ كتب للمؤلف ☐

● رحلة إلى جزر الكناريا . .	دار المعارف ـ ١٩٧٣ .
● مذكرات شاب مصرى	(الطبعة الأولى)ـ دار المعارف
يغسل الأطباق فى لندن . .	سلسلة إقرأ ـ ١٩٧٤ .
● رحلة إلى دولة ترانزستور . .	دار الشعب ـ ١٩٧٤ .
● راكبان على السفينة . .	دار أخبار اليوم
رحلة إلى المحيط الأطلنطى . .	كتاب اليوم ـ ١٩٧٥ .
● مذكرات شاب مصرى	(الطبعة الثانية)
يغسل الأطباق فى لندن . .	دار المعارف ـ ١٩٧٥ .

☐ تحت الطبع ☐

● هو . . والذين كانوا معه . .	القاهرة للثقافة الجديدة . .
● لعبة الأيام . .	
تحقيق صحفى من الحياة . .	دار المعارف
● أيام من حياتهم . .	كتاب اليوم .
● هروب إلى الفضاء . .	دار الهلال ـ روايات الهلال
● كلام فى الحب . .	بيروت .
● صعلكة فى بيروت . .	بيروت .

فهرس

الإهداء : ٥

مقدمة : ٦

الفصل الأول : القاهرة – لندن .. سيراً على الأقدام ٨

الفصل الثاني : علوة يفرض شروطه على لندن ١٨

الفصل الثالث : لوغاريتمات إنجليزية ٣٣

الفصل الرابع : دكتور : ماذا فعلت بأخيك؟! ٤٤

الفصل الخامس : هؤلاء الأولاد الهايفين وتصرفاتهم الطائشة ٥٩

الفصل السادس : كيف تشتري لندن : بشلن!! ٧١

الفصل السابع : معالي الوزير يغسل الصحون ٩٠

الفصل الثامن : الرعب يجتاح المدينة ١١٠

الفصل التاسع : صاحبة الجلالة الطباخة ١٢٥

الفصل العاشر : القاهرة تغزو لندن ١٤٤

الفصل الحادي عشر : حكاية الغرفة رقم ١١٨ ١٦٧

الفصل الثاني عشر : فقط : إمتلك « عنواناً » ١٨٦

الفصل الثالث عشر : جالك ماشاش في روكاباك ٢٠٣

الفصل الرابع عشر : إنه عالم أهبل أهبل أهبل!!

: أو : خطاب حب إلى واحدة ما اعرفهاش ٢٢٤

الفصل الخامس عشر : بنت سيئة السمعة ٢٤٥

الفصل السادس عشر : توت عنخ آمون .. رئيس جمهورية ٢٦٤

الفصل السابع عشر : الكتيبة الناعمة .. تجارب في لندن ٢٨٣

الفصل الثامن عشر : بلداردو ... أو : بين الحب والحرب ٢٩٦

ـم إيداع ـتب والوثائق القومية
١٩٧٤
١٩٧٥ —
١

٢٥ م

